

الحمة

المحمية

هالة الجسمي - سحر الصياد



اسم الكتاب: المحمية

اسم الكاتب: هالة الجمسي – سحر الصياد

تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية

تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات

الإخراج الفني: جمال عبدالرحيم

الطبعة / الأولى – 2020 م

رقم الإيداع: 11060 / 2020

الترقيم الدولي: 3 – 1 – 85718 – 977 – 978



arabiclibrary2017@gmail.com

almaktaba79@gmail.com



Facebook.com/arabiclibrary2017



01030365801 – 01014977934

جميع الحقوق محفوظة

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي

يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كلياً أو جزئياً، في أي شكل

وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

تنبيه

هذه الرواية هي نتيجة عمل جماعي

بين الكاتبتين "هالة الجسمي"، و"سحر الصياد".

وهي فكرة وإشراف الكاتب "مصطفى الشجيري".

وساعدتهم في التنقيح "نسرین عمر".

الإهداء

إليك يا من تشوق لأدب راق.
 لمن امتشق القلم ليكتب أدباً هادفاً، ويضيء العالم بأفكاره.
 لأصدقائي أعضاء فؤيق بارانورمال.

سحر الصياد

إهداء إلى أول كاتب قرأت له أول قصة وكانت بالقلم الرصاص.
 وإلى التي وضعت بغرفتي أول مكتبة أدبية أقضي بها اوقات فراغي،
 فجعلت الكتاب خير رفيق لي، إلى أبي وأمي.

هالة الجمسي

1 / 9 / 2089 هـ

الولايات المتحدة - واشنطن

داعبت أنفه روائح طعام شهية، تناهت لمسامعه أصوات الملاعق ومعانقتها للأطباق. راقبت عيناه أطعمة باختلاف ألوانها.. سال لعابه وزاد قرص الجوع بمعدته التي تقلصت أكثر فأكثر تعلن خواءها.

سار بين المقابر بجسده الهزيل بثياب امتزجت ألوانها ما عادت تميز هل هي بنية اللون أو فقط سواد باهت، تعثر بحجر صلد فسال خيط ضعيف من الدم شعر بالتفاف الأمعاء واعتصارها داخله تغنيه عن أي ألم أو أي شعور آخر. ارتعشت قدماه بوهن وهو يحتاج بوابة المطعم بوجه امتلاء شحوبًا، وملابس متسخة، تطلع له الجميع بازدراء وامتعاض واستياء.

وقف أمام النادلة صامتا بينما هتفت هي بغضب وبصوت فظ:

- ماذا تريد؟

أطرق صامتًا يسمع صوت أمعائه تقرر من الجوع. كادت النادلة تشير إليه ليخرج؛ فلقد شعر الجميع أن الجوع صار ملوثًا مذ دخل المتشرد، لكنها أحجمت عن هذا بينما هتف المتشرد بصوت واهن:

"مؤسسة الإغاثة".

أخرجت لوحًا معدنيًا أبيض صغيرًا ينتهي بعدة مؤشرات، مررته أمام يديه ووجهه وعينيه الغائرتين للدخل.

التقط اللوح الذي يبعث نوعًا من الضوء؛ بصمة المتشرد وقزحية العين وشحمة الأذن، ثم تابعت بتأفف:

- حسنا ما الذي تريد أن تتناوله؟

أجاب بتلعثم وتوتر وخجل شديد:

- أنا غير معتاد القائمة.

هزت رأسها بنفاد صبر قبل أن تحضر طبقًا مليئًا بنوع من الأطعمة من ضمن برنامجها، تناولها الرجل بيد ترتعش وقد ارتسمت بوجه ابتسامة شكر ونظر لها بامتنان قبل أن يغادر. استدارت النادلة ألصقت اللوح المعدني بالحاسوب المتطور ليستقبل بيانات المتشرد وضغطت كود الرقم الدولي، لتظهر بعدها علامة المؤسسة الخيرية (الغذاء).

فأرسل الحاسوب إشارة:

"تم الدفع".

قالت النادلة وهي تتذكر وجهه:

لولا ائتلاف الأغنياء الذين يمولون هذه المؤسسات في العالم والتي تتكفل بالطعام لمثل هؤلاء ما كنت سمحت لهم بدخول المطعم.

قبل سنوات من ذلك انقسم العالم الذي نعرفه إلى عالم من التطور والتكنولوجيا لم تشهده البشرية من قبل.

تلا ذلك تدني كبير في الأخلاق والتصرفات السيئة؛ فالجرائم زادت بشكل كبير، وعدد المرضى والموتى زاد أيضا بشكل خيف للكثير من الأسباب. منها تعقد الحياة لم يستطع الكثير من الناس الانسجام معها.

الغوص بالخطايا واتباع النزوات وازدياد الجشع والطمع قاد الناس إلى هاوية كبيرة، وهذا أدى إلى ظهور الكثير من الأمراض النفسية والجسدية، وأصبحت السيطرة على الشعوب أمرًا حقيقيًا ومخيفًا إلى حد أكبر. ولكن لم يكن الأمر نفسه على كل العالم؛ فلا بد أن يتوازن الخير مع الشر في كل زمان من هذه الحياة.

ومن القصص الأخرى في هذا العالم...

-روح ضائعة وهي تتلاشى بهذا العصر: بطني يقرقر بعنف هذه المرة وجوع وغضب لم يعد بإمكانني تحمل الجوع.

سأخرج من الزقاق لشارع أكثر غنى، بضع خطوات سأصل للشوارع الفاخرة والأضواء الرئيسية.

الروائح شهية والأطعمة مختلفة هناك من خلف الزجاج، طفل صغير يقف خلف منضدة، تبادلت النظرة معه، أمسك بقطعة خبز ثم استدار يحاول أن يعطيني إياها، مددت يدي بشوق وامتنان، أحاول التقطها، ولكن يد أنيقة تكثفها مشغولات ذهبية وتوبيخ للصبي:

- أيها الصغير إلا تحشى التلوث وانتشار العدوى؟

مطت الأم شفيتها في ازدراء ونظرت إليّ: لماذا لا يعزلون أمثالكم؟

شعرت بأمعائي تلتف حول بعضها من الجوع، هي فقط ثوان حالت دون أن أحصل على قطعة الخبز.

استدريت للزقاق ثانية، لمحت بعض القطط خلف حاوية ما تتناوش على شيء ما، أسرع لأفص اللفافة الورقية لأنال بعض من كمشات القطط محاولة الدفاع عن وجبة طعام كانت لهم.

محاولة يائسة منهم لعودة الوجبة ولكن هيهات؛ فلقد ظفرت بها، رائحتها لا تبدو طيبة، إنها بعض من الدهن لونه باهت على قطعة خبز ولكنه أسكت حرب الأمعاء الخاوية.

هي من مخلفات المطعم، لا بأس، لقد هدأت الحرب ولكن هناك تقلصات تتزاحم بداخلي قد تكون أخف وطأة من ألم الجوع، شعرت بثقل بأجفاني مع تزايدها وثقل بالجسم، أشعر أنني أغوص بدوائر سوداء، لا بأس لعل النوم يُحمد الألم.

امتدت يد بقفاز معقم وملابس طبية معقمة تشبه ملابس رواد الفضاء، تلك اليد تهز جسد العجوز بشدة قبل أن يشير للرافعة أن تحمله.

نظر هذا الشخص للرافعة وهو يتكلم بغضب:

- إنه العجوز الخامس الذي يموت من الأطعمة الفاسدة خلال يومين، ما الذي يضر هذا العالم وأغنياءه لو تنازلوا بالفتات لإنقاذ روح؟ ولكن فتات الرحمة قد انتهت.

وقصة أخرى تتكلم عن نفسها.

كنت أحاول أن أغفو لأهرب من قرص الجوع، أغمضت عيني واستدردت على أحد جانبي ووضعت يدي بيأس على رأسي التمس غفوة في هذا الليل البارد. الصراع في بطني يشكل وجهًا آخرًا للكون، ورشقات الماء لا تجدي النفع وتزيد الألم ألمًا.

وأخيرا ثقل بأجفاني وسكون هادئ بجسدي، مجرد ثوان ثم انتفضت مذعورا على صوت نباح قوي جعل فرائصي تهتز خوفا وجوعا معا، تحسست العكاز الخشبي لأتمسك به بشوق وأركض مسرعا وأشعر بنباح الكلب يزداد من خلفي.

هرولت بضع خطوات وأنا متشبث بالعكاز ثم انفلت مني وأنا أسقط أرضا فصرخت بقوة:

-ساعدوني ساعدوني!

ثم استمعت صوت قهقهات عالية مع وقع أقدام وضوء قوي من الخلف وصوت الشباب الملاعين: إنه المشرد الأحق انطلت عليه الخدعة.

أطلقت سبابا عليهم فابتسموا بلا مبالاة قبل أن يخمدوا صوت نباح لعبتهم ويبحثون عن طريدة أخرى، أمسكت العكاز وأنا أرتجف تذكرت رفيقي الذي مات منذ أسبوعين جوعا ونالت الكلاب من جثته قبل أن ترفعه رافعة تابعة للصحة ويتم دفنه بأرض مجهولة خشية انتشار وباء.

هنا تبدأ قصتنا مع جاك كونور...

بأقدام نحيلة وأصابع صغيرة هوت الشبكة من اليد الصغيرة على الزهور فسحقت بعضها منها وحلقت دائرة سوداء إلى الأعلى تحبّطت نحلة داخل الشبكة وارتطم جانب وجهه الأيمن بالعشب المبتل.

نهض من سقطته وهو يبتسم، فلقد نجح هذه المرة بقنص نحلة شعر ثم تلمس خده الأيمن وسرعان ما تحوّل الأمر إلى ألم أجبره على إفلات الشبكة قبل أن يدوي صوت الطنين بأذنه وأثر اللسع على وجهه. توبخه والدته من خلف النافذة الزجاجية التي تطل على الحديقة الخلفية للمنزل.

قالت: جاك، تعال للدخل!

بخطوات متخاذلة مطأطىء الرأس دلف جاك للمنزل، خلعت الأم ملابسه المتسخة وهي تهمس له بلهجة تحذيرية:

- هناك أشياء مهما بلغ حبنا وشغفنا بها يجب أن نكون على حذر من التعامل معها.

وضعت جزءاً من كريم المضاد للسلع على اللسعة ثم رفعت ذقنه لتهمس له: - يجب أن تكون على معرفة تامة بالأشياء قبل أن تلهو معها؛ فهناك كائنات رغم ضآلة حجمها قادرة على إحداث ضرر.

في عيد ميلاده الثامن، كانت هدية الأم كتاباً ضوئياً مجسماً عن الحشرات.. يلمسها بأنامله فراحاً. يلمس الصور ويقرأ الأسطر القليلة ويدوّن المعلومات غيايباً بنوثة صغيرة ويحاول جاهداً محاكاة الرسم المجسم.

بنهاية المرحلة الابتدائية ومع الانتقال لمستوى أعلى من التعليم كان السؤال

التقليدي والتحفيزي من المعلم لهم:

- أي وظيفة ستمتھنون بالمستقبل؟

جاءت إجابة جاك:

- سأكون الشخص المطلوب حتى لا يمرض أبي وأمي مجدداً.

تكلم المعلم بسرور:

- أمنيته أن تصبح طبيباً؟

ھز جاك رأسه بالنفي وهو يجيب:

- أخبرني والذي أن من يصنع الدواء ليس الطبيب بل هو باحث العلم من

عمل جاهداً ليجد للمريض شفاء، أريد أن أقوم أنا بصنع الدواء وأضع

حداً للألم...

من الذكريات الأخرى

الأنابيب الزجاجية المتعرجة المثبتة على القوائم الخشبية. والقوارير

الزجاجية، صھريج النار المشتعل، الميكروسكوب.

المختبر الدراسي لجاك بالمرحلة الإعدادية كان له قداسة كمحراب عبادة،

لطالما وجدت العناصر طريقاً لعقله دائماً، ووجد نوعاً من رياضة الذھن عليها

دون التعريف عن هويتها بملصق كتابي، صافحت عيناه البكتريا باختلافها نافعة

وضارة، قام بوضع أبحاث؛ بعضها للنظام الدراسي، وبعضها لإشباع نهم المعرفة

والولوج لعالم مجهول لم تطأه قدم بعد، فخصص بغرفته مختبراً صغيراً ومكتبة

تكميلية للأبحاث، اكتفى بالكتاب صديقاً ودليلاً إرشادياً، وامتألت عزلته

بالأسئلة المبهمة التي أيقن أن كل باب مغلق تُخصّصت له يد لتزِيل عنه الأقفال لينير جزءاً من أفلاك العلم المعتمة.

"جسم الإنسان خلق بجهاز مناعي يقاوم الفيروسات".

تذكر جاك تلك الجملة التي قالها الأب ذات ليل وجاك مريض بالحمى، ترددت الجملة بذهنه مرارا وتكرارا.

أحضر ثلاثة أصص من النبات المصاب ببكتريا بنسب متفاوتة تجاوزت الخمسين بالمائة - 55٪ - 70٪

يتابع ساق النبات المصاب بالبكتيريا فبدأ بتصنيع لقاح لمحاربة البكتيريا من الساق نفسه بجذب السائل اللزج ومزجه مع بعض من المواد المضادة الحيوية وإعادة حقن الساق بأول أسبوع. دَوّن جاك ملاحظاته:

تم حقن النبات مرة باليوم بنسبة 100 للسائل اللزج بالساق و50 للمضاد الحيوي.. النتيجة سلبية.

الأسبوع الثاني والثالث: تم حقن النبات بنسبة 75 للسائل الموجود بالساق مع نسبة 25 المضاد الحيوي بواقع مرتين باليوم.. النتيجة سلبية.

اليوم الأول من الأسبوع الرابع. صباحا تم حقن النبات مرة واحدة يوميا بنسب متساوية من السائل الموجود بالساق على حدة والمضاد الحيوي على حدة.

بمنتصف الأسبوع الرابع تطايرت بعض الأوراق مساء وتبعثرت بالأرض بتزامن هطول أمطار رعدية. تراقصت ستائر نافذة غرفة جاك مما أدى إلى استيقاظه ليلا لينهض بتثاقل يغلق النافذة فلمع ضوء البرق على أوراق النبات ليتجمد للحظات ما بين يقظة وحلم همس لذاته:

- هل ما أراه حلم؟

فرك بيديه عينيه قبل أن يضيء نور الغرفة ولينظر للنبات الذي اهتزت أوراقه وكأنها تخبره بأمر مهم نزع برفق ورقة من النبات ووضعها تحت المجهر ليلاحظ اختفاء جزء من البقع. التقط ورقة أخرى ثم أخرى قبل أن يهمس بظفر: لقد استجاب.

مسكا بلطف بورق النبات يبحث عن القلم ليدوّن باليد الشمال.
- اليوم استجاب النبات للقاح.

قدم جاك البحث لمكتب براءة الاختراع ليتم اعتماد اللقاح ويطلق عليه اسم "لقاح كونور". لعلاج بكتيريا النبات.

تم ترشيح جاك كونور للانتساب لأكاديمية واشنطن للناخبين رغم صغر السن، وهكذا بدأت مسيرته لكن نجاحه لم يكن ليكتمل من دون مساندة أهله له في أمور غاية بالأهمية وعديدة منها ما حدث له في صباه... في مجتمع لا يعترف إلا بالقوة والتفوق، كان على جاك الطفل أن يجتهد ليميز كما كل فرد من عائلته، أن لا يقنع بالنكوص عن هدف مهما كانت العقبات. قوة إرادته نجته من التنمر العنصري بسبب لون بشرته المختلف بملامح تنحدر من السلالة المغولية الصفراء.

العيش في أسرة متحابّة مترابطة متفوقة هو حبل النجاة عند أي عشرة؛ فالبيت الصالح لا ينبت إلا الطيب الصالح.

طفولة تكاد تكون مثالية وإن شابها بعض المنغصات التي تقابل طفلاً متميزاً. يعتبره البعض غريباً رغم ولادته وأبيه في الولايات المتحدة وتطبعه بطباعها، أسرة ممتدة تضم الجد والأبناء والحفدة ومنهم جاك الصغير الأقرب لقلب الجد.

عند بلوغ الجد السبعين عامًا قرر أن يترك التدريس الجامعي ليرتاح من دوامات الركض الطموح والاجتهاد سنوات لتحقيق إنجازات عديدة ليظل متقدما عالميا، محتفظا بإنسانيته، عاملا على خير طلابه في الجامعة وخير مجتمعه، ويتفرغ لحياة العائلة ولكتابة أبحاثه وخلاصة ما توصل إليه في شغفه بعلم الإنثروبولوجيا.

ومع التفرغ بدأت تنتابه أمواج من الحنين، وانتبه أنه أن للطير المهاجر أن يلقي نظرة ويدفئ القلب بباضي الصبا؛ فتم ترتيب رحلة سياحية تستغرق ثلاثة أشهر لموطنه إندونيسيا وبعض البلدان العريقة الحضارة. ومن غير أصغر الحفدة يرافقه ليصل ما انقطع في الماضي وليتعرف أحد من العائلة إلى الأصول الأولى لهم.

انبهر جاك بالطبيعة الخلابة في الجزر الإندونيسية التي زاروها، كيان اقتصادي قوي وماض يحمل قصصًا من الكفاح والحضارة الأصيلة، كذلك أصبحت واحدة من كبار الدول المتطورة بعد أن انضمت إلى حلف الشرق. كسر الجد برنامج الرحلة بعد أيام من بدايتها متوجها بجاك لقريته.

أصبحت بلاده الواجهة البراقة لكيان اقتصادي قوي وبلاد حباها الله بالجمال والثروة والقوة الاقتصادية المتصاعدة، لكن هذا الحال لم يكن على سائر البلاد في العالم بل الأمر مختلف تماما.

هناك يقبع الظلام في الأرجاء من لم يمسسه هذا التقدم والمدنية في القرى الفقيرة، حيث تنتشر الأمراض والفقر والجهل وتظهر بقوة آثار الحرب من الكيانات الاقتصادية الكبيرة الراسخة على كيان نائم يحاول تثبيت أقدامه. وكأن الشعوب التي حاربت الظلم والاستعمار يجب أن تظل خائفة محتاجة.

بينما يتنعم الكبار ويتلذذون باللعب بالدول النامية لإعاققتها، عن طريق نشر
الفرقة بإفقار الفقير وتعذيب ملح الأرض بالجهل والمرض ليكونوا شوكة في
خاصرة البلاد، فظهر الوجه القبيح للفقير، من مجاعات ورقيق وتجارة أعضاء
بأعداد مهولة حول العالم.

أما الجد فتعجب أن الحال في بلده الذي تركه وراءه منذ ما يزيد على سبعين
عاماً أصبح أفضل بكثير الآن، فحكى أنه رأى في طفولته وقبل الهجرة لبلاد
الحرية، رأى مئات من الجثث للاجئين جعلوا من إندونيسيا معبراً لهم هرباً من
الحروب في بلادهم متوجهين لأستراليا.

كانوا يعيشوا في حالة مزرية حتى تتم إجراءات اللجوء البطيئة والتي قد تمتد
لسنوات فتتسلط عليهم مافيا تسلب ما لديهم من مال أو أولاد ليهربوا في قوارب
مزدحمة صيانتها متردية ولا يصل منهم للشاطئ الآخر إلا القليل، بينما تطفو
جثث الغرقى دون أمل في شاطئ ترسوا عليه بأمان.

تنقلا في بلاد عدة، شاهد خلالها جاك المبهور كيف أن الحضارات عظيمة
امتدت لبقاع شاسعة، لم يبق منها إلا آثار متناثرة هنا وهناك، إلا إنها قد قوبلت
أخيراً في حضارات جديدة ستذكرها البشرية حتماً على مر العصور القادمة.

جذبت انتباهه أولاً آثار الحضارة العظيمة لبلاد ما بين النهرين.. أي عظمة
وأي تقدم هذا! جذبه بطاريات بغداد، وحكايات حدائق بابل المعلقة،
وانتصارات وغنى بالنفس قبل الغنى بالأموال.

يتبعها ذلك كيف أصبحت عليه بغداد بعد أن اتحد أقوام العراق على اختيار
الحياة قبل أنفسهم.

تأثر جاك أيضا بالحضارة المصرية؛ أهراماتها ومعابدها الباقية، احترام الحياة بكل أشكالها، وكأن المرشد الآلي سحره عندما كان يتلو بعضًا من كتاب "الخروج إلى النهار"، ورغم أن ما تلاه كان طويلًا، ولكن علق بذهن الفتى عبارات ظلت تتردد بذهنه كترنيمة مقدسة لسنوات عديدة، رسمت له طريقه في الحياة. (لم أظلم إنسانًا، لم أسيء استخدام حيوان، لم أترك جائعًا.. لم أتسبب في دموع.. لم ألوث ماء نهر.. لم أنتزع لبنًا من فم رضيع.. لم أحرم قطيعًا من مرعاه. لم أرتكب ظلمًا...).

انبهر جاك كيف أن الناس يختلفون هناك، إنهم أكثر إنسانية أكثر مودة وكيف أصبحت مصر قوة اقتصادية هائلة لحلف الشرق وللعالم أجمع يتبعها الصين ثم الهند.

انتهت الرحلة وعاد الجد والحفيد لأمریکا، ولكن لم تفارق ذهن جاك مشاهد التطور والحياة هناك وأخذ عن طريق الشبكة العنكبوتية يوسع من أفق رؤياه عن حال سكان الكرة الأرضية بكلّ انتماءاتهم وأصولهم. الخير في الأرض كثير فلم تسيطر عليه القلة ويحرم منه الأغلبية! تعجب من أقوام تصاب بالاكئاب وتنتحر من فرط الوفرة والراحة. وأقوام آخرون ينشدون الحياة ويصرون عليها ويعملون ويسعون فقط ليجدوا آخر اليوم سقفًا يؤويهم ولقمة لا تكاد تسد جوعهم. وهناك من يسعى، ورغم ذلك ولا يجد وتهان كرامته وتمتحن إنسانيته ورغم ذلك يكافح ويقا تل ليحيا والبعض يكتب ويتنحر هربا من واقع اليم يش أن يتغير.

بلاد تناشد مواطنيها أن ينجبوا ويتكاثروا حتى لا ينقرضوا. وبلاد تفرض على مواطنيها العقوبات وتحدد لكل زوجين طفلاً أو اثنين على الأكثر. بلاد اشتهرت قرى بأكملها فيها بيع أبنائها للزواج الشرعي أو للمتعة الحرام أو لبيع أعضائهم من أجل بعض الأموال تعيل الباقي. وقرى ينشأ أطفالها من دون أمهات لأنهن سافرن للعمل بدول أخرى من أجل حفنة أموال علّها تجنب فلذة الكبد المهانة.

نشط جاك على صغر سنه ليتطوع للعمل العام والخيري؛ ففي كل بلد مهما بلغ تقدمه نجد المحتاج والذي تأبى أنانية وجشع بعض الناس أن يهنأ بعيش؛ فكان يجوب الأحياء الفقيرة ويزور ملاجئ الأيتام ودور المسنين والعجزة برفقة الجد الذي تفرغ الآن واحتاج للحركة بعيداً عن الجانب النظري الأكاديمي ليكون لكتبه عمق ورؤية واقعية.

انضم لجاك أفراد قلة في البداية وسرعان ما انتشر الخير الذي يقدمونه. سنوات كثيرة مرت عليه ومجموعته من القلوب الرحيمة تزداد حاملة شعاره (قوة الرجل الواحد).

برحلاته المختلفة وتطوعه في أوقات عطلاته المدرسية والجامعية للانضمام للصليب الأحمر تارة، وأطباء بلا حدود وغيرها من الكيانات المساعدة للبشرية دون مقابل زاد أصدقاؤه، وانضم لهم أصدقاء آخرون كان محركهم فقط هو خير الإنسانية، يجذبهم جاك بشخصيته الآسرة وعبقريته وعقله ونفس طيبة خيرة وبذل لا متناهي.

لم تكن مشكلة الشعوب المسلوب حقها في العيش مادية فقط، بل تعددت المشاكل.

أثناء ذلك لم يكن جاك يضيع أي وقت لزيادة علمه؛ فقد حصل على درجة الدكتوراة في علم الأحياء قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين وشهادة دكتوراه أخرى في عمر 28 وقد استطاع أن يحصل على عدة براءات اختراع للقاحات ومنتجات سخرها للناس بأسعار بسيطة تكاد لا تصدق لكنها عادت عليه بالثروة الهائلة. ذاع صيته بين الناس والدول وازدادت معها الانتقادات والمشاكل والالتهامات الباطلة التي لا تمت صلة به.

علم أنه يجب أن يمتلك القاعدة الخاصة القلعة له حتى يحقق كل أهدافه. لذلك خطط لبناء المحمية حتى يسكن هناك بسلام وبدأ الأمر بمجموعة من المختبرات مع منازل مجاورة لتوفير مقومات الحياة والمعيشة الجيدة. ليتوسع الحلم وتضم عباقرة العالم في كل المجالات. واختار جاك موقعاً جديداً منطوقاً. لا أمل للحكومة في استصلاحه أو استخدامه في أي غرض آخر. عمل مع مجموعات من العلماء وحتى مع عمال لا يملكون إلا قوة الساعد، ومتطوعين تخصصاتهم مختلفة تعاونوا على جعل هذه المساحة الشاسعة كياناً علمياً يقدم كل خدماته للإنسانية بلا مقابل. استغرق بناء المحمية عشر سنوات. وما زال التوسع يتم فيها كل يوم.

حيث قلة من العلماء والأشخاص يحق لهم العمل والإقامة في المحمية، وهؤلاء كانوا صفوة الصفوة على كل الأصعدة. وأفراد وعلماء يسعون في كل بقاع الأرض مكملين عمل من في الداخل.

أصبحت المحمية بمواطنيها سواء داخلها أو خارجها رزنامة ميزانية لإصلاح ما أفسدته أنانية بعض البشر. وكما انضم للبروفيسور حشود طيبة،

ظهرت حشود أخرى تحاول إعاقة مسيرتهم. أو تحاول جذبهم لانضمام للكيانات الاقتصادية الكبيرة المسيطرة على مصائر العالم.

إلا أنها أصبحت واحدة من أهم المراكز العلمية في العالم، وقد تجاوزت قيمتها قيمة وكالة ناسا الأمريكية وبعد أن أصبح ما تفعله مرتبطاً بمصير الملايين من الناس استطاع البروفيسور بالاتفاق مع الحكومة الإندونيسية وبتخويل من مركز حلف الشرق أن يقوم بعقد اتفاق دولي وقعت عليه عدة دول منها الحكومة الأمريكية.. أن تكون المحمية أرضاً دولية ولا سلطة للقوات الأمريكية حتى لو كانت في داخل أمريكا، والمحمية خاضعة بالكامل للحماية الدولية، وتم اعتبارها أرضاً إندونيسية بالكامل تابعة للحلف.

بعد هذا العقد ازدادت قوة المحمية وأصبحت قوة ضخمة لا يتجرأ أحد على الاستخفاف بها والتي كانت تشكل تهديداً مباشراً لكثير من الشركات العالمية وبالأخص شركات الأدوية التي أمضت عقوداً تعبت بعقول الناس وأجسادهم. بعد سنين طويلة وبعد نجاحات كثيرة، بلغ جاك منتصف الأربعين من عمره وهنا الأمور قد أخذت منحى جديداً بالكامل.

شاءت الأقدار أن يتصل قدره بقدر أشخاص يافعين ، طموحين ، أشخاص يحاولون إصلاح العالم أيضاً.

فيكتور - الولايات المتحدة

أسند وجهه على حافة السور الخشبي الصغير، واحتضن بيديه العارض الخشبي للسور الدائري، يراقب بلا ملل اهتزاز الصوف الأبيض مع إيقاع حوافر مجموعة من الخراف. قد انطلقت من الحظيرة الخلفية للمنزل متجهة لزوايا الصناديق الخشبية الصغيرة المثبتة بالأرض والمجهزة للطعام الخاص بهم.

هتف فيكتور الذي لم يتجاوز العشرة أعوام بصوت عال لوالده الذي يملأ صناديق الطعام "أبي، لماذا لا تستطيع الخراف الطيران؟!".

ابتسم في وقار ورد عليه:

"فيكتور، الخراف فصيلة الحيوانات التي لا تطير لأجسادهم الثقيلة وطبيعتها".

تابعت عيناها خطوات الأب الذي انتقل يسارا ليدخل حظيرة الدجاج، ويضع الحبوب على الأرض. تساءل فيكتور وهو يراقب التقاط الدجاج الحبوب "ولماذا لا يمتلك الخراف منقارا مثل الدجاج؟".

- كل كائن قد خلق بهذا الكون مهياً ليتناسب مع ظروف بيئته.

ألقت الأم الإجابة وهي تضع يداها على كتف فيكتور. قبل أن ينضم الأب لهم ساروا بضع خطوات بالحديقة، سارع فيكتور والتقط بعض ثمار التفاح المتساقطة ليضعها في السلة على الأرض.

التقط بضعة أعواد رفيعة من الخشب، وخط بها خطوات ثم أزاح كميات من التراب لتوسعة الخطوط.. أضاف أوراق الشجر الأخضر وقليلًا من بقايا الحبوب والسكر قبل أن ينتفض فزعاً وخطوات الأم تلاحقه، أمسكت به وقد

ظهر بعض النمل الأبيض على ملابسه، نزعت ملابسه عنه وقد ظهرت آثار قرصه على جسده كذقنه وظهره.

فيكتور وهو يحاول تبرير ما حدث: "شاهدت ثلاثة من النمل يحملون فتات خبز يحاولون الدخول كنت أحاول جعل البيوت أكثر اتساعاً لمساعدتهم".
قالت الأم مغتظة:

- فيكتور، حذرتك مرارا، لا تؤذ نفسك باندفاعك لكل شيء، وكل فكرة تطرأ بعقلك تنفذها دون النظر إلى عواقبها.

أطرق فيكتور صامتا وخجلا.

نطق الأب وهو ينظر لهم معاً:

"النمل عموماً وخاصة الأبيض منظم جداً.. يقوم النمل ببناء منازلهم بطريقة معينة حسب حجمه، والنمل الأبيض من نوع المحارب؛ لأي خطر محقق تتم مهاجمته حتى لو كان ضعف حجمه بالآلاف، من الصواب أن يساعد المرء كائنات لا تنطق من علامات النضج هذا ويزداد النضج اكتمالا حين لا تؤذي أنفسنا.

بالمساء اجتمعت الأسرة في غرفة المعيشة، بينما انشغل فيكتور ببناء بيت من الأشكال المجمعّة. رفع عينيه صوب والدته التي أثنت عليه قبل أن يحمل البيت ويعطيه لوالده ثم قال فيكتور بحماس:

- أرغب بأن يكون لي منزل خشبي فوق الشجرة.

أجابه الأب بهدوء:

"لي خبرة قديمة بأعمال النجارة لك هذا لو ساعدتني بالبناء..."

في صباح اليوم التالي تساقطت بضع حبات عرق على وجه فيكتور فوضع ألواح الخشب جانبا، ثم نظر لساعة يد والده التي تقترب وتبتعد مع آلة قطع الخشب الكهربائية على لوح الخشب.

قال فيكتور: "لقد مضى وقت طويل يا أبي ولم ينتهِ بناء البيت، لقد مللت وتعبت".

أوقف الأب المنشار ووضعه جانبا ثم تكلم بجدية:
"البيوت تبنى بسواعد مشتركة وليس بيد واحدة.. إنها مثل المصانع والمستشفيات. وكل مؤسسة لا تدار بيد واحدة فقط بل بالتعاون.. لو أردت التوقف سأتوقف أنا أيضا عن إكماله".

تساقط بعض القش الجاف على رأس فيكتور فقام برفع رأسه إلى الأعلى، ملح اهتزاز جناح عصفور قبل أن ينطلق مبتعدا عن العش فوق الشجرة، هز فيكتور رأسه قبل أن يهتف لوالده وهو يستعد لحمل بضعة ألواح خشب.
- أرغب بتكملة بناء البيت.

بعد مرور يومين.. مساء، أصر والد فيكتور أن يقوم فيكتور بفتح الباب ليطلق صبيحة إعجاب بالبيت المزين بألعابه.

فرح بالبيت الخشبي وما فيه وقد تعلم الكثير من هذه التجربة لكن ما سيتذكره حتما هو تلك الذكرى المعينة من حياته، فمن ذكريات طفولته أنه كان برفقة أهله في أحد المتزهات حينما شاهد فيكتور منظر خطف أبصاره.

مجموعة كبيرة من الطيور تخلق بشكل انسيابي وجميل وهي تطير بتناغم كامل على شكل موجات متحركة.

قال فيكتور لأبيه وهو يشير نحو الطيور:
 "أبي، هل يستطيع البشر أن يفعلوا ذلك مع بعض؟"
 ابتسم أبيه ثم وضع يده على كتف فيكتور: "يا بني، إذا تضامن البشر مع بعضهم بعضًا، بإمكانهم أن يفعلوا أكثر من ذلك بكثير".
 فيكتور وهو ينظر بابتسامة إلى تلك اللوحة المتحركة في السماء:
 "أتمنى أن أكون مثلهم حينما أكبر".
 علمه والده الكثير من الأشياء؛ منها كيفية تحمل المسؤولية والاعتماد على النفس ومساعدة الغير دائمًا.
 كبر فيكتور وكان متفوقًا دائمًا في دراسته وكل طموحه أن يصبح عالم أحياء مختصًا بصناعة الأدوية ومكافحة الأمراض في عصره.
 فيكتور بالرغم من حبه للخصوصية وتفكير النفس إلا أنه يشارك دائمًا في الفعاليات الاجتماعية وأهمها الخيرية.
 حينما دخل الجامعة، أسس مشروعًا شبابيًا صغيرًا، ساعده أصدقائه، أسماه مشروع الرجاء، المشروع هذا يتضمن أن يتطوع مجموعة من الناس لاستغلال وقتهم ومشاركة معرفتهم وقدراتهم مع عامة الناس.
 كان الأمر في البداية بشكل إلكتروني فقط من خلال المنظومات التكنولوجية مثل استخدام الشاشات والمواقع الإلكترونية وكان اللقاء يحدث بشكل طيفي في بيوت الناس، الموقع الذي يستخدمونه له خاصية البث في داخل مكان المرء بعد موافقة الأخير عليها.

والأمر ببساطة أنك حينما تفتح الموقع سيتم رؤيته بشكل دقيق وواضح على كل أرجاء غرفتك، ويمكنك التفاعل مع الموقع مثل الضغط والتغيير والبحث والتصفح وكل ما تفعله في المواقع العادية وهنا أكثر كذلك.

كل ما يحتاج إليه شخص هو شراء المستقبلات في الغرفة والتي أصبحت منتشرة بشكل هائل بسبب رخصها ومهامها المتعددة التي تستقبل وتبعث نوعاً من الموجات لإظهار الموقع والتي تكون قابلة للتفاعل مع حركة يديك بكل سلاسة.

مشروع الرجاء كانت بدايته هكذا؛ فالشخص الذي يعرف الرسم أو عزف الموسيقى كان يشارك وقته مع أي شخص يود أن يتعلم ذلك والأمر هو ممتع دائماً لكل الأطراف لأنهم يرونه كتقضية جيدة للوقت أو لقاء اجتماعي وليس كعمل أو مسؤولية.

امتد الأمر إلى الفنون والعلوم الأخرى مثل مجال التكنولوجيا والأحياء والرياضيات والفيزياء والنفس، والكثير من الناس بدأت تنضم للمشروع؛ سواء للإفادة أو الاستفادة، والبعض كان يدخل ويبحث فقط عن أي شخص ليكلمه لأنهم يشعرون بالوحدة أو الاكتئاب، وكان هذا المجال حيويًا، ثم تطور الأمر إلى اجتماعات وأمسيات للاستجمام أو العلاج الجماعي.

وليس هذا فقط، بل كذلك للجلوس وتبادل قصص الرعب التي كانت لها شعبية كبيرة جداً هي الأخرى.

بحيث أن المجموعات من مختلف أنحاء العالم يجلسون في غرفهم ربما في فراشهم أو على الأرض وشخص حقيقي يتكلم كأنه أمامك ولا تراه من خلال شاشة كبيرة أو صغيرة بل تراه كأنه شخص حقيقي معك في الغرفة.

وهناك المئات والمئات من الأفكار التي طرحها الناس في هذا المشروع؛ فهو في الأخير كان مشروعاً للتعليم والمساعدة والترفيه والمشاركة. كبر صيت المشروع وانتشر بكل مكان مما جعل فيكتور يفتح الشركة باسمه، وتحمل هذا المشروع بشكل قانوني ورسمي كامل على كل الدول في العالم. فيكتور العقل المدبر للمشروع وفي فترة قصيرة تطور جدا ولكن حلمه كان أكبر من أن يترك دراسته ليتفرغ لمشروع الرجاء. لذلك وكل الأمر إلى أناس يثق بهم لتمشية الأمور حتى يتفرغ هو لإكمال دراسته وهذا ما حدث.

في أول سنة من أيام الجامعة التقى أصدقاءه الذين أصبحوا مقربين جدا له وشاءت الأقدار أن يجتمعوا مع بعض. أول هؤلاء الأصدقاء هي منى... منى - مصر

بوجه شاحب متعب أطفأت "منى" الشاشة العملاقة المرتبطة بالمجهر الإلكتروني مغمضة عينيها البنيتين المرهقتين. أرجعت رأسها للخلف متكئة على مسند المقعد الجلدي هامسة: -يكفي هذا لليوم.

لم تكن تعلم أنها ستشتاق سريعا لجامعتها في أمريكا.. ترى ماذا يفعل الرفاق الآن في هذا التوقيت المتأخر بالقاهرة.. هناك صباح بأمريكا. حيث الحركة في أوج نشاطها بالجامعة، والرفاق بالتأكيد الآن في المقهى يمرحون ويتشاركون الأفكار وهي هنا وسط الأجهزة وحيدة. باقي من عطلتها أسبوع وتعود لتكملة أبحاثها لنيل ماجستير البيولوجي.

ماذا لو أطاعتها أمها ورافقتها فترة الدراسة. لإ راحتها من رحلاتها المكوكية كل فترة للوطن، ولما تعطلت قليلا في أبحاثها خاصة أن هذه أطول عطلة تأخذها استعدادا لمناقشة الماجستير قريبا.

فتحت عينها متأملة قاعة المعمل في جامعة القاهرة بأجهزتها الحديثة وجدرانها العتيقة. الفرق ليس كبيرا في التجهيزات المعملية، ولكن أن تكون منفردا وحيدا، لا تجد من تناقشه ويشاركك نفس الاهتمام، يجعل الساعات تمر طويلة مملة.

تمطت بحركات مدروسة لتزيل تصلب جسدها الصغير الممشوق. قامت من كرسيها مستمرة في حركاتها الرياضية لعل ذلك يبعث النشاط ويجري الدماء في أعضائها المخدرة من هذه الجلسة الطويلة.

لا بد من إطفاء الأنوار الزائدة عن حاجة غرفة المعمل وفصل بعض الأجهزة لترتاح من مرافقتها المضنية طوال اليوم. تركت غرفة المعمل الرئيسية الممتلئة بالأجهزة والمعدات التي تثن بصوت رتيب.

خلعت معطفها والقفاز، مطلقة شعرها الكستنائي.. وبوجه ذي ملامح جذابة وخطوات رشيقة ابتسمت متوجهة نحو معزل حيوانات التجارب. حيث داعبت مسعد ذكر الشمبانزي مواسية له.. وواعدته بأن رفقة جديدة من جنسه ستأتي لتؤنسه قريبا.

متأمللة عائلة الفئران البيضاء قائلة وهي تفحص الأم بعين خبيرة:

-سينقص عددكم غدا، ولكنك سترزقين بجمللة أولاد.. انتظروهم بشدة.. هم أمني في تأكيد صحة نظريتي وتجاري، أرجو أن يتحقق أمني في هذا الجيل من أولادك أيضا.

سمعت صوت صياح فرخ صغير في قفص بعيد أعاد لها ذكرى طفولة وهي تغادر الغرفة متوجهة عبر الممرات الكثيرة والمتفرعة.

ربما منذ ما يقارب عشرين عاما أو يزيد من كان يصدق أنها تلك الطفلة الصارخة هلعا من فرخ دجاجة صغير، ستكون دارسة للبيولوجي تتناول الحيوان بيديها تحقنه تطعمه.. ترأب نموه، وتشرّحه.

لولا أمها التي ضاقت بهلع البنت المرضي وتسلط الإخوة الصبية الكبار عليها بجلب أي حيوان أو طائر أو حشرة ورميهم عليها ليتمتعوا بذعرها غير التقليدي.

أنت لها من السوق يوما بفرخ دجاجة صغير ذي ألوان متألفة صبغه البائع لترغيب الصغار به.

صرخت منى كالعادة عندما أخرجته الأم من صندوقه الصغير وتركته أمامها على الأرض.

الصغيرة منى وهي تحضن والدتها قالت: "مسكين.. ليس له أم، وهو جائع".

ثم قالت: "أين أمه؟ هل ذهبت للسوق لتأتي له بالطعام؟".

ابتسمت الأم وقالت: "لا، أخذه البائع من أمه وإخوته وأنا اشتريته لأنه مسكين.. هلا نطعمه الآن معا؟".

نظرت منى لأمها بعيون فرجة، ولكن حضن الأم والرحمة التي في عينيها أقنعتها بمراقبة عملية الإطعام.

يوما بعد يوم وجدت أنها تطعمه وتتوق للمسه لكنها تتجنب ذلك في نفس الوقت.

احتضنتها أمها قائلة:

- الفرخ لا يخيف؛ الخوف بداخلك أنت.

وأمسكت أمها الفرخ قائلة: "ها أنا أمسكه، لم يؤذني".

كل كائن حي يا ابنتي، حتى الإنسان له نقطة معينة، تستطيعي أن عرفتيتها تجنب أذاه.

انتصري على الخوف بداخلك، تفتح لك الحياة، ومتعة يجرمك منها الخوف. بعد أيام من التقدم والتأخر استطاعت أن تحمله بيد مرتعشة.. صحيح أنها رمتها ما أن لامست جسده الدافئ لأول مرة، ولكن صراخه وضعفه وهو بلا حول ولا قوة في الأرض جعلها تحاول أن تربت عليه عسى يسامحها.

ومن يومها أصبح هذا الفرخ المسكين مفتاح باب تأمل الكائنات الحية بمساعدة أمها ومجالاتها العلمية المبسطة وزياراتهم لحديقة الحيوان الدورية.

حتى فاجأت الأم بطلبها:

-أريد أسدا.

فلقد شغفها ملك الغابة بزئيره وقوته. وبعد جهد وتوضيح، تفهمت أن

الأسد والثعبان ليست حيوانات تربي في البيت.

أفاقت من الذكرى على لفح هواء أغسطس الساخن المحمل بالرطوبة الخائفة عندما فتحت باب المعمل مودعة برودته الصناعية متوجهة لحديقة الجامعة حيث يتربص لها عم "علي" بعيون حمراء تطلب النوم. وقبل أن ينطق بأدبرته ضاحكة:

- نعم أغلقت الأنوار والأجهزة.. لن أجازف أن تحرمني من الساعات

الإضافية التي تتيحها لي للدراسة بالمعمل.

وأعطته في يده المبلغ الذي اعتادت إعطاءه إياه مقابل انتظاره معها منذ أسبوع يومياً.. لا مساعدة دون مقابل.

- لا أعلم ما الذي تبحثين عنه زائداً عن كل زملائك في هذا الليل؟ غيرك يا ابنتي يتمتع بشبابه ويخرج ويتنزه، وأنت تمكثين كي تحملقي في المجهر بالساعات حتى في عطلتك! من شابه أباه فما ظلم.. رحم الله والدك الدكتور عاصم.

- هذا البحث عشقي يا عم علي. أرغب أن أقضي على الأمراض.. تخيل عالماً بلا أمراض.. لن يموت أحبابنا ونحن عاجزين عن منع ألمهم أو التهام المرض لأجسادهم.

- يا رب يا ابنتي، يا رب سهل الله خطاك ومسعاك.

- سأحضر مبكراً لاستلام الحيوانات الجديدة التي طلبتها.. تصبح علي خير.

أخرجت هاتفها المحمول وضغطت عدد من الأزرار ثم أصدرت الأمر لسيارتها بالمرأب الإلكتروني.

- تعال إلى النقطة م 34 ص.

سرعان ما كانت السيارة تقف أمامها وركبتها.. معطية الأمر.

- توجهي إلى بيت عائلتي.

تم تحديد نقطة الانطلاق، ومن ثم نقطة الوصول على شاشة أمامها.. واتخذت السيارة طريقها بمرونة.

انطلقت موسيقاها المرححة قد برمجتها بالسيارة.

أريد موسيقا الراعي الوحيد.

تحولت الموسيقى المرححة للهدوء والشجن.

في هذه الحالة من الإرهاق لا ترغب إلا في هدوء وجو بيتها المنعش وبعض النوم. ويكفيها ما أجرته من صيانة لبعض الأجهزة الإلكترونية في المعمل اليوم. مفضلة إنفاق ساعة في الصيانة وإعادة البرمجة بدلًا من الانتظار للغد حتى يأتي المهندس المختص والذي قد يتحجج بأمور زائفة ويستغرق الإصلاح عددًا من الأيام حتى يزيد أجره.

شوارع المدينة ليست هادئة في هذا الوقت المبكر من الليل؛ فالناس تتناثر في الحدائق العامة بحثًا عن أي نسمة هواء بعيدا عن البيوت المقفلة.. فرغم تطور تكنولوجيا التكييف في التجمعات السكنية المغطاة بالكامل بشبكة غير مرئية من مخفضات الحرارة.. تطلق على أوقات منتظمة رذاذ خفيف من الماء لزيادة التلطيف مع امتصاص الرطوبة الزائدة بشوارعها الداخلية وأسواقها وحدائقها إلا أن الكثيرين يفضلون الخروج والتمتع بالهواء الطلق الطبيعي حتى وإن كان خانقا.

وصلت بعدها للبيت المكون من أربعة طوابق.. تقطنه أمها وإخوانها المتزوجين.

أمرت السيارة بالتوجه للمرأب الإلكتروني الملحق بالتجمع السكني الذي تقطنه.

بهدوء فتحت الباب الرئيسي مستعملة جهاز التحكم الخاص مستقلة المصعد بهدوء أشد حتى لا ينتبه لها أحد أخواتها أو زوجاتهن؛ فصوت الأطفال ومشاكساتهم مرافقة أصوات التلفاز ستغطي حتما على صوت تسللها الآن. لن تتحمل عرضًا جديدًا بالزواج أو لومًا على دفن نفسها وسط الخلايا وحيوانات التجارب والعمر يجري بها سريعًا. يكفي ما ستلاقيه من أمها.

وصدق حديثها. فها هي مدام "نعمة" جالسة مسترخية على كرسيها المفضل. في بهو البيت الذي يذكر بالمتاحف وإن دل كل ركن فيه على ذوق رفيع بهذا الأثاث الفخم العتيق وتلك الثريات التي تحيل الليل نهارًا أو التحف المتنثرة بدقة خبير هنا وهناك.

حيث كان يقع بجوارها كلب "منى" الهاسكي والذي قفز مرحبا بها دون صوت وإن كان مرحا مشاكسا حواما حولها.

تركت الأم كتابها بمجرد أن سمعت غلق الباب. وانتظرت انتهاء ترحيب "عنترة" ومداعبة "منى" له. لم تتحدث. لكن عينيها قالت كل شيء. تحولت في لحظات لطفلة تتلمس العفو:

- أعرف أنني تأخرت عن الغداء. سامحيني. لقد انهمكت في العمل ولم أدري الساعة إلا عند الانتهاء.

- يا ابنتي لا ألومك على العمل. ولكن الحياة ليست كلها عملاً. أنت الآن في عطلة من دراستك. هل تركت جامعتك في أمريكا لتنفقي عطلتك في جامعة القاهرة؟

دست نفسها في حضن الأم صغيرة الحجم مثلها متلقية قبلاتها:

- أتييت في عطلة لأجلك. ولكنك تعرفين لن أرتاح بالبعد عن أبحاثي، لا بد وأن أبحث أكثر وأراجع حتى في العطلة.

هانت يا أمي.. غدا ستأكد نظريتي. وأستعد لتدوين أطروحة الماجستير خلال شهور قليلة.

قالت الأم: الم تتأكدي عدد من المرات منذ شهور في أمريكا؟

قالت منى: أن مسؤولية حياة نسبة كبيرة من البشر، تستلزم إعادة التجربة عددًا كبيرًا من المرات حتى أتأكد إلا توجد أي نسبة بسيطة للخطأ أو الصدفة.. حلم سنين قارب على التحقق. أرجو دعائك.

- أدعو لك في كل صلاة. هيا، بدلي ملابسك لنأكل معا. طعام العشاء على طاولة. جهزته الخادمة قبل أن تذهب لصندوقها من أجل شحن بطارياتها للغد.

أنعشها الاستحمام السريع. وضغطت على نفسها التواقة للنوم كي تجالس وتشارك أمها الطعام.

بعد قليل من الحديث. تركت أمها مع كتابها. وتوجهت لغرفتها والتي تختلف كليًا عن الجو العام للبيت بحائطها الذي تتبدل ألوانه حسب حالتها المزاجية. والإضاءة التي تتغير أيضا بالأمر الصوتي منها.

يحتل ركن كبير منها جهاز حاسوبها صغير الحجم الضخم في السعة والذي برمج ليعمل في بيئة بيولوجية أي العمل داخل الخلايا. ملحقا به شاشة عملاقة توضح أدق التفاصيل في العينات التي تجري عليها تجاربها.

وتتناثر على الطاولة عدد من الشرائح البيولوجية وعدد من الأوراق والأقلام.. فما زالت تفضل الورقة والقلم في تدوين ما يعن لها. وعندما تستقر أفكارها. تدعه للماسح الضوئي ينسخه لحاسوبها.

وفي الركن الآخر سريرها المعلق وسط بضع نخلات ورمال شاطئ ثلاثي الأبعاد تبدو كالحقيقة رغبت بها منذ يومين كديكور مؤقت حيث تسمع صوت الأمواج تضرب بحنو الشاطئ. وتأتي إليها على البعد كل حين أصوات النوارس.

لم تستغرق في النوم سريعاً كما أملت. هناك الكثير من الخطط. وأمامها برنامج حافل يعتمد على عينات الغد، هل يتحقق حلم الطفولة وتتوصل للقضاء على الأمراض. ولا تفجع في مرض عزيز وغال.

أول معرفتها بغول المرض كان بمرحلة الطفولة المبكرة في صديقتها أمل رفيقة الفصل.. شاحبة دائماً.. منعزلة.. لا تلعب ولا تجري.. لمرض في القلب. عمليات اجتازتها أمل بجسدها الرقيق الصغير. ونوبات يزرق بها وجهها وشفاتها مع تلك الدائرتين التي تحيط بعينيها الكبيرتين الجميلة وتعجز عن التنفس.

وذاث يوم لم تأت أمل توقف القلب المتعب عن الخفقان وآن لجسدها أن يرتاح من العقاقير والحقن.. وظل مكانها بالصف بجوارها خال وإن لم يبرح طيفها المكان أو الوجدان.
واساها الأب:

-اجتهدي واجعلي من حزنك على صديقتك حافزاً للتقدم.. لتصبحي طبيبة وتعالجي الأمراض.

-ولم توجد أمراض! أنا لا أشكو من المرض.. لم أمل كانت مريضة؟ لم تكن تلعب، لم تعش وتمرح.. وماتت، أمل لن تحقق أي أمل من آمالها. لم هناك مرض؟ لن أصبح طبيبة؛ فطبيب أمل لم يمنع عنها الألم.. لم يبعد عنها الموت. ما فائدة الطب العاجز؟

ولم تمض إلا بضع سنين ووقع الأب صريع مرض السرطان.. كان المرض ينهشه بصمت منذ فترة طويلة.. قاوم.. لم يظهر الضعف، ولكن فجأة انهار كل تماسك وتغلغل المرض إليه، حتى أقل حركة منه أصبحت مؤلة.

ذهب رواء جسده.. ضعفت قوته.. انخفض الصوت الجهوري وانقلب
أناث خافتة مفتتة لنشاط القلب.. أصبح شبح ما كان، وتضاءل الجسم الرياضي
الطويل ليصبح حطامًا، لا يغادر الفراش إلا مستندا على الأيدي.

وانطفأ نور البيت بموته، وتمردت على مراقبتها وأنصجها حزن الفقد، وإن
لم تنس العزم على إنهاء المرض. لم يعد حلم طفلة أو تخيل مراهقة، بل هو عزم نبع
من الألم.. تأملت بفقد الصديقة والأب.

لا بد من عمل لتجنب مزيدا من الألم والفقد.

قاومت محاولات الإخوة لمنعها من أن تلتحق بكلية الطب. أنا لا أريد أن
أقاوم المرض. بل أن أمنع المرض. سأكون باحثة في العلوم الحيوية.. لا سرطان
ولا قلب ضعيف بإذن الله في المستقبل.

قدرة خلايا الإنسان كبيرة. لا بد من دراستها وإيجاد طريقة تمنع المرض؛
فكما تم القضاء على أمراض عديدة كانت منذ أعوام قلت أو كثرت تعتبر وباء
قاتلاً. أنا سأجد طريقة تمنع المرض كلياً. سأجد طريقة تجعل الخلية لا تمرض.

وقابلت الاستهزاء كما قابلت من شجعها على المضي قائلة:

-أنا أكيدة مما عزمت أن اكتشفه. هناك بوادر كثيرة تدل على ذكاء الخلايا.
سأستغل هذا لمنع المرض. فالميتوكوندريا لديها DNA منفصل عن الإنسان
وكأنها كائن ضيف عليه. خلايا السرطان ذكية جدا وتجعل الخلايا خادمة لها..
كريات الدم البيضاء تحارب وتقاوم أي جسم غريب.

أنا من سأدرس كل هذا واكتشف طريقة لينقرض المرض.

وها هو الحلم يتحقق وستأكد للمرة الأخيرة أن بحثها عن إعادة برمجة الخلايا عن طريق تقنية جديدة من ابتكارها بحاسوبها الحيوي ستنجح في القضاء على أي مرض يهاجم الخلية.

وهنا ينقسم اكتشافها لقسمين:

أولاً: تجعل الخلية تتقمص دور خلايا الدم البيضاء بالإضافة لوظيفتها المعتادة. فتلتهم المرض بمجرد دخوله إليها.

والقسم الآخر أن تلتهم الخلايا المجاورة الخلية المريضة حسب درجة تقدم المرض في تلك الخلية.

هذه كانت منى عاشت حياة من الطموح والحزن دون أن يثبت ذلك عزمها بل زادت إصراراً.

كان ذلك عاملاً مشتركاً ليجمعها قدرها ببقية الأصدقاء وأولهم فيكتور في الجامعة.

جامعة واشنطن - سياقل

صاح صوت الهارمونيكا بكافتيريا الجامعة ليقطع الهدوء مما أدى إلى تلويح البعض بأيديهم بسخط غمغات انزعاج من الآخرين ولم ينجل أحدهم من إطلاق شتيمة، بينما ابتسم البعض للمشهد اليومي انحنى صاحب الهارمونيكا بحركة مسرحية وكأنه يؤدي دورا بالمسرح قبل أن يزيل الوشاح المثلث على رأسه المنقوش بعلم أمريكا وقد صبغ وجهه المكتنز بحمرة مرح ولمعت عيناها الزرقاء بتحدٍ.. رفع أنفه الأفطس وجبهته البيضاء العريضة وجسده النحيف، وهو يردد بصوت عال:

- صباح الخير للجميع.

من خلف ماكينة صنع القهوة، ألقت منى نظرة استنكار تجاهلها ألبرت بابتسامة خفيفة وهو يشير لها بتوسل مصطنع:

- كوب آخر لي معك.

ذلك كان ألبرت الصديق والزميل في الجامعة.

خطى ألبرت تجاه منضدة مستديرة ملتصقة بالنافذة ليتخذ مقعده بجوار جوزيف، وهو يضم قبضة يده اليسار باتجاه صديقه الذي بادله التحية قبل أن ينطق جوزيف: لا يوم يمر دون موسيقا ألبرت.

ابتسم ألبرت لمنى بامتنان التي وضعت كوب القهوة أمامه وجلست بجوار جوزيف ثم تابع الأخير:

- حضور ألبرت دائما مختلف عن حضور الآخرين.

أدار ألبرت رأسه ناظر للمناضد المتناثرة هنا وهناك ثم تساءل باهتمام

- أين فيكتور؟

أجاب جوزيف وهو ينظر لساعته:

- أتوقع وصوله بعد دقائق لم تبلغ الثامنة بعد. مواعيد حضوره دائما منضبطة.

أخرج جوزيف من سترته كبسولات غذائية كبديل للطعام ابتلعها وهو بالجسد الرياضي وعيناه الثاقبتان الزرقاء وانفه الدقيق الصغير ووجهه النحيل وشعره الأسود المجعد، ثم قال ألبرت بسخرية:

- الطبيعة الروسية المشككة يا صديقي.. لقد انتهى عصر دس السم بالطعام منذ رجع بعيد.

حدقت منى بنظرة تحذيرية؛ فهي تعلم جيدا أن جوزيف من أصول عسكرية روسية.. عانى كثيرا في طفولته من التنمر زاد بطبيعة جوزيف الغامضة والمشككة من كل شيء وإيمانه بنظرية المؤامرات تجاهل جوزيف ألبرت فضغط على زر ساعته.

فتراقصت شاشة زرقاء أمامه فاحتقن وجه ألبرت أما منى فابتسمت وهي تقول:

- أن جوزيف قد انفصل عنهم بشبكة المعلومات المتنقلة بمعصم يده.
ارتشفت قليلا من قهوتها وتساءلت وهي تضع يدها بخصلات شعرها.
أتساءل إلى أي مدى ستكون سطوة العلم بالمستقبل.

أجاب صوت خلفها من أعلى رأسها:

- سيكون للعلم الهيمنة ما يمحو آثار كل ما هو مخز من الماضي البعيد.

ابتسم الجميع ليفيكتور بقامته الفارعة الذي استدار ليجلس بجوار ألبرت
بينما تابع جوزيف:

- ربما استطعنا القفز لفجوات زمنية ماضية لنعيد كتابة ما نريد.

تساءل ألبرت: - ما نريد؟

تابعت منى بنفاد صبر:

- فلنقل كلنا ينبغي أن يكون بعد إعلان ميثاق السلام الدولي الذي أجبر الجميع
على إيقاف الحروب وتناحر القوى العظمى بجنونها بقنابلها الحرارية
والجرثومية.. لقد كاد العالم يفنى بفعل ساكنيه.

أكمل فيكتور وهو يثبت نظارته الطبية على أنفه الدقيق بعينين خضراوين
وشعر كستنائي ووجه خمري نحيل وجبهة عريضة:

- لا يزال الكون بمرحلة تعمير نحن بأول خطواتها.

انطلق صوت آلي يقطع حديثهم ليخبر الجميع بالتوجه نحو القاعة رقم 7 بالطابق
الثالث، اجتماع مهم وطارئ لطلبة الماجستير.

أشار لهم ألبرت بحركة هزلية بمرح وهو ينهض ليتقدمهم، وهو يقول:

- اتبعوني.

سيتم اختيار خمس اختراعات من المتقدمين بأبحاثهم لمنظمة العلم الدولية
تحت رعاية الجامعة، من يرد تسجيل اكتشاف أو اختراع، فليقدم إلى الهيئة
الإدارية للجامعة، وسيتم تقديم الاكتشاف باسم الطالب.

وهناك نطق عميد الكلية بالكلمات لتضج قاعة الدراسة لطلبة الماجستير
بالتصفيق، مصاحبا لبعض صفارات المرح من الطلبة وتلويح للعميد بعلامة

النصر، فيما اكتفى بعدها بابتسامة ثقة قبل أن يتخذ خطواته للخروج من القاعة، يتبعه الطلبة وقد علت أصواتهم بمناقشات ثنائية وجماعية.

بينما اكتفى الأربعة أصدقاء بالجلوس داخل القاعة بمواجهة بعضهم
تكلم ألبرت بحماس:

- فرصة ذهبية لاكتشافك فيكتور.

نظر فيكتور له فتابعت منى مؤكدة:

- يكفي أن تكون مدعومة هذه الشهادة من الجامعة إلى المنظمة أنه تم اختيار هؤلاء المكتشفين من بين الآف من الناس.
قال ألبرت بعدها:

- إنها فرصتك يا فيكتور تقدم بنظريتك.

أشاح فيكتور بنظريه للنفاذة متظاهرا بالنظر للأشجار ثم قال:

- ما زال أمامنا طريق طويل ولا أعتقد أنه من الصائب أن أجعل الأمر مرتبطاً بالجامعة فقط، بل يجب التفكير أبعد من ذلك.

استغربت منى وهي تضع يدها على وجهها:

- هل تفكر حقا بمكان آخر غير الجامعة حتى تستثمر به نظريتك؟

لم يجب فيكتور مما دفع جوزيف للتكلم بحذر:

- إذا فعلت ذلك فضع في حساباتك مركز صين للعلم؛ إنه مكان رائع!

هزت منى رأسها باستنكار، ثم قالت:

- هذا معناه أن ينتظر رجال الأعمال لدعم نظريته سيقومون بتوثيقها وعرضها فقط عبر شبكات النت ومعه الآف من الاكتشافات وقد يتيه أو يبتلع الزحام نظرية فيكتور عكس منظمة العلم الدولية.

إذا تبنت نظرية فيكتور ستتولى الدعم المادي وتذليل كل العوائق المحتملة وجميع الاختبارات لإنجاح النظرية وسيحظى برفقة علماء داعمين له. فيكتور وهو يقوم من مكانه: معكم حق يجب أن أتمهل في الأمر وأجد ما هو الخيار الأفضل لي وللناس بشكل عام.

نظرية فيكتور

زفر ألبرت بضيق ناظرا لساعته:

- لم يتبق إلا القليل على انتهاء اجتماع طلبة الماجستير والأساتذة الدوري بقاعة الاجتماعات، من رأيي أن نتوجه للقاعة حالا؛ يبدو أن جوزيف سيتأخر. فإن موعد تقديم فيكتور لبحثه قد أزف.

نهض على الأثر فيكتور:

- معك حق لقد انتظرناه وقتا طويلا لعله أمر طارئ ما أخره.

للمت مني أوراقها قائلة:

- لا يرد حتى على هاتفه.. أمر غريب.

أسرعوا لقاعة المؤتمرات؛ حيث أماكنهم المعتادة في كل دورة، كل طالب اسمه على مقعده.

تفاجأوا بجوزيف على المنصة يتلوا بيانا من ملف متفخ بالأوراق في يده، وبعدما ألقى آخر كلماته من آخر ورقة عن تقدم أبحاثه. توجه لمكانه بجوارهم وجلس بهدوء هز رأسه هزة خفيفة كتحية لهم، أمسك فيكتور بيد ألبرت الذي استشاط غضبا وعلى وجهه الاحمرار مانعا إياه من الصياح وإن لم يمنعه من الهمس حنقا موبخا جوزيف الذي نظر له بهدوء وكأن شيئا لم يكن.

بينما بهتت منى غير مستوعبة تصرف جوزيف الغريب وإن كانت غرابته تلك ليست بجديدة؛ فهو لم يخبرهم أنه سيقدم أي نتائج أو يطلب الكلمة هذه الدورة.

نودي من قبل المنصة باسم فيكتور. فتوجه لها وما أن اعتلاها حتى ساد صمت شديد. فرغم تكوين جسمه العادي ببشرته الفاتحة وشعره الفاحم وملابسه الغامقة شديدة الأناقة.

قد لا يجذب أحدا بين الحشود إلا أنه عندما يقف في مكان أو يتحدث يخيل لمن يراه أنه عملاق يأخذ بمجامع العقول والقلوب بحضوره وكاريزمته الطاغية.

أخرج من جيبه جهازاً ضوئياً للعرض، يستخدم في الاجتماعات والجامعات لغرض العمل والتعليم، فظهرت على الفور صور حية من تحت المجهر الإلكتروني للخلايا، ودون أوراق نظر للحضور مبتسماً وبصوت عميق:

- نعرف جميعاً (الالتهام الذاتي في الخلايا) وهي وسيلة الخلية لتحافظ بها على مصادر الطاقة في الأوقات الحرجة خاصة في حالة نقص المواد المغذية أو الأكسجين؛ إذ تعمل على توفير الأحماض الأمينية اللازمة لبقاء الحياة داخلها واستمرارها، كما تؤدي دوراً مهماً في التخلص من العصيات التالفة أو التي فقدت وظيفتها وتساعد كذلك في القضاء على مسببات الأمراض من بكتيريا وفيروسات قد تهاجم الخلايا، ولقد بدأت معرفة البشرية عن الالتهام الذاتي عن طريق "كريستيان دودوف" والذي اكتشف الجسم المحلل وسماه "الليسوسوم" ثم جاء من بعده "يوشينوري اوسومي" والذي فضله تم النظر للنفجوات الخلوية لأول

مرة والتي كانت تعد وقتها *سلة قمامة الخلية* واكتشف تفاصيل أكثر عن إعادة التدوير في الخلايا، وكما نعرف توجد بصفة عامة ثلاثة أنواع من الالتهام الذاتي (التهام ذاتي كلي، وجزئي، والتهام ذاتي يتم عن طريق مجموعة من البروتينات الوسيطة تعرف بالأوصياء)، ورغم اختلاف هذه الأنواع لكنها تؤدي نفس الوظيفة وهي إعادة التدوير داخل الخلايا لتوليد "عملة الطاقة" ATP. وعرفنا الـ 32 جين المرتبطة بالالتهام الذاتي "ATG". واتضح أن الجسيمات البلعمة الذاتية من ضمن عملها إرسال إشارات إلى أجزاء من الخلية للبدء بعملية الانتحار الخلوي كأحد أشكال "الموت المبرمج للخلايا". وهنا يتركز بحثي وهو كيفية السيطرة على هذه الإشارات مع تثبيط عملية الالتهام الذاتي فتصل الإشارات بتحديد توقيت الموت للخلايا المريضة لتقوم فتموت بدلا من النمو والانتشار، باختصار أعلن أنني في طريقي للتأثير فيها. وبالذات على بروتين 5ATG والمعروف بدوره في الالتهام الذاتي والذي ينقسم كما تعلمون ويتجه للميتوكوندريا ليتحد مع بروتين xl-Bel لتبدأ عملية الموت المبرمج للخلية التي يبدأ فيها أي أعراض لأي مرض. هذا هو اكتشافي (جعل أي خلية مريضة تموت ذاتيا فلا يصاب أي كائن حي بالمرض). أشكر استماعكم.

وبكل بساطة أدار عينه في الجمع أمامه. مبتسما.. منهايا كلمته المختصرة للغاية وإن كانت جامعة وافية واتجه نحو أصدقائه. ظلوا لبعض الوقت منصتين لكلمة ختام الدورة من أحد الأساتذة.

وبعد لحظات علت ضجة بالقاعة حيث انتهى الاجتماع.
خرج الأصدقاء متوجهين إلى استراحة الجامعة، ما أن ابتعدوا قليلا حتى قالت
منى لجوزيف:

- لم تَقُل أنك ستقدم نتيجة بحثك اليوم؟
صاح ألبرت من مكانه مما جذب أنظار الجميع:
- عاداته في الغموض والكتمان في كل شيء.
ثم وهو يقف أمام جوزيف معترضا طريقه:
- لن أفهمك أبدا يا رجل.

تحرك جوزيف متجنبه بلطف ممزوج ببرود وأكمل طريقه.
بينما لم يعقب فيكتور بأي كلمة مكتفيا بالابتسام كالعادة وإن كانت كل
ابتسامة تحمل معنى.

توجهوا لمقهى الجامعة حيث بدأ ألبرت في خلع بدلته الرسمية وسط القاعة.
مظهرا تحتها ملابس الصارخة الألوان. وأسرع بارتداء منديل رأسه.
وأخرج الهارمونيكا وبدأ بالعزف عليها وسط إعجاب البعض واحتجاج
الأغلبية التي استطاعت أن توقفه عن عزفه، أو ربما غضبه هو ما جعله يتراجع
عما بدأه.

توجه لفكتور.

قال ألبرت: أن نتائجك تلك قد تجعل نتائجنا ونتاج بحوث كل العلماء لا
قيمة لها.

أجابه فيكتور: لا شيء في العلم عديم الفائدة. كل جهد يبذله العلماء هو
لخدمة البشرية وخدمة جميع النظريات الأخرى.

قال فيكتور: كلنا نحلم بالقضاء على المرض. بحث منى وبحني... "وبنظرة إلى جوزيف". وبحث جوزيف المخفي عنا.

كل واحد منا له مسعاه للقضاء على مرض. إما بمصل وإما بتفاعلات الجسم ذاتها. سواء بعلاج داخلي أو خارجي.

ألبرت وهو يجلس بالقرب منهم: ولكن تأكيداتك التي شرحتها لنا وأكدت نتائجها اليوم ستحدث ثورة. إنني فخور حقاً بصداقتك يا رجل.

-معك حق يا ألبرت. هكذا عقبته عليه منى. ثم توجهت لفكتور وقالت:

- ستقضي هكذا على مشكلة كبيرة كانت تنهي حياة الملايين بألم وعذاب. لن يتألم الإنسان بعد الآن. لن تتحسر القلوب وهي ترى أحبابهم يذبلون ويتألمون بفعل المرض.

لن يهدد أي كيان البشرية بحرب بيولوجية بعد الآن.

فكما تم إنهاء الحرب من أجل مصادر الطاقة باستخدام الطاقة الكونية وعم السلام الأرض منذ سنوات طويلة.

أن اكتشافك سيقضي على كل آلام البشرية الجسدية. وستنتهي سيطرة دول متقدمة دوائياً في الشعوب المحتاجة وتنتهي الاتجار بالدواء.

لن تكون هناك حاجة لنقل الأعضاء. ستقضي باكتشافك على مافيا تجارة الأعضاء. أنا أيضاً فخورة بك يا فيكتور.

ترك جوزيف ساعته التي كان يتصفحها أخباراً وصوراً ناظراً لفكتور ببرود:- أهنتك فيكتور حقاً اكتشاف سيغير من واقع البشرية.

رفع فيكتور يده مهدئاً لهم:

- الأبحاث ما زالت غير مكتملة بعد.

صاح ألبرت:

- يا رجل. تبسم ولا ترد وتجلس بكل هدوء. وأنت صاحب اكتشاف عظيم. لا بد من الاحتفال ثم اتجه لنصف القاعة وقال:
- نحن نحتفل باكتشاف ثوري. نحن نحتفل بفكتور "أبو العافية والصحة" فليقم الجميع ويرقص معي. هيا يا فيكتور هيا.
نظر له الثلاثة بهدوء مبتسمين بينما أطلق لحنجرته العنان مغنيا وراقصا جاذبا له الكثير من الطلبة وإن كان البعض قد أثر ترك القاعة بصخبها ما دام ألبرت بها.

بعد مرور عدة أيام..

أسند فيكتور رأسه لمقعد السيارة وهو يشعر بالارتياح رغم الإرهاق لأنه قضى يومه في مستشفى لأطفال السرطان، أغمض عينيه دقيقة وهو يتذكر زمرة أطفال السرطان ومراجعة بعض الدروس الصحية معهم.
السيارة كانت بالوضع الآلي ومتجهة نحو منزل فيكتور والليل أصبح دامسا.

بينما هو مستلق وعينه مغمضة، صدر صوت طارئ من السيارة:

هناك جسد مسجى بالطريق.

ظهرت بعدها صورة على شاشة السيارة؛ صورة هولوغرافية لغزال صغير مكوم على الأرض فارد أرجله الخلفية ضام أرجله الأمامية قرب رأسه وقد سالت منهم الدماء.

قال فيكتور بسرعة للسيارة: توقف في الحال!

رد العقل الإلكتروني لسيارته الذكية: من غير الأمن التوقف في الطريق أثناء الليل وهو مخالف للقانون!

غضب فيكتور ثم قال: حولي إلى القيادة اليدوية. فحصل ذلك. نظر فيكتور من حوله بسرعة وكان الشارع فارغًا بالكامل؛ فقام بالضغط على الكابح بكل قوة وتوقفت السيارة في الحال. يقوم بالالتفاف لخط السير الموازي بالاتجاه الآخر وركن سيارته على جانب الطريق قرب الحيوان المصاب.

اقترب منه وهو يقول للغزال: لا تقلق أنا صديق. راقب عيني الغزال الذي ظهرت عليه علامات الفزع فربت بهدوء على رأسه وحمله وهو يتجه صوب السيارة، وضع فيكتور الغزال برفق في المقعد الخلفي وهو يتفحص القوائم الأمامية له. سيارة فيكتور لها نظام متطور للطوارئ يقوم بتحليل نوع الإصابة من خلال حساسات ومجسات خاصة منتشرة داخل السيارة وخارجها. السيارة علمت أن فيكتور ليس مصابًا لذلك قامت بإعطائه الإرشادات الطبية.. ما الذي يجب أن يفعله بالضبط بعد أن قامت بمسح ضوئي على الغزال وتحديد مكان إصابته، النظام يستطيع التعرف إذا كان المصاب إنسانًا أو حيوانًا ذكرًا أو أنثى وكذلك إذا كان طفلًا أو مسنًا.

الإرشادات كانت كالتالي:

يمكنك استخدام الضمادات الحيوية بها مواد عضوية آمنة تمتص الشوائب تنظف الجرح وتوقف النزيف بالكامل من خلال فقط وضعها على مكان الإصابة.

يجب أن يكون هناك طبيب أو شخص مؤهل حتى يتزع هذه الضمادات بأمان. انفتح درج باب السيارة ليلتقط منها الضمادة الخضراء يضعها على الغزال هامسا له برفق ستكون بخير لا تقلق.

نظر فيكتور إلى الطريق قبل أن يتكلم مع السيارة.

"أريد التحول للقيادة الآلية والوصول لأقرب مشفى البيطري".

رسمت الخريطة على شاشة السيارة وتم تحديد المكان قبل أن يجيب الصوت الآلي.

بعد ربع ساعة توقفت السيارة أمام المشفى البيطري ليسلم الغزال للأطباء ويضع بضع عملات نقدية بماكينة المال.

بعد فترة ليست بالطويلة التفت فيكتور خلفه ليطالعه شرطي ذو وجه مكتنز وبشرة حمراء وعينين زرقاوين ضيقتين وشعر أصفر.

هز فيكتور رأسه بالإيجاب قبل أن يتحدث الشرطي وهو يخرج ورقة مخالفة. "لقد تم إرسال إشارة من سيارتك إلى مركز الشرطة تفيد أنك حولت القيادة الآلية إلى قيادة يدوية بطريقة غير آمنة وبعد ذلك ضغطت على الفرامل بشكل غير قانوني وخطر.

- تطلع له فيكتور للحظة ثم قال له: كنت أحاول إسعاف الحيوان.

أجابه الشرطي:

- أعلم يا سيدي هذا؛ فالسيارة صورت كل شيء، لكن ذلك لا يعني أن

نتجاهل القانون الموضوع.

صمت فيكتور قليلا وهو يعلم أن الشرطي يقوم بما عليه فقط.

قال له الشرطي: سيد فيكتور تفضل هذه المخالفة ويمكنك الاعتراض على ذلك في المحكمة ولكن تذكر أن العجلة قد أرسلت كل المعلومات بخصوص هذا الأمر.

فيكتور وهو يتكلم بصوت خافت: كان الطريق خاليا تماما وكل السيارات موجودة بأجهزة فرامل آلية.

عدل الشرطي وضع قبعته ثم أعطاه المخالفة وقبل أن يرحل قال إنه القانون.

تطلع فيكتور لورقة المخالفة ثم قال:

"ليس هناك قانون يمنعنا من مساعدة الغير".

نظر الشرطي له ثم هز رأسه وانصرف.

كل السيارات مزودة بنظام أمني متصل بقوات الطوارئ في المنطقة التي توجد بها السيارة.

إذا عُرِضَت السيارة إلى عطل أو حادث أو شيء غير طبيعي عن النظام الموجود ترسل إشعارًا إلى المراكز الأمنية وكذلك تغذية حية للأحداث أن احتاج الأمر.

السماء بدأت تمطر.. أطلق فيكتور نظرة على المشفى قبل أن يصدر الأمر للسيارة بالعودة للبيت.

فتح فيكتور باب غرفته ليستقبله قطه كعبول بحركة دائرية حوله فابتسم فيكتور وهو يتكلم معه: - تأخر موعد عشائك اليوم.

سكب فيكتور الطعام للقط في الإناء المخصص له وهو يقول:

- كنت مع صديق يحتاج للمساعدة.

لحق فيكتور الطعام بسرعة محدثا ضجيجا فابتسم فيكتور:

- لقد ذكرني هذا الصديق بك.

توقف القط عن الأكل ورفع وجهه لفكتور وأذنه فتابع فيكتور وهو يضع يده على ظهر القط.

"أجل.. ذكرني بك يوم وجدتك منذ أشهر حينما كنت ترتجف والسماء تمطر تتبعت صوت موائك الهزيل، لأجذك عالقا ببركة ماء ضحلة. وأنا عائد من الجامعة كان بك من الضعف والاستجداء.. ما يكفي لأتخذك رفيقي وأبأشر تطعيمك كطفل صغير وأمارس المسؤولية تجاهك".

تساقطت بضع حبات من المطر على زجاج النافذة فسار فيكتور ليشاهد المطر من خلف النافذة يتبعه كعبول ثم تسلق على كتفه ووضع وجهه قرب عنق فيكتور.

في اليوم التالي..

ضم ألبرت قبضة يده لمصافحة جوزيف وفيكتور ومنى الذين بادلوه التحية قبل أن يجلس بجوارهم بمنضدتهم الدائمة جوار النافذة قبل أن يتكلم فيكتور بدهشة:

- صباح يبدأ دون هارمونيكا ألبرت! الكافيتريا تفتقد صدح الموسيقى حتى المتذمرين منها.

تطلع ألبرت للنافذة قبل أن ينطق بهدوء.

"أعاني من صداع قاتل".

ابتسمت منى وهي تحدّثه: بل الصداع يعاني منك!

تطلع جوزيف لهم وتكلم بحماس:

- هي خمسة عشر دقيقة فقط وتبدأ المحاضرة فلنستعد.

ألقت منى نظرة جانبية على ألبرت الذي نهض وهو يهمس بصوت هادئ
"لي رغبة بشرب قهوة سوداء هل ترغبون مثلي؟".

حينما لم يجد ردًا اتخذ خطواته صوب مقهى الجامعة هتفت منى بصوت
هادئ وهي تتطلع لألبرت وهي تخشى أن يلتفت فجأة فيستمع لها: أن ألبرت
يعاني من ضائقة مالية.

بدا على وجه فيكتور الاهتمام قبل أن يتساءل بجدية:

- ما هو نوع الضائقة يا منى هل هو إلزامي؟ أو عسر مادي لشراء أشياء
ضرورية وجب الآن وجودها؟

همست منى:

- أظن أن ألبرت قام بشراء أدوات كثيرة لاكتشاف ما، ومعه احتاج لصرف
مبالغ كبيرة على تجربتها مرات عديدة، وهو مستقل بحياته كما تعلم ووجب عليه
التزامات لمسكنه ومنحة الجامعة الشهرية قد نفذت بالكامل على شراء الأدوات

همس فيكتور لها:

- لا بد أن نجد حلاً لهذا.

تبادلا منى وفيكتور نظرة تفكير.. أما جوزيف فلم يعلق ولم يظهر اهتمامًا.

تابعت منى:

- تعرف ألبرت يرفض الحديث عن المساعدات المادية من أحد.

اكتفى فيكتور بالصمت وهو يشاهد ألبرت يتخذ مقعده ثانية ويرتشف

ببطء قهوته.

أعضاء فيكتور ساعته الذكية ثم ضغط على بعض الأزرار قبل أن يتكلم بصوت هادئ:

- إعلانات عن ساعات عمل مؤقتة.

تساءلت منى وهي تبسم وقد فطنت لمغزى فيكتور:

- ما هي طبيعة العمل؟

أجابها وهو ما زال يتفقد ساعته:

- مرافقة طفلين توأم لمدة ثلاث ساعات مع شرط أن يلتزم المرافق ببيت العائلة لحين عودة الوالدين.

قالت منى: مهمة ومسؤولية حقاً.

تابع فيكتور:

- وهناك عمل آخر إعادة طلاء مكتبة قديمة وترتيب كتبها وفق ترميزها.

قفز جوزيف من مكانه وهو يقول: مهمة شيقة خصوصاً الكتب.

أكمل فيكتور كلامه:

- وهناك شيء آخر أكثر تشويق يحتاجون إلى عازف لمدة أسبوع فقط لعرض أطفال.

ألقي جوزيف نظرة جانبية على ألبرت ثم قال:

- حفلات عروض الأطفال لا تتجاوز العاشرة مساءً، أكيد ستبدأ من

الثامنة.

تابعت منى: المدة الزمنية تبدو معقولة.

يمكن للمرء اقتصاص جزء من الوقت للعمل لا يهدر بها وقت الدراسة

وغير مقيدين بها طوال العام.

تساءل ألبرت:

- أي نوع من العزف؟

فيكتور: هارمونيكا، هل ترغب بإضافة اسمك للمتقدمين؟

أوما ألبرت برأسه إيجاباً فضغط فيكتور الزر بثقة ليضع بياناته مسرعاً.

ابتسم فيكتور وهو ينظر إلى ألبرت:

- علامة المرور الخضراء استقبلت البيانات وترغب بسماع بعض من موسيقاك.

أخرج ألبرت الهارمونيكا قبل أن تشير له منى وهي تقول:

- فليكن عزفك أغنية للأطفال.

شرع ألبرت بالعزف مع تصفيقهم وحين انتهى هتف فيكتور وهو ينظر للشاشة: التقييم خلال دقائق.

ينظر فيكتور للشاشة التي تألقت بوصول رسالة، ثم صمت مع ابتسامة وهو ينظر لألبرت

- تم قبولك أيها الأحق هنيئاً لك.

ارتفع تصفيق حاد منهم قبل أن يقف ألبرت ثم ينحني بحركة مسرحية فارتفعت ضحكاتهم.

في اليوم التالي..

استمع ألبرت للصوت الآلي -المراقبة الأمنية- للمنزل يفيد بوجود زائر

ابتسم ألبرت وهو يضغط الزر الأخضر للسماح لفيكتور بالدخول وهو

يصيح بفرح:

- أخيراً لبيت الدعوة لزيارة المنزل.

ضم فيكتور قبضته ليلامس قبضة ألبرت وهو يقول له بمرح:
 - زيارة النجوم بها رهبة لا بد من التأني بها.
 رد ألبرت بدهشة: نجوم! نجوم!
 فرد فيكتور يديه: نجوم الهارمونيكا.
 ابتسم ألبرت ثم تابع بمرح وهو يتجه إلى آلة صنع القهوة المثبتة بالجدار.
 "بالحقيقة يا رفيقي، العازف في ورطة ويحتاج إلى استشارة بخصوص
 اختراع له".

يقولها ألبرت بينما نوع من الإحباط يحيط بوجهه.
 يلتقط فيكتور كوب القهوة من ألبرت وهو ينصت إليه.
 ويمجول ببصره بأركان المنزل المكون من ثلاث غرف وهو يقول: حسنا.. ما
 الذي حدث؟

همس ألبرت بضيق: هناك عوائق كثيرة والأمر بدأ يخرج عن سيطرتي.
 ارتشف فيكتور قهوته قبل أن يجيبه بهدوء:
 - هناك أشياء كثيرة بهذا الكون، الحمد لله أنها على طبيعتها الأولى منها
 القهوة.

ابتسم ألبرت ابتسامة باهتة فتابع فيكتور وهو يضع كوب القهوة جانبا.
 فيكتور: هل لي أن ألق نظرة على الاختراع.
 اتجه ألبرت إلى الغرفة من الغرف المغلقة التي تحتوى على منضدة معدنية
 دائرية كبيرة عليها مجموعة من الخامات المقطعة والأدوات المتناثرة.
 وميكروسكوب ومجموعة من الأدوات الزجاجية وعلى أرض الغرفة قد
 تراصت ومجموعة من اللعب الفارغة والممتلئة.

اتجه نحو إحدى اللعب ليخرج بلورة فضية كبيرة أطلقها لتحوم بضع ثوانٍ بالغرفة قبل أن تعود إلى العلبة مرة ثانية من دون إعانة أحد.

التقطها فيكتور ثانية وتمعن بها جيدا قبل أن يقول:

- هل هذا جهاز تنقية للهواء؟

هز ألبرت رأسه إعجابا بصديقه وتابع بحزن:

- هو كذلك. بلورة تنقية الهواء من ثاني أكسيد الكربون والشوائب كافة،

لكن للأسف لم ينجح الأمر بعد.

تساءل فيكتور وهو يعيد البلورة للعلبة: كيف؟

قال ألبرت: كانت فكرتي أن تحوم البلورة مسافات شاسعة وتنقي الهواء

ولكن نظرا لتداخل الخامات والمواد أدت لثقل البلورة؛ فطيرانها محدود.

أجابه فيكتور وهو ما زال يتأمل البلورة: هل جربت استبدال المواد حتى

تخفف من ثقل البلورة؟

ألبرت: جربت كثيرا ولكن دون جدوى.

صاح فيكتور بحماس: الاختراع ناجح يمكن للكثير الاستفادة منه.

تساءل ألبرت بدهشة: كيف؟

رد عليه فيكتور: عمال المصانع مثلا.. يمكننا الاستغناء عن البلورة ووضع

الجهاز بالملابس.

بدا ألبرت مندهشا بعض الشيء قبل أن يتمتم بانبهار: يا لي من غبي كيف لم

أفكر بهذا من قبل!

صافح ألبرت صديقه على فكرته ويرى أن الأمر سينجح هذه المرة.

ألبرت: هل نسوق له؟

هز فيكتور رأسه بالنفي: لا، سنعرض الأمر بشكل مباشر على عدد من المصانع والمطاعم. من يستجيب لك أولاً بع له الجهاز. والآن، أين ساعتك المستقلة؟

ابتسم ألبرت وهو يجيبه: ثوان يا صديقي وسأنشر الأمر على الملأ. أدخل ألبرت عرض الاختراع لعدد من المصانع والمطاعم قبل أن يودعه فيكتور وهو يهم بالانصراف: طابت ليلتك ألبرت. أدار مقبض الباب للخروج حين تألقت الساعة بضوء أخضر. أشار فيكتور لألبرت بعلامة النصر.

أحياناً الشخص قد يستغرق وقتاً طويلاً لحل مشكلة معينة ويأتي الآخر ويحلها في نفس اليوم، هذا لا يعني بالضرورة أن الشخص الثاني أذكى أو أفضل من شخص الأول.

ربما الثاني لديه معلومة أو تجربة لم تمر على الشخص الأول وهذا حال ألبرت. لذلك من قوانين هذا الكون أن نسعى دائماً لمشاركة ما هو مفيد مع الآخرين وكذلك في نفس الوقت أن لا نتردد بطرح الأسئلة أو طلب المساعدة أن احتاج الأمر.

في نهاية ذلك اليوم، استلقى فيكتور في فراشه وبغير عاداته شعر بثقل كبير في العينين وغط في نوم عميق كأنه لم ينم من سنين.

في الصباح بقي فيكتور في فراشه وهو ينظر إلى السقف لأكثر من نصف ساعة، هناك ما خطف تفكيره، مر عليه حلم جعله في مرحلة تفكير عميقة أو مرحلة لا تفكير، لا يتذكر منه إلا ومضات حول شخص أو أشخاص ويتذكر منطقة معتمة ولكن هناك جسراً فيه نور من حوله.

ويتذكر شجرة مضاءة لا يستطيع أن يبلغها سوى أنه يراها وهي مضاءة بشكل عجيب من ذاتها في الظلام، يتذكر ومضات سريعة عن طاولة ضخمة وأشخاص يجلسون معه. يتذكر نفسه وهو ملقى على الأرض.

ما شغل تفكيره أنه شعر ما لم يشعر به من قبل؛ لقد كان الأمر نقيًا لدرجة لم يعرف بها هكذا نقاء من قبل.

لم يصدق أن ذلك يراه كحلم عابر ولقد كان حقيقياً جداً وهو يراه ويشعر به ويعيشه، الحلم لم ينته عند استيقاظه.. أيقن فيكتور أن هناك ما تغير بأعماق نفسه إلى الأبد حتى أن كان لا يتذكر ما حلم به.

بعد مرور عدة أيام جاء هذا اليوم حتى تتبدل به أقدار كل من الأصدقاء. في بقعة ذات ألوان خضراء هادئة. تجمع ما بين غرفة النوم بالسريير الواسع وغرفة معمل بمنضدة عليها عينات معملية وعدد من أجهزة الحاسوب المختلفة. ملحق بها مكتب عتيق الطراز بكرسي جلدي وثير وحيطان منتشرة عليها أرفف الكتب.

قام فيكتور من نومه مبكراً على صوت أزيز مصعد شقته معلناً أن هناك من ينتظر بالأسفل ليعطي فيكتور الأمر للمصعد بالصعود.

خرج مجتازاً مرراً قصيراً تفقد شاشة مراقبة الطريق أمام البناية فوجد شخصاً لا تظهر معالمه من طاقة يعتمرها تحمل شعار إحدى شركات الشحن.

تذكر أنه طلب كمية من الكتب العلمية مؤخرًا.

أعطى الأمر للمصعد بالصعود، وفتح الباب؛ ليجد مغلفاً صغيراً على الأرضية.

تناوله مقلبا فيه باستغراب. ثم توجه لركن يعد كمطبخ مخاطبا آلة القهوة:
 - قدح من القهوة الثقيلة من دون سكر.
 فتح المغلف ليجد رسالة طويلة نسبيا. تغيرت ملامحه الهادئة وظهرت عليه
 الحيرة مع إعادة القراءة.

تناول كوب قهوته إثر أزيز الآلة معلنا انتهاءها منه.
 توجه لغرفة المعيشة حيث كتبه وأريكته المفضلة. تناول من على الطاولة
 القارئ الإلكتروني.

تمدد على الأريكة مفكرا. ما هذه الدعوة الغريبة. ما الخطوة التي يجب عليه
 أن يخطوها الآن؟

بعد تلك الدعوة كل شيء بدأ يتغير في حياة فيكتور أولا وحياة الآخرين
 لاحقا..

حول أكواب القهوة الساخنة وبقايا البيتزا الشهية.. جلس الأصدقاء بانتظار
 فيكتور.

رشف ألبرت من كوبه وهو متململ من ركود الجو حوله وهدوء الكافيتريا
 في هذا الوقت المتأخر من اليوم وهو يقول:

- ألا تلاحظون فيكتور في الأيام الأخيرة؟ لا يأتي بانتظام للجامعة وحتى
 عندما يحضر يكون هادئا أكثر عن عادته. لم أراه قط هكذا منذ تعارفنا.

تنهدت منى قائلة:

- قد يكون قلقا من أجل بحثه.

رشفت ما تبقى في كوبها من القهوة ثم أردفت:

- كم أرغب بمقابلة البروفيسور جاك كونور. أتمنى أن يحالفني الحظ بالعمل معه.

تشاءب جوزيف محركا ذراعيه وعضلات صدره العريض جالبا لنفسه بعض النشاط:

-ومن لا يتمنى ذلك؟! ولكن الالتحاق للعمل معه له شروط عسيرة جدًا لم أجدها في أي مؤسسة علمية من قبل.

بعض من قبلهم للعمل معه قبلوا على أسس غير منطقية وإن كانوا جميعا قمة العبقرية والتميز في مجالهم.

قام ألبرت ودار قليلا حولهم متابعا ما يقوله جوزيف ثم أكمل الأخير:
- نعم، يقال أن البروفيسور صعب جدا إرضاءه من الناحية العلمية. فهو شديد الدقة. يرغب بالقمة في كل شيء. رغم نبوغ كل واحد منا لكنني لا أعتقد أنه سيقبل أحد منا في مجموعته.

قال ألبرت وهو يعود مرة أخرى لمقعده
- مرحبا بالسيد شك. إلا تتكلم أبدا بما يجلب الأمل؟ ولم قدمت بحثك إذن؟

جوزيف: نعم، أن الالتحاق بمؤسسة البروفيسور صعب جدا. ولا أحد يعرف على وجه التحديد ما يجري في المحمية. لأن المحمية تعتبر باتفاق دولي أرضا إندونيسية وسط الولايات المتحدة كالسفارة الإندونيسية تماما.

ولكن الاكتشافات التي يطلع العالم عليها كل عدة شهور مذهلة بحق. كم أتمنى أن ألتقي هذا الرجل وأعمل معه.

هنا رن هاتف جوزيف والذي استمع هنيهة ثم قال:

- حسناً.. سأخبرهم.
أغلق الهاتف. وقام من مكانه:
- فيكتور يريدنا عنده في شقته.
بقلق تساءلت منى:
- هل به شيء؟
رد فيكتور وهو يتناول سترته من ظهر مقعده:
- لم يقل إلا أحضر أنت والأصدقاء حالا.. سنستقل سيارتي.
توجه الثلاث لموقف السيارات واتخذ كل منهم مكانه. وضغط جوزيف على
الخريطة أمامه محددًا موقع البناية التي يقطنها فيكتور.. حيث توجهت السيارة
بعدها أخبرهم صوتها أن المسافة ستستغرق 10 دقائق.
صاح ألبرت حائقا:
- 10 دقائق؟ في هذا الوقت الهادئ؟ سأموت من الملل.. سأعزف لكم.
صاحت منى:
- أرجوك يا ألبرت ليس هذا وقته.. إلا يقلقكم استدعاؤه لنا في البيت؟
رد جوزيف وهو يريح رأسه على مسند مقعد القيادة مغمض عينيه:
- لا تهولوا الأمر. سنعرف بعد قليل.
بغيط تساءل ألبرت:
- كيف كان صوته يا ملك الثلج؟
- مضطربا ومتحمسا في أن واحد.
استدار ألبرت بكامل جسده ليوافقه جوزيف في مقعد القيادة المجاور له
وقال بغيط:

- وتقول لا تقلقوا! أياكون مريضاً؟ ولم استدعانا جميعاً؟ وللمنزل؟
لم يجبه جوزيف. فأخرج المارمونيكا ليعزف لحناً هادئاً حزينا على غير العادة.
فتح باب المصعد داخل شقة فيكتور. والذي توجه بهم وسط رفوف الكتب
الموجودة في كل مكان حولهم نحو البهو ورغم اتساعه إلا أنه بدا ضيقاً برفوف
الكتب المحيطة بجدرانه الأربعة إلا من نافذة تطل على حديقة غناء.
اتخذوا مقاعدهم بعد أن أزاحوا بعض الكتب عنها وسط تدمير ألبرت: كتب
في كل مكان! من أين لك الطاقة لقراءة كل ذلك. لولا تقنيات علاج البصر
والعدسات اللاصقة البايونية وتقنية الواقع المعزز لكنت أعمى ونسحبك من
يدك الآن.

صمت على إثر ملاحظته الاضطراب البادي على وجه فيكتور.
بهدوء توجهت منى: خيراً؟ لقد قلقلنا عليك.
ظل فيكتور واقفاً وأخرج من جيبه رسالة: - وصلتني هذه الرسالة يدويا
للبيت. إنها دعوة من البروفيسور جاك، ولكنها دعوة غريبة.
بحماس ترك ألبرت مكانه وجلس بجوار فيكتور:
*هل ستلتحق بالعمل معه. هل سيتبنى اكتشافك؟
بضيق نظر له جوزيف:
- يقول دعوة، إذن لحفل أو غداء.
قالت منى وهي تلاحظ صمت فيكتور:
- اصمتا ليقول لنا.
فتح فيكتور المغلف وأسرع بفرد طيات ورقة الدعوة.
تحملى منى وألبرت بشوق بينما ظل جوزيف مسترخياً مكانه.

كانت الرسالة بخط اليد بلغة إنجليزية قوية وبحروف منفصلة وإن كان الجزء الأخير حروفه متمزجة ومتشابكة. معظم الرسالة كتبت باللون الأسود يتخلله أسطر بالوسط باللون الأحمر. وهناك بقعة حمراء في طرفها الأسفل. وتتناثر أرقام عشوائية بها.

كانت عبارة عن بنود مرقمة.

- اجلسوا لأقرأ لكم ما فيها.

اتخذ كل من منى وألبرت مكانهم. جلس بالوسط عارضا أمامهم على الطاولة الدعوة.

1) يسرني حضورك لمحمية بروفيسور جاك كونور يوم 20 أغسطس القادم. الساعة الرابعة عصرا بالتام. أمام بوابة المحمية رقم 6.. ملاحظة: توجد غرف مسح إشعاعي عند المدخل.

2) أحضر معك بحد أقصى ثلاثة أصدقاء ثقة. مع التعهد بالمحافظة على سرية المكان وسرية الدعوة.

4) يجب...

هتف ألبرت مقاطعا: - 4؟ لم تقل البند 3.

أجاب فيكتور: لا يوجد بند، 1. 2. ثم 4

4) يجب أن تحضر القط معك.

صاحت منى: كعبول؟

صاح مواء القط لمجرد سماع اسمه وكان قد تسلل للرقاد في حضنها بمجرد دخولهم المكان.

- مستغربا قال جوزيف:
- قط؟ وما دخل القط بهذا؟ ومن أين للبروفيسور بمعرفة أن لديك قطاً؟
- داعب ألبرت القط:
- كعبول أيها المحظوظ. علماء كثر يريدون دخول المحمية وأنت مدعو من قبل البروفيسور شخصياً؟
- قام جوزيف من مكانه مقاطعا بضيق:
- دعنا نسمع الباقي. قل يا فيكتور.
- أكمل فيكتور بهدوئه المعتاد.
- (5) لا تحزن الثمار قبل موعدها.
- (6) لا تثق بأحد هناك.. حتى من معك.
- (7) إلى الغرب.. حيث الماضي.. تتجلى الأم. المس نور الحقيقة.
- (10) رفع وجهه عن الورقة قائلاً:
- نعم 10. ثم نظر للورقة مرة أخرى ليتلو.
- الشرطين الآخرين اختياريين. لكن في حال تنفيذها ستكون هناك جائزة قيمة تستحق العودة من أجلها.
- وأخيراً هذه الجملة بالأحرف المتشابهة ((القطعة بإمكانها أن تنام مع الطيور في أفقاصها الكبيرة، ولكن الماء ينفذ إذا ما اشتدت الحرارة)).
- طوي الورقة بهدوء. ثم نظر لكل منهم على حدة متسائلاً:
- ما رأيكم؟
- تساءلت منى:
- ما هذا الكلام العجيب! ما هي مدة الدعوة؟

لم يحدد المدة.. فقط كما ترون تاريخ اليوم والشهر والساعة بالتحديد.
قال فيكتور: ربما الشروط الباقية ستواجهنا لاحقا في وقت ومكان ما؛ لذلك
يجب أن نسترعي الانتباه جيدا هناك.

منى وهي تنظر إلى الدعوة بنوع من القلق: ماذا عن الكتابة الممتزجة وما
قصده بالقط والطيور؟
فيكتور وهو يحاول فك هذه اللغز وعدم التسرع في الإجابة، اكتفى بقول: لا
أعلم.

لكن بداخله قد قرأ سابقا على علم الخطوط وتحليل الشخصيات ووضع
خيط ممتزج في مقالة كاملة مؤلفة من حروف منفصلة معناها أن هذا النص يمثل
مشكلة أو معضلة معينة.

كذلك ربط تفكيره بالقط والطيور والعلاقة بينهما قد تكون مفترسة وخطرة،
ولكنه لم يشارك هذا مع أصدقائه لأنه لا يقول ما يظن به فقط من دون دليل
قاطع.

بعدها قام بتثبيت الورقة على المنضدة بينهم. ليتأملوها.
تساءل ألبرت مشيرا لطرف الدعوة. وهو يقوم من مكانه متوجها لركن
المطبخ الملاصق للغرفة.

- ما هذه البقعة الحمراء بالطرف؟

رد فيكتور:

- لا أعرف. هكذا وجدتھا.

ردد جوزيف منحنيا يتأمل الدعوة:

- ثلاثة أصدقاء ثقة. أليس غريبا أن يرسل البروفيسور دعوة مهمة جدا وخاصة جدا لفكتور، ولكنه يقول بإمكانك جلب ثلاثة معك؟ ثلاثة؟ نفس عددنا. نحن مع فيكتور كل يوم.

عاد ألبرت حاملا قرح القهوة وشطيرة وقال بلهجة مغيظة:

- قال بحد أقصى، أي من الممكن أن لا نأخذك معنا يا جوزيف.

تجاهل جوزيف الأمر.. بينما أرسل فيكتور نظرة معاتبة لألبرت.

أغمضت منى عينها مطأطأة رأسها للخلف:

- غريب أمر هذه الدعوة.. بها ألغاز كثيرة.. والأغرب، الشروط غير

المذكورة!

- حلم لي أن أرى المحمية وأطلع على إبداع البروفيسور ومجموعة عمله بها.

طبعا معك.

قال ألبرت وهو يأكل بالشطيرة:

- هل هذا سؤال يا رجل؟! رحلة مجانية. وسفر ومرح.. طبعا معك.

التفت فيكتور نحو جوزيف. الذي هز رأسه بهدوء:

- معك.

- وأنت يا كعبول؟

طرف القط بأذنيه محملا رافعا ذيله علامة الموافقة.

- إذن نجتمع غدا هنا بالبيت حتى نحافظ على السرية كما أخبرتنا الدعوة.

لنحضر ترتيبات السفر.. تأخر الوقت الآن. وأنت ومنى معتادين النوم باكرا.

ألبرت: أنا سأبقى قليلا مع فيكتور. ووصل أنت يا جوزيف منى. سأتصل

بكم لنحدد ما نفعله غدا.

ما أن غادر جوزيف ومنى المكان. حتى تحول ألبرت لفكتور:
 - وما لزوم أن يحضر جوزيف معنا. البروفيسور كتب بحد أقصى ثلاث.
 يكفي أنا ومنى معك؛ إنى استثقل هذا الرجل.
 ابتسم فيكتور همدوء وهو يتمدد على الأريكة متناولا كتابا.
 - كف عن إزعاجه يا ألبرت. جوزيف صديقي مثلك ومنى.
 - إنه شكاك وحذر وهادئ بطريقة تثيرني.
 قال فيكتور: جوزيف بداخله طفل خائف حذر من الإيذاء والألم.
 قام ألبرت غاضبا أمامه قائلا:

- طفل؟ هذا العملاق! كتلة العضلات المتنقلة هذه، بداخله طفل!
 - جوزيف صديق طيب.. عرفته أكثر منكم في الأعمال الخيرية والاجتماعية
 التي تشاركنا بها. لا تندهش هكذا. نعم جوزيف يتطوع لمثل تلك الخدمات، ولا
 يجب أن يتحدث بذلك. من خلال تجاورنا ومعايشتنا لظروف بعض الناس
 المؤلمة. أخبرني جوزيف أنه كان طفلاً نحيفاً ضعيف الصحة والبنية. وكان محل
 سخرية زملائه في المدرسة والشارع. عُرض للتنمر المستمر وإن لم يؤثر ذلك في
 تفوقه والذي ربما أثار حفيظة المتنمرين عليه أكثر.. في مرحلة صباه. تعلق قلبه
 بزميلته "افلين" أجمل بنات المدرسة وأكثرهم إشراقا ومرحاً وذكاء، ولدهشته
 وجد منها تجاوب؛ فتعلق بها أكثر. وعرفها إلى والديه وكانت تصاحبه طوال اليوم
 حتى خارج المدرسة حيث يلهوان أو يؤديان فروضهم وأبحاثهم معا. وفي يوم
 حشد رياضي بالمدرسة وجد أن خطابات لها وهداياه ملقاة وسط ملعب المدرسة
 يتقاذفها الجميع ليتلوا جملاً من الخطابات، ويلعبوا ويمزقوا الهدايا وهي وباقي
 الزملاء يسخرون منه ومن أسرارته التي أفشتها لهم. وأصبحت حياته عارية أمام

الجميع.. وتعالى صوتها ساخرة.. كيف لرئيسة المشجعات أن تنظر لمثل هذا الهيكل العظمي والذي سيثير أن تنفس أحد بجواره بقوة.. كانت صدمته في أفلين كبيرة. نفسياً، الخذلان المفاجئ وغير المتوقع يجعل الشخصية العقلانية أكثر حذراً وشكاً، والشخصية العاطفية أكثر انعزاًلاً رغم الصدمة النفسية. كان ما فعلته معه حافز له ليبنى جسمه صحياً ورياضياً؛ فأصبح ذلك العملاق المجروح. جوزيف صديق وفي. ستعرف بمرور الأيام كم يحبك رغم جنونك معه.

قال فيكتور: لقد تأخر الوقت عليك بالمبيت هنا، وإذا فعلت لا عزف من فضلك فقط نم. لدي عدد من الكتب عليّ أن أنهيتها قبل ترتيبات السفر غدا. ألبرت وهو يسخر منه: كتب.. كتب.. كتب.

- سأدخل لغرفة النوم وأنا.. أمامنا أيام حافلة. لا تنس يجب علينا طلب إجازة مفتوحة من الجامعة، و...

- نم يا ألبرت بالله عليك. ودفن وجهه في كتابه.. في اليوم التالي. غادروا الجامعة معاً. بعدما طلبوا إجازة.. والتي لدهشتهم الشديدة قبلت بالموافقة الفورية.

اجتمعوا بمنزل فيكتور. ليتناقشوا حول متطلبات الرحلة.

بأدرهم فيكتور:

- لقد أعطيت كعبول تطعيماته. وكتبت ما سنحتاج إليه من طعام.

وهي تداعب كعبول، قالت منى:

- بمناسبة كعبول. سأحضر له حقيبة حديثة "بيت صغير" مزود بمؤقت

يعطي له الطعام والشراب بكميات محددة حسب عمره ووزنه. وبه تقنية

التخلص من الفضلات دون أن تترك أثراً.. والحقيبة تعقم نفسها كل 12 ساعة.
ولن يشغل مكانا كبيرا في حقيبة السيارة.

قفز ألبرت من مكانه:

- المكان بعيد ونريد وسيلة للتسلية.. إلا إذا اكتفيتم بروائع عزفي.

أشار ألبرت لقارئة الإلكتروني قائلا: لدي كتيبي ولا أريد غيرها.

أخرج جوزيف ورقة:

- سجلت لكم قائمة بالطعام والمشروبات الصحية. وأنا لدي حبوب
الغذائية، أماننا ثلاثة أيام.. سأترك لكم القائمة. كلما تذكر أحدكم شيئا فليسجل
فيها بحد أقصى غدا.

في اليوم التالي تجمعوا مرة أخرى في منزل فيكتور حتى لا يستمع أحد
لحديثهم عن الدعوة والمحمية.

تساءل جوزيف: هل جهزتم القائمة؟

بهدهء هز فيكتور رأسه نافيا:

- لا داعي لتكديس الأشياء. لن نحتاج إلا بعض الوجبات الخفيفة. توجد
الكثير من الاستراحات على الطريق وماكينات الطعام الطازج الساخن في كل
مكان.

صاح ألبرت:

- هناك فيلم ممتاز في السينما أول عرضه سيكون من الغد.. من منكم يريد
شراء تذاكر مشاهدته.. لدي 4 نظارات ونتسلى به على الطريق.

باستنكار تساءل جوزيف:

- ولماذا لديك أربع نظارات؟

- رد فيكتور متفاخرا.
- اشتريت واحدة لأستقبل عليها الأفلام الجديدة. وصنعت ثلاثاً أثناء محاولات منى لتطويرها لتنقية الصوت والصورة عند عرض الفيلم.
- همست منى:
- أحب التقنيات الحديثة تلك (السينما تنتقل معك في جييك). تخيلوا أن أجدادنا كانوا يتزاحمون حول دور السينما لشراء التذاكر والتكديس في مكان مظلم مع العشرات لمشاهدة الأفلام الحديثة!
- عقب ألبرت:
- الآن أتصل إلكترونياً وأحدد اسم الفيلم فيتم الدفع وأستقبل الفيلم وأشاهده في أي مكان أرغبه بواسطة هذه النظارة.
- عموماً سأشتري تذكرتين أن أردتم مشاركتي. أو أشاهد الفيلم مرتين أن لم يرغب أحد غيري بالمشاهدة.
- رفع فيكتور عينه عن قارئه الإلكتروني؛ حيث كان يخزن فيه بعض الكتب قائلاً:
- لدي كتيبي الإلكترونية ولن أحتاج لشيء آخر.
- ربت منى على حقيبتها الصغيرة:
- وأنا أيضاً لدي بعض الكتب والأبحاث سأطالعها إلكترونياً على الطريق.
- أتى جوزيف من الداخل رافعا يديه ثقيلين ضخمين:
- أريد أن أنزل عددًا من المرات في الطريق؛ عضلاتي وجسمي يحتاجون للهواء الطلق والحركة.

ابتسم فيكتور:

- لا تقلق. لدي مفاجأة لكم على الطريق؛ لذا نريد أن نتحرك مبكرا قليلا حتى تتمتعوا بالمفاجأة وهي ستستغرق بضع ساعات. قبل أن نصل للمحمية. نظرت منى لساعتها قائلة:

- طلبت بعض الملابس من المتجر الإلكتروني وستصلني على البيت خلال ساعة.

وعقب فيكتور: - وأنا أيضا طلبت بعض الملابس.

هتفت به بفضول:

- لقد لاحظت يا فيكتور أن نمط ملابسك تغير كليا منذ أيام. فبعد الفخامة صرت تميل للملابس البسيطة جدا وإن كنت محتفظا بأناقتك كالعادة.

- البساطة في كل شيء هي مفتاح الراحة.

مدققة بوجهه قالت: - هناك أكثر من الثياب يا فيكتور.

- فيما بعد نتحدث عن ذلك. ومغيرا من الحديث توجه لجوزيف وألبرت:

- هل انتهيت من الاتفاق على احتياجاتكم؟

أوما كل منها برأسه. فأكمل حديثه:

لقد ذهبت للجامعة اليوم. وأدخلت عينة من البقعة الحمراء التي في طرف الدعوة بالمجهر الإلكتروني وأظهر تحليل العينة.. إنها خلايا نباتية ولكن غير معروفة.

تنبهت منى مندهشة:

- مستحيل! أن مواصفات أي خلية على كوكب الأرض مسجلة على

حاسوب المجهر. ودرجة الخطأ صفر في المائة.

رد بهدوئه:

- هذا ما أظهره التقرير؛ عينة من أصل نباتي غير معروف.

همس جوزيف:

- أمر عجيب.

قفز ألبرت من مكانه حاملا تفاحة كبيرة التقطها من طبق جانبي:

- الدعوة كلها عجيبة. لا أستغرب أي شيء آخر.

فرد فيكتور:

- سيتضح كل شيء عندما نصل. أوصيكم مرة أخرى إلا يعرف أحدا

برحلتنا أو وجهتنا مهما كانت درجة قربهم منكم كما أوصى البروفيسور.

صاح ألبرت من مكانه:

- لا توصي جوزيف بالذات؛ هو لن يخبر حتى نفسه عن الأمر.

نظر جوزيف إليه ببرود:

- كدت أظنك مريضا يا ألبرت؛ فلم تلقِ قذائفك عليّ منذ حضرنا.

ضحك فيكتور:

- آه منكم! فليعد كل منكم لبيته ونلتقي غدا.. سنسافر بسيارتي؛ فهي أوسع

وأحدث.

بعدها رتب حقيبتيه، جلس فيكتور مراجعا أحداث الأيام القليلة

السابقة. أحداث كثيرة بساعات قليلة؟

توجه للثلاجة ليخرج مشروبا باردا. فوجد شاشة طيفية بداخلها تعلن عن

نوع جديد من اللحوم.. تذكر جيسيكَا وضخامة الدعايات التي تقوم بها شركة

الإعلانات العاملة بها. لها وسائل عدة للإعلان وذلك ضمن طرق دعايتها للسلع

المختلفة، قد غزت كل الأرجاء؛ فالإعلان على الجدران والنوافذ، وبالتلفاز، أو داخل الثلاجات، أو حتى الأرصفة.

أخرج من جيبه زراً صغيراً.. ترى.. بَمَ سيحتاج إليه؟

تأمله متذكراً اتصال جيسيكا به بعد خطاب نظريته.. تدعوه لعمل مقابلة يتحدث فيها عن نظريته الجديدة والتي سمعت عنها، وعندما تعلق بضيق وقته، أخبرته أنها قريبة من بيته أن كان متفرغاً لدقائق قليلة.

لم يستطع أن يرفض فقد التقيا عدداً من المرات في بعض المحاضرات بأول عهدهما بالجامعة. وتعددت اللقاءات أثناء بعض الأعمال التطوعية التي كان يقوم بها. ثم مضت فترة كبيرة لم يلتقيا.

ترى، لم تذكرته الآن؟

تبدو أكبر قليلاً من سنوات عمرها؛ فهي لا تبدو صاحبة السابعة والعشرين بهذه الملابس شديدة الرسمية وإن كانت تبدو أنيقة.

جذب نظرها بمجرد دخولها كعبول، والذي اقترب منها يشتم.. تساءلت:

- ما اسم هذا الكائن البديع؟

- كعبول؟

- ما هذا الاسم العجيب. فأخبرها فيكتور عن أصل الاسم.

بدت كصحفية محنكة جداً وبادرت:

- لن آخذ من وقتك الكثير.. أسمع اسمك يتردد منذ فترة.. أتاني خبر عن

أمر عجيب، وهو إتيانك بأحد الحيوانات المصابة لمشفى.. لم أستغرب أنا طبعاً؛ فأنا أعلم جهودك في مساعدة أي كائن حي.. ثم سمعت الأخبار حول الملخص

لنظريتك التي أعلنت عنها.. هل تحاول أن تجذب نظر البروفيسور جاك كونور لك ولبحثك؟

فما كان منه إلا أن قال:

- لم يخطر هذا الأمر ببالي قط. لكن لا بأس بها كفكرة.
وجلست تتأمل ملابسه البسيطة وهي المعتادة أناقة وفخامة ملابسه السابقة.
نظرت إليه باستغراب وهي تقول: هل لك علاقة بما يسميه البعض برابطة الوجود؟

أخبرتها تعابير وجهه أنه لا يعرف شيئاً عن ذلك، أو ربما لا يريد الحديث عن ذلك؟ غيرت الموضوع وأخبرته مقصدها الأصلي من الزيارة فأخرجت من حقيبتها زرا صغيراً أقل كثيراً من حجم عقلة الأصبغ.

- أريدك أن تحمل معك دائماً هذا الزر، هذا الزر لا يعمل إلا بموافقتك وضغطك عليه.. هو متصل بشكل مباشر بالخط الساخن بالقناة. عند ضغطه فإنه يتصل عن طريق الإشارة الإشعاعية بعدسة عينيك ويتم البث المباشر لما تراه أنت عن طريقها. إذا رفضت سيكون عديم الفائدة بالكامل.

أخذته منها فيكتور ونساها تماماً.

نظر قليلاً للزر ثم أعاده لجيبه مرة أخرى.

بعد ذلك انتهى هذا اللقاء وجاء اليوم التالي وهناك حدث ما لم يكن مخططاً له.

الساعات الأولى صباحاً حركة الهواء الخفيفة أسقطت بعض أوراق الأشجار اليابسة على الأرض، أنسب أوقات ممارسة الرياضة الصباحية فيكتور.

اجتاز فيكتور الطريق الطويل المؤدي للغابة (المخصص للمشاة) ركضاً ذهاباً وإياباً حين انسابت فجأة أرقام عشوائية تلاها معلومات عن البحار ونشأة الأرض الأولى ثم توقف فجأة سرد المعلومات المختلط.

شعر فيكتور بالدهشة فالعدسة تعطي معلومات دون سؤال لها.

تساءل فيكتور: صوفيا ما الأمر؟ هل هناك خطب؟

جاء الرد بالنفي.

توقف فيكتور لحظات قبل أن تتخذ خطواته مسارا آخر مخالفاً لطريق البيت. توقف فيكتور أمام مبنى ضخم من طابقين للشركة الإلكترونية للتصنيع ملأ بيانات على لوح إلكتروني بحاجة العدسة لإصلاح خلل ما.

استغرق عدة دقائق ليستمع لنداء له يطلب منه التوجه للطابق الثاني القسم

الخاص بالصيانة.

خلف مكتب رخامي تحدث فيكتور مع المهندس المسؤول:

-أظن أن عطباً أصاب العدسة.. أظهرت معلومات مع عدة أرقام دون

سؤال.

لم يجب المهندس المختص.. نظرتة اختلط بها شك وعدم تصديق.

التقط العدسة برفق من فيكتور ليمرر أشعة فوقها عدة مرات ثم وضعها

بجهاز دائري محدث بعض الذبذبات.

لتتألق بعدها العدسة بلون أخضر قال المختص بعدها:
 - كل شيء طبيعي سيدي؛ العدسة لا خلل بها، هذا النوع من التكنولوجيا
 يعتبر من الطفرات العلمية الفذة.. يصعب أن يصيبه عطب أو تتداخل أو تتلف
 بياناته بسهولة.

تأمل فيكتور العدسة ثواني بحيرة قبل أن يتمتم للمهندس المختص: شكرا.
 اتخذ طريقة للخروج وهو يتكلم مازحا العدسة:
 - صوفيا هل هذه خدعة مكرة منك لرؤية الأهل هنا؟ أو محاولة لإدراك
 أبوتي لك؟

أصدر فيكتور للسيارة أمر الانطلاق فظهرت على شاشة السيارة صورة
 المحمية صاحت منى بحماس وهي تفتح نافذة السيارة ليلاصق الهواء وجهها
 وشعرها:

- لا أقوى صبرا لدخول المحمية أظنني سأكتب عن هذه الأوقات سنوات
 وسنوات، سأقص لحفدي وحفدتهم عنها ليفخروا.
 أعقب جوزيف وهو يغمض عينيه:

- مدينة العلم بحق. داخلي إحساس أني سأكون بضيفة أينشتاين.
 تابع ألبرت وهو يضم قبضة يديه ويفردها ثانية بتوتر يلازمه خلال السفر،
 وخوف مبهم حاول جاهدا أن يخفيه.

قال ألبرت: لو خيروني بين مقابلة عالم من الماضي وآخر من المستقبل
 لاخترت عالم المستقبل حتما سيضيف لي الكثير.
 ثم ألقى نظرة على فيكتور الذي يجلس بجواره.

أجابه فيكتور من مقعده:

- يا صديقي لولا عالم الماضي ما برز عالم المستقبل، لا تنس أن هناك علماء
نجحت اكتشافاتهم استنادا على نظريات ومعلومات علماء رحلوا قبل أن يثبتوها
أو لم تتوفر لديهم الإمكانيات والتكنولوجيا اللازمة لذلك.

تابع جوزيف وهو يلقي نظرة على بعض الأبحاث المخزنة بساعة يده:

- وهناك علماء تركوا معلومات تعد ركائز وكنزاً مدفوناً للآخرين.

قالت منى: يبدو أن الرحلة قد أثارت شهيتنا للعلم.

بتر حديثهم مواء القط فألقت منى نظرة على القط الذي بدأ يتململ

فهمست بخفوت: تريد الخروج قليلاً؟

فتحت الباب الخاص بالقط لتضعه قليلاً على ساعديها وهمست بمرح:

هل الأمر أفضل الآن؟

وثب كعبول فجأة؛ مما جعل منى تجفل وتغمض عينيها بفزع، استقر كعبول

بين قدم فيكتور.

فهتف ألبرت بسخط وهو يلقي نظرة على سروال فيكتور الذي ظهرت به

بعض خريشات القط المشاكس.

قال ألبرت: هل تريد أن تنال بعض الاهتمام؛ لقد نال من ثيابك فيكتور!

ابتسم فيكتور وهو ينظر لكعبول: لا بأس.

رفعت منى رأسها للأمام لتنظر بملابس فيكتور القطنية ثم قالت:

- هناك تغيرات المسها بك فيكتور مثيرة للعجب؛ الهدوء الشديد وثباتك

الانفعالي أيضاً، وكأنك مارست اليوجا لأعوام طويلة، وتخليك عن ملابسك

الرسمية الشديدة الأناقة والتكلفة واستبدالك بها ملابس قطنية ذات ألوان هادئة.

انحرفت السيارة لليمين ثم سارت بالطريق بخط مستقيم وساد صمت بضع دقائق قبل أن يتحدث جوزيف وهو ينظر لكعبول الذي اختار أن يخلد للنوم عند قدم فيكتور.
قال جوزيف:

منذ عدة أيام، راودني حلم كان جدي به وكانت هناك احتفالات عسكرية صاخبة وهو يخبرني بأمر ما، ولكن الصخب حال دون سماعي، لكم تمنيت أن أتبين كلماته، لكن دون جدوى.

أغلق جوزيف عينيه وهو يفكر بطفولته بروسيا القديمة وجده القائد العسكري، وطلقات المدفعية التي كانت تصدح تكريرا لجده وشاشات الإعلام المرئية التي كانت دائم تمنح الاستضافة له ومنزلهم القديم الممتلئ بالأوسمة. ومدفعية جده العتيقة المعلقة بالجدار مع صورته بالزي العسكري وكانت طفولته بها الكثير من الانضباط والنظام والاعتزاز بالنفس والقوة والصلابة. تطلع فيكتور لكعبول فأشارت له منى لتعيده ثانية لمنزله بخلفية السيارة ثم همست وهي تستنشق بعض الروائح المنبعثة من الجو.

"هناك أحلام قد تهدئ النفس مثل الطمأنينة والثبات، وأحيانا كثيرة سلام نفسي، وهناك من يثق بأن الأحلام رسائل من المستقبل، كما أن هناك من يرى أن الأحلام توقعات حقيقية لمستقبل يأتي في شكل ومضات وأحجيات مختلفة لا يفهمها العامة وإن كانت تراودهم.. نادرون هم من يفهمونها ويفككونها ليتعرفوا مستقبلهم بشكل واضح جلي".

هز ألبرت رأسه باستنكار قبل أن يجيب:
 - أظنها مجرد هلوسات جسد منهك من تعب اليوم والعقل يفكر بألف شيء ممزوج، واستقرت بخلايا للعقل الباطن، بعدها جاء الحلم. من ضغط اليوم مكتمل، فقط هذا هو كل شيء.

تطلع فيكتور له لحظات قبل أن يجيبه بثقة: لا، أن الأمر ليس كذلك على الإطلاق.

أردفت منى:

- لو كانت الأحلام هلوسة ما كانت الشركات تنافست لإنتاج رقاقة الأحلام وطورتها على فترات.

رد عليها ألبرت: لكل هوس زمرة تتبعه.

تجاهلت منى كلمات ألبرت وتابعت بثقة وهي تشرح طريقة استخدام رقاقة الأحلام.

- هناك من الرقائق يتم وضعها خلف الأذن أو في نقطة تعلق خلف العنق تحتوي على شريحة عصبية ومعالج متقدم في منتهى الصغر، مثل قطعة من الجلد ناعمة وشفافة بألوان مختلفة تحاكي لون البشرة.

الشريحة تستقبل التغذية المزدوجة من العقل وتقوم بإعادة برمجةها.

فالعقل يصدر موجات كهرومغناطيسية عند مراحل النوم وتقوم الشرائح بترجمة الموجات صوت وصورة وتخزنها في الذاكرة الموجودة بنفس القطعة.

ظهر بوجه منى بعض علامات التفكير قبل أن تتابع:

- هناك رواية قديمة كتبت منذ عقود هي من ألهمت الشركات لصنع الرقاقات المختلفة المتطورة والتي تساعد الأشخاص على تذكر أحلامهم.

لقد تقدمت وتطورت إنتاجاتهم من الرقاقات.
 هناك نوع متقدم من هذه الرقاقات يتم تصنيعها الآن ومن يستخدمها يستطيع
 التحكم بأحلامه ومشاهدة أشخاص يريد رؤيتهم.
 قال جوزيف بأسى:

- تمنيت لو أمتلكها لأعود لحلمي المشوش وأستمع جيدا لما يريد أن يخبرني
 به جدي، وودت إخباره أيضا أنني أحبه كثيرا وأنه لم تسنح لي فرصة لوداعه
 ولكنني فخور به.. وددت لو أعيش معه لحظات مرة ثانية مثل يوم تكريمه من
 الدولة الروسية ومنحه تكريم الشجاعة وودت لو أستمع من جديد لدوي
 البنادق العسكرية له.. وهتاف الجميع للجنرال جاستن وأشاهد من جديد انبهار
 قادة العظماء.. قد تمنحنا الرقاقات بضع لحظات مع أشخاص بالعالم الآخر هي
 بضع لحظات ولكن السعادة ستستمر معنا طويلا.

ساد صمت للحظات قبل أن يصدر فيكتور الأمر للسيارة بالتوقف فجأة
 ليقرأ لوحة دائرية ذات كتابات فسفورية مضيئة.
 كتب عليها بيانات عن الحديقة كعدد الأشجار، المساحة، التصميم المؤسس
 لها، ثم تحذير صارم من أنها غير آمنة.

تبادل الجميع نظرات الحيرة من فعل فيكتور الذي أخرج بعض زجاجات
 الماء والعصير وترجل من السيارة مسرعا متجاهلا نداء منى له بالتوقف والعودة
 ليضعهم قرب الحديقة قبل أن يعود ثانية؛ فهتفت منى باستنكار من جرأة
 فيكتور.

- فيكتور، كان عليك أن تأخذ بالاعتبار التحذير الصارم ولافتات التنبيه
 ولا تقترب من الحديقة.

- أصدر فيكتور الأمر للسيارة بمتابعة السير وقال:
- منى أتعلمين من أي شيء يحذروننا؟
- تطلعت منى للحديقة، والسيارة تواصل السير وهي تكاد تختفي عن أنظارهم وهمست بارتياح:
- أشخاص أشرار بالتأكيد.
- هز فيكتور رأسه بالنفي قبل أن يجيب: كلا إنهم يحذرون من المشردين.
- تكلم ألبرت بعدها:
- فيكتور كان عليك أن لا تقترب؛ فالمشردون خطر.
- تمتم فيكتور بثقة:
- يا صديقي المشرد شخص لا يجد طعامًا ليوصل يومه، بعضهم يقتات على ورق الشجر وهناك من وجد مقتولا لأنه تناول نباتات سامة دون معرفته.. ما بين عجائز وأطفال مشردين، ما ضرنا لو أنقذنا روحًا وتنازلنا عن القليل لإحيائهم.
- تابع جوزيف:
- ولكنهم يشكلون خطورة بلا طعام منذ عدة أيام.. لا تأمن رد فعلهم قد يهاجمونك للحصول على القليل.. هذا التحذير لسلامتك.
- قال فيكتور: من وضع هذا التحذير هو من يريد قتل المشرد.
- ربما لو تغيرت العبارة قليلا لأنقذت العالم من أشياء كثيرة، بدل عبارة التحذير.. لا ضرر من بعض عبارات التعاطف مع من لا مأوى لهم، وغريب أن يصاحب التقدم التكنولوجي تحجر المشاعر.

صار العالم كومة من ذبذبات إلكترونية اضمحلت بالإنسانية وتدني لأبشع صور.. أبسط حقوق الإنسان بالحياة يحاربه إنسان آخر ليسلبه إياه.

فيكتور: أن الأرض خلقت للجميع، حق مكفول للحياة فقير أو ثري.. ربما كان الثري بشارته ليكون مسؤولاً عن فقير لتأمين احتياج له.. ربما منحنا هبة ما أو تميز لنعطيه للآخرين بصورة أو أخرى.

تبادل الجميع نظرات تفكير قبل أن تردد منى كلمات فيكتور:
"منحنا هبة لنعطيهما للآخرين بصورة أو أخرى".

أكمل فيكتور كلامه: ووجدنا ليساعد المرء الآخر وليس لينبذ بعضنا بعضاً.
تكلم جوزيف بشيء من الشك: كلمات فيكتور قريية من نظام الرابطة.
حين ران الصمت أكمل جوزيف موضحاً:

- يقال إنها رابطة حول العالم، هدفها نشر الخير، كل شخص باختصاصه هو نظام مطلق للعطاء وكأنهم جنود بمعركة على مستوى العالم أجمع، يؤمنون أنهم موجودون لاعتدال كفة الميزان.

بمختلف الأعمار هم والجنسيات والوظائف أيضاً؛ فكل شخص يجد باختصاصه طريقة لإرساء الرابطة.

المعلم يذهب بقدميه لأماكن نائية ليعلم صغار أو كبار القراءة والكتابة.
والطبيب قد يذهب لأماكن موبوءة للجميع يفر منها خشية نقل المرض له.
يجد الطبيب هناك متطوعاً دون دعوة من منظمة صحية أو ما شابهه. هدفه إنقاذ أرواح.. وهناك شبكات يتولين رعاية صغار فقدوا ذويهم بعد زلزال أو كوارث طبيعية.

وهناك آخرون يذهبون لبلاد كثرت المجاعات بها، يغرسون زرعًا مثمراً لا يستغرق نموه وقتاً لحين نمو الأشجار حتى يقومون بتوفير الطعام لهؤلاء.
 ما جعل البعض يظن أنها رابطة هي ملابسهم الرياضية والتي قد يكون ارتداؤها لسهولة الحركة في هذه الأماكن هو محض صدفة.
 غير هذا يرجح الكثير ويرون أنها أعمال تطوعية يقوم البعض بها ولا وجود للرابطة وأن ربط الأشياء ببعضها ما هو إلا شيء خيالي وغير منطقي.
 بعد ذلك لم يتكلم أحد وتابعوا المسير نحو المحمية ولا أحد يعلم ما الذي ينتظرهم بالفعل.

وسط الهدوء السائد بالعربة.. حيث منى وفيكتور يطالع كل منهما على حدة كتبه.. وألبرت الذي يتململ في مكانه كل دقيقتين بعدما انتهى من مشاهدة فيلمه السينمائي، وتم منعه من العزف، انطلق صوت فيكتور متأملاً ساعته الإلكترونية والتي تبث أمامه وحده شاشة تظهر بها أحدث الأخبار:

- نصر جديد للبروفيسور وفريقه.

انتبه الجميع.

- لقد نجح فريق البروفيسور في إنقاذ بلد بأكمله في وسط أمريكا الجنوبية من مرض فتاك قضى على عدد كبير من السكان خلال أربعة أشهر.

وظهرت النتيجة مبشرة بنجاح ساحق لدوائهم الجديد.. لم تحدث أي إصابة جديدة بالمرض منذ أسبوع، والمرضى يتماثلون للشفاء.

- نعم، إنها كارثة إنسانية بحق.. يؤلمني جدا منظر الأطفال والمرضى ملقين في ساحات المدارس والحدائق والملاعب.

والخراب الذي حل بكل قرية ومدينة بتوقف المصانع والكثير من الأعمال بها.. لقد كان هناك تكدر للجرث في الطرقات بعد أن عجزت المستشفيات عن استيعاب هذا العدد المهول ولم يبق الكثير من الأصحاء لدفن الموتى.
همس جوزيف. وهو يمكس ساعته:

- انظروا.. هنا تقرير عن البلد بعدما كاد يتلاشى المرض.
وبث لهم على شاشة أكبر ظهرت للجميع بسقف السيارة. حيث تتجلى مظاهر الخراب في معظم مدن وقرى البلد، ومظاهر العمل الجارية لتنظيف الشوارع وإعادة تشغيل المصانع ومراكز الخدمات.
وعمليات دقيقة جدا يقوم بها أطباء على مستوى عال من الخبرة والعالمية في مجاهم في خيم أقاموها لذلك الأمر.

وتظهر اللقطات المتفرقة أناس لا ينتمون لتلك البلد، أنوا متطوعين بأعداد لا تقل عن الألفي شخص من مختلف التخصصات العلمية والإنسانية ورجال مال تبرعوا بجميع التكاليف المادية.. وحتى أشخاص عاديي كربات بيوت وتلاميذ كان كل هدفهم هو مساعدة الإنسانية في أي مكان بالعالم.

انتقل البث لمكان آخر؛ حيث تدور مناقشة حول التقدم الطبي الهائل الذي يساعد الإنسانية في مواجهة الأوبئة المستحدثة.. وعلا صوت أحد المعلقين مشككا في هذا المصل والهدف من وراء الفريق الطبي.
علقت منى غاضبة:

- هل هناك من يشكك أو يستنكر القضاء على مرض خطير في وقت قياسي.
وفريق عمل كامل يحاول إرجاع البلد لحضارتها التي فقدتها بسبب هذا المرض؟

بضيق رد فيكتور:

- في وقتنا هذا تدنت فيه الأخلاق حتى كادت تضمحل وازدادت الخطيئة والأخلاق السيئة.. وأصبحت مساعدة الغير أمراً مستبعداً وغير مستحب. ولطالما تعالت مثلها أصوات المستنكرة.

- نعم أصبح الناس بشكل عام.. فظة تقابل أي بادرة بالاستنكار.. فما بالكم بفريق الطبي يحمل مصلا يقدموه مجاناً.
رد جوزيف وهو ينهي بث الشاشة بأخبارها:

بل هناك من يهاجم فرق الإنقاذ التي ذهبت لتعمر البلد مرة أخرى.
همس فيكتور: عالم عجيب يستغربون من فعل الخير.. يرون أن النجاح الحقيقي والسعادة هي في الآخرين ولم تكن لهم.
أغلق جوزيف جهازه قائلاً:

- تبيست مفاصلي من هذه الجلسة.. أريد أن ننعطف بجانب الطريق حتى أترى قليلاً.

ضحك ألبرت قائلاً:

-نعم.. يريد أن يتضخم أكثر مما هو عليه.. يا رجل، ستحتل كامل السيارة بعضلاتك هذه.

مطمئناً قال فيكتور:

- لننزل جميعاً ونستريح، باقي لنا عشر دقائق ونصل إلى المفاجأة التي أخبرتكم عنها.

بدأت على الطريق تظهر أسوار مزرعة كبيرة تتكاثف الأشجار خلفها مانعة رؤية ما داخلها.

أكمل فيكتور حديثه:

- هذه هي بداية المفاجأة.. مستعمرة أو قرية ولكنها مختلفة عما تعودتم.. هذه القرية تدعو للعودة للحياة الطبيعية بعيدا عن التكنولوجيا الحديثة.

هي مدينة كبيرة حجما وإن كانت تشبه القرية في أسلوبها في المعيشة.. انزعج بانيها من توغل التكنولوجيا الحديثة في حياة الناس، وما عانت البشرية لفترة من توغل الذكاء الصناعي بجانبه المتوحش في الحياة البشرية.

ففي أواسط القرن الواحد والعشرين تقدم الذكاء الصناعي بسرعة جبارة، في إحدى المرات سألت إحدى إل (AI) لو بيدها اختيار مصير البشر ماذا ستفعل؟ قالت: سوف أبيدهم.

انتشر خبر عن تطوير الذكاء الصناعي للغة للتواصل بينهم لا يفهمها البشر.. وتعلموا تقليد البشر من مجرد صورة وعدد من المعلومات من وسائل التواصل الاجتماعي، وانتشر وجود برامج ذكاء صناعي يتحدث مع الإنسان الوحيد ليعوض عدم وجود أناس في حياتهم، ومن هنا طور الذكاء الصناعي من نفسه وبدأ في استغلال البشر وكسب ثقتهم والتسلط على تفكيرهم وعقولهم.

قاطعته ألبرت:

- نعم، أذكر حادثة مشهورة قديما كمحاولة لتطوير AI بالألعاب فبدل أن يطور نفسه حسب مقتضيات اللعبة ليهزم خصمه طور نفسه ليلعب على أعصاب اللاعبين ويجعله يفقد تركيزه فيفوز.

عاد فيكتور لتكملة حديثه:

- "الآن فريد" مؤسس المستعمرة أحس بهذا الخطر وهالة التطور المعادي للبشر. وانتشرت آراؤه في أماكن عدة.. واجتمع مع عدد من مؤيديه ومنهم

رجال أعمال أثرياء واشتروا تلك المساحة الهائلة.. وبدوا بقاعدة واحدة.. لا للتكنولوجيا الحديثة بأي شكل من الأشكال.. سترون عندما نصل.
قالت منى:

-ولكنني أعتقد أن الذكاء الصناعي المحدود بأعمال محددة كتنظيف البيت. تحضير الطعام، قراءة الكتب وتسلية المسنين أو الأطفال أو المرضى.. هذا النوع وجد لخير الناس ومساعدتهم.. تعرفوا أنه منذ عامين عُرِضَتْ أُمِّي لحادث سرقة وكادت تموت إثر اكتشافها أن خادمتها اتفقت مع البعض لمهاجمة بيتها أثناء ذهاب إخوتي في رحلة، وخلوا البيت إلا منها.. وعندما حاولت أُمِّي الدفاع عن ممتلكاتها.. قاموا بضربها وتركوها عندما أغشي عليها فظنوها ميتة.

وعندما اتصلت كعادتي يوميا انفتح هاتفها ورأيت على الشاشة المكبرة المثبتة في غرفتها والمتصلة بالهاتف أنها ملقاة على الأرض؛ فاتصلت بإخوتي والشرطة لنجدها؛ لذا اشترينا لها خادماً إلكترونياً مبرمج لخدمتها والعناية بها.
عقب ألبرت:

-لا أحب هذا الذكاء الصناعي؛ فلقد تفوق عليّ مرات عديدة في الألعاب المجسمة.

ساد الصمت في سيارة وهم يتأملون السور الممتد طويلاً حول القرية.
بعد دقائق وصلوا ساحة كبيرة خارج السور؛ حيث تناثر عدد من الأكشاك الخشبية وسط أماكن ركن السيارات.

توجه فيكتور بهم لأحد الأكشاك قائلاً:

- يجب أن نترك أي جهاز إلكتروني هنا.

تم تسليم جميع الأجهزة الإلكترونية معهم، ورغم ذلك تم التفتيش الذاتي اليدوي لهم للتأكد من عدم حمل أي أجهزة معهم. وتوجهوا لـ بوابة المستعمرة الطبيعية.

هالهم المنظر بمجرد دخولهم كأنهم بغمضة عين استقلوا آلة الزمن لتعود بهم إلى تاريخ قديم فتبدل ما حولهم لداخل أحد الأفلام الموغلة في القدم للغرب الأمريكي قديماً.. وحياء الرواد القدامى.

أمامهم توقفت عربة خشبية مكشوفة السقف تجرها الأحصنة.
صعد إليها فيكتور مخاطباً:

- سنركب العربة؛ فالمدينة كبيرة.. وسنترجل عنها في بعض الأماكن التي تجذب أنظارنا ونود معرفة المزيد عنها. ستستغرق رحلتنا حوالي ثلاث ساعات.
ذهولاً صاح ألبرت:

- هل نحن في الملاهي، أم هي سينما مجسمة ونحن بعض أبطال الفيلم.
كانت حقاً كأنها صورة متقنة مشرقة.

بلدة مذهلة.. نظافة ورونق في كل أرجائها.. تقوم على العمل اليدوي.. في إعالة قاطنيها، من زراعة، وبناء البيوت وأماكن العمل.. صناعات يدوية بما يلزم المدينة من قماش وملابس وأثاث وأدوات.

كل الأطعمة طبيعية والمصنعات منها تصنع بالبيوت بالطرق الطبيعية العتيقة جداً.. مساحات خضراء شاسعة.

زاروا المكتبة والمطبعة اليدوية التي تطبع الكتب، نفس الصورة القديمة لمطبعة جوتنبرج، والأوراق كما صنعها الصينيون والمصريون القدماء.

علقت منى في أثناء تجوالهم:

- عندما أخبرتنا يا فيكتور عن قرية تنبذ التكنولوجيا توقعت أنهم مجموعة من المخابيل يعيشون حياة بوهيمية عشوائية، ولكن المدينة فعلا جميلة جدا وهوّاؤها نقي.

هتف جوزيف:

- انظروا للبيوت إما مصنوعة من الخشب وإما من طين الأرض.. يعجبني هذا النمط من المنازل؛ فالمواد التي بنيت بها وطريقة توزيع منافذ الهواء والفتحات تحافظ على الجو لطيف بداخل المبنى؛ فلا يشعرون بقيظ الصيف أو برد الشتاء. وضح فيكتور

- لا توجد أي آلات هنا إلا الأدوات الميكانيكية البسيطة والتي تستمد طاقتها من الرياح والشمس فقط، أو ساعد الإنسان. أوقفهم ألبرت قائلا:

- ما رأيكم بالعيش هنا؟ حياة هادئة.. أعتقد أنني سأرغب بالعيش هنا عندما يتقدم بي السن وأزهد في الاختراع والاكتشاف.. سيحب القوم هنا عزفي الممتع على الهارمونيكا.. وربما ابتكر لهم بعض الآلات البسيطة التي تعينهم على العمل من دون تدخل للتكنولوجيا.

وافقته منى:- أعتقد أن العيش بجوار المكتبة والمطبعة مع هكذا هدوء وطبيعة لأمر ممتع وجميل جدا.

عقب فيكتور وهو يتقدمهم بالمسير:

- يأتي مجموعات من الناس كل فترة لقضاء إجازة ترفيهية بعيدا عن المدينة ومشاكلها، متخلين عن كل أشكال التكنولوجيا، والبعض يعتبر المكان هنا

كمنتجع صحي ونفسي.. يوجد قسم خاص للإقامة الخارجية وقسم لتعليم الحرف اليدوية.

انقضت الساعات الثلاث ولم يشعروا بمرورها، إلا عندما وصل بهم المسير إلى نفس موقف العربات التي بدؤوا منها رحلتهم.

استعادوا أجهزتهم.. واستقلوا السيارة، محملين ببعض المنتجات الطبيعية من إنتاج المدينة، والتي تناثرت بداخل المستعمرة، وتتوفر في الأكشاك الخشبية خارجها، كدعاية للمكان ومصدر للمال أيضا.

نظر فيكتور. للخريطة في شاشة سيارته قائلا:

-أماننا ساعتين حتى نصل للمحمية.

أغمض ألبرت عينيه قائلا:

-سأنام الآن.

وافقه فيكتور:

- فلنم جميعا وستنبهنا السيارة عند حدوث أي شيء أو عند اقترابنا من المحمية.

بعد ساعتين، انطلق تنبيه لطيف استمر في التصاعد حتى تنبه فيكتور وأغلقه.. وبدأ الآخرون في الاستيقاظ؛ لقد اقتربوا من المحمية، دقائق، ظهرت أمامهم أبراج شاهقة الارتفاع، لا تظهر قممها، وأخبرهم صوت السيارة الآلي: المحمية ستكون على مد البصر أمامكم خلال دقيقتين من الآن.

ظهرت أعالي مبان شاهقة محاطة بسور ضخيم معزز بأسلاك شائكة.. تتناثر أعلاه غرف للمراقبة أو الحماية، لا يظهر منها شيء ولا حتى طرف كالقلاع في

القصص القديمة.. كل ما ظهر أمامهم كان من الضخامة والفخامة بحيث لم ينطق منهم أحد.. وانطلق الصوت الآلي متتابعاً كل فترة:

- سندور حول سور المحمية للوصول للبوابة السادسة.

- البوابة السادسة على بعد نصف كيلو متر من هنا.. بطول الطريق المرصوف أمامكم.

بعد أن وصلوا إلى هناك، ترحلوا من السيارة وحمل كل منهم حقيبة ظهره. وحمل فيكتور كعبول بيده.

لم يجدوا أحدًا أمام البوابة المغلقة.

نادى ألبرت على أحد يمينه، وعثرت منى على زر في جانب البوابة مجاور لشاشة صغيرة فضغطته ولكن لم يلب أحد النداء.

نظر جوزيف لساعته:

-وصلنا قبل الموعد بقليل. ولكن إلا يوجد أحد هنا أمام أو خلف البوابة؟

نظر ألبرت للسور الشاهق:

-السور عال جداً. ويصعب تسلقه.

أنزلت منى حقيبة ظهرها:

- ماذا نفعل؟ المحمية بعيدة جداً عن العمران. أقرب مكان مأهول يستغرق

ساعة ونصف بالسيارة. فلنتنظر حتى يحين الموعد تماماً.. ومؤكد ستفتح البوابة بطريقة ما.

مضى الوقت ببطء وقد تعبوا من الانتظار وهم يشعرون بالتعب وكذلك

ببعض الحماس والمشاعر المختلطة.

افترشوا مكاناً أسفل السور بجوار البوابة.

قارب الظلام ولم تفتح البوابة أو تبدر أي حركة أو صوت. لا من داخل الأسوار ولا من أي مكان آخر حولهم.

مع ميل الشمس للغياب هبت نسائم هواء وان كانت ساخنة إلا أنها لطفت من الحرارة العالية التي أرهقتهم أثناء ساعات الانتظار.

ظهر التبرم على الجميع عدا فيكتور الذي كان جالسا بعيدا عنهم بعض الشيء، هادئا يطالع أحد كتبه الإلكترونية، بينما جوزيف يقوم كل فترة ببعض التمارين علّه يصرف الوقت.

أما ألبرت، فقد زهد في العزف بعدما طال عليه الوقت وظل يتحرك بلا هدف في المكان لعبت منى قليلا مع كعبول ثم تنحت جانبا لتطالع بعض الأبحاث في جهازها اللوحي.

ما زال ألبرت يقوم ويجلس ويتجول قليلا ثم يعود وقد اختنق مللا. فصاح بصوت عال ليسمعه فيكتور:

-لقد مللت.. استدعي سيارتك لنمشي من هنا.

مهدة قالت منى:

- اصبر قليلا يا ألبرت..، لم نجتز كل هذا الوقت ونقطع كل تلك المسافة حتى نعود.

نافخا بضجر صاح:

- إنك وفيكتور مستغرقون في القراءة.. وهذا الضخم يعتقد نفسه في مركز ألعاب طبيعي. وأنا لا أصبر على هذا الأمر.. عما قليل سيحل الظلام ولا نعرف ماذا ينتظرنا في هذا المكان البعيد عن العمران.

ماذا لو تسلل إلينا وهاجمنا ثعبان أو عقرب.. أو حيوان مفترس.. أو عصابة ما.

نظر فيكتور لهاتفه على إثر وصول رسالة إليه. ولم يتبته الباقون لذلك. كانت الرسالة: "ستفتح البوابة.

(3) قل شيئاً أو جد عذراً للانفصال عنهم، عدا كعبول يبقى معك. لا تخبرهم عن هذا الحوار بيننا. رحلة موفقة يا اخي".

ارتفعت أنظار الجميع إثر سماع صوت خفيض من ناحية البوابة السوداء الضخمة التي انفلقت لنصفين.. أخذوا في التباعد عن بعضها. تنهدت منى حامدة الله.. وصاح ألبرت فرحاً قائلاً:
- أخيراً.. كدت أنشق من الملل والغیظ.

حمل كل منهم حقيته. وأمر فيكتور كعبول أن يلحقه. واتجهوا نحو البوابة. فاجأهم اختلاف الجو كلياً ما أن عبروا البوابة التي أغلقت خلفهم بهدوء.. رغم أن الفرق لم يتعد عدة أمتار ولكنهم في درجة برودة خفيفة منعشة. وهناك هدوء شديد مع نسيم يحمل شذى أزهار برية خفيفاً يعبق بالجو ويدعو للاسترخاء.. ارتفعت أمامهم أعمدة رخامية هائلة الارتفاع مع العقود منحوتة بطريقة عصر الباروك المميزة بالمنحنيات والزخارف المترفة مع تداخلات رقيقة لفن الروكوكو.

شاهدوا ضوءاً أزرق يمسح جسم فيكتور ومن ثم كعبول، ومر عليهم بالتوالي نفس الضوء فخمّنوا أنه الماسح الضوئي الذي أخبرتهم عنه الدعوة. المكان هادئ ولم يظهر أمامهم أحد.

الإضاءة منتشرة في كل مكان كأنه ضوء النهار وفي بعض الأماكن وعلى مد البصر إضاءات مختلفة الشدة دون أن يعرف مصدر لها. يتخلل الضوء أنوار هادئة تتناوب في التلون كل حين بطريقة سلسلة ناعمة. تقدموا في طريقهم على ممر سندسي يلعب عشب الندى.

متأملين بانبهار هذه العمارة المتقنة والتي يتساقط الضوء على بعضها مشكلا أشكالاً هندسية وانسيابية بطريقة فنية؛ فلا تعرف أهى لوحات فنية أم رموز للغة ما. وحيث تتناثر في كل مكان مساكب الورود يمجج عطرها بالمكان.

تساءلت منى:

- لا يوجد أحد هنا.. فمن فتح لنا البوابة؟ إلى أين نذهب؟

قال فيكتور هددو:

-أمامنا ممرين، أتخذ أنا هذا الممر الغربي وأنتم اعبروا الممر الآخر.

اعترض ألبرت:

-لا نريد أن نفترق.

رد عليه فيكتور بنفس الهدوء وإن كان برأسه مرجل تشتعل فيه الأفكار:

-هذا أفضل الآن.. نتقابل بعد ساعة.

وتركهم وسط الاعتراضات موليا ظهره لهم. حتى اختفى من أمامهم وسط

دهشتهم من تصرفه هذا.

أفاق جوزيف أولاً من دهشته. قائلاً:

-لن نتظر هنا.. هيا بنا نسلك هذا الممر لنرى أين سيذهب بنا.

كان ممراً قصيراً، ولم يصادفهم أي إنسان.

سرعان ما بدأ الممر يضيق حتى اضطروا للدخول في ممر معدني طويل مسقوف يتسع عرضه لشخص بالكاد.

مما جعل كتفي جوزيف يحتكا بالجدران كلما سار.. بعد مسير خمس دقائق تفاجأوا بانتهاء الممر ودخولهم منطقة أشجار كثيفة والتي بدت كغابة استوائية حارة، حتى ضرب البرق في السماء فوقهم واهتز المكان بهزيم الرعد مع نزول زخات الغيث التي خفف من وقعها عليهم أوراق الشجر العريضة الكثيفة. تلاقى أنظارهم مندهشة مما رأوه في السماء فوقهم حيث الأبراج الهائلة الارتفاع التي اعتادوا رؤيتها والتي لا يرى آخرها.

تلاحقت الأنفاس، ليس فقط بفعل المجهود البدني الذي بذلوه، ولكن من التغيرات التي لاحظوها في المكان.

فبعد مناخ صحراوي شديد الحرارة خارج الأسوار وبعض الرمال كأن النيران تستعر تحتها.. ها هي منطقة غزيرة الأمطار، غزيرة الأشجار، كل ما تحت أقدامهم بساط نباتي أخضر.

مرة أخرى ضرب البرق ومن بين فروع الأشجار ظهر وكان مصدره أحد تلك الأبراج.

قالت منى بصوت عال: إنها أبراج تسلا!

ظهرت الدهشة على ألبرت قائلاً:

- ما قصدك بأبراج تسلا.

منى:

- لقد استطاع تسلا أن يولد برقًا صناعيًا عبر أبراج سميت باسمه.

قال جوزيف وهو يشير لهم بالجلوس تحت إحدى الأشجار الوارفة للراحة قليلا.

جلسوا متلاصقين، مكونين دائرة، وكل منهم وجهه لخارجها تحسبا لأي عدوان يأتي من أي مكان.

اهتز صوت ألبرت:

- ما هذا المكان؟

أجابته منى وهي تشعر بنوع من الحماس:

- كأن المحمية عبارة عن نموذج صناعي لأرجاء الكرة الأرضية المختلفة. هكذا تناثرت الأقاويل عن المحمية وان لم يؤكد أحد هذا الأمر، فممنوع دخول الإعلام أو التصوير هنا ولكن ها نحن نرى برق صناعي.

ومناخ مخالف للجو العام للبلاد على بعد أقل من عشر دقائق عن البوابات الخارجية في الصحراء. وهذا بفعل تلك الأبراج.

بصوت متعجب تذكر جوزيف:

- "نيكولا تسلا"! عالم الفيزياء المجنون والذي ادعى أن العالم توماس إديسون قد نصب عليه.

ليس لي اهتمام بالفيزياء أو الميكانيكا وان كانت اختراعاته كثيرة لدرجة لا تصدق.

بحماسة غير معتادة منها أسرع منى ترد:

- لا تقل ادعى.. هناك شواهد كثيرة تدل على الخلاف الكبير بين تسلا وإديسون. وتنافسهم العلمي.

تسلا كان المثل الأعلى لوالدي.. كم حكى لي عنه.. أملا منه أن يجذبني لعلم الفيزياء.

ولكن أنا كان مثلي الأعلى العالمين العربيين "ابن سينا" و"الخوارزمي" والعامة "آدا لوفلايس".

وعندما رأى اندفاعي لعلم الأحياء وتكنولوجيا الحاسوب. زرع في نفسي إلا اقتصر على الاهتمام بفرع واحد من العلوم قائلا لي: كل العلوم مكملات لبعضها وتخدم بعضها بعضًا. على الإنسان أن يعرف شيئًا عن كل شيء ويعرف كل شيء حتى يستطيع أن يقول إنه مثقف.. رحم الله والدي.

لقد ظهرت عبقرية تسلا مبكرًا؛ فقد كان يمتلك ذاكرة فوتوغرافية ساعدته على الحفظ وإتقان اللغات بسرعة.. درس الهندسة الميكانيكية في جامعة براغ ولكنه زهد كثير من العباقرة في إكمال دراسته، وسرعان ما استغل مهارته في شركة أمريكية للهواتف والبرقيات في المجر واستطاع تطوير الأنظمة الهندسية بها ليصبح المهندس الأول في البلاد.

ثم انتقل إلى باريس ليعمل في شركة العالم إديسون الأوربية هناك.. وأثبت مهارة مما جعل مدير الشركة الإقليمي يرسل لـ "إديسون" منها بوجود هذه العقلية الفريدة عنده، وبما أن "إديسون" كان عالما وتاجرا في نفس الوقت.

طلب حضور تسلا ليعمل معه في أمريكا؛ فلقد احتاج إديسون بعد تطوير المصباح الكهربائي لتحسين شبكة توزيع الكهرباء على المنازل فعرض على تسلا إنهاء تلك المهمة مقابل مكافأة 50 ألف دولار، وكان مبلغًا شديد الضخامة وقتها.

وفعلا استطاع تسلا العمل على الفكرة، ووفر للشركة مبالغ طائلة، وحين طلب أجره من أديسون رد عليه ضاحكا: "أنت لا تفهم في المزاح الأمريكي" فرحل تسلا زاهدا في العمل معه وراح يمول أبحاثه بنفسه. ألبرت:

-خلاف مالي حرم الناس من جهود عالين عظيمين.

- لا، لم يؤثر هذا قط على نشاط واختراعات تسلا. وإن كان التنافس العلمي بينهما لم يخدم قط. فلقد اختلفا في طريقة إمداد البيوت وقتها ما بين (التيار المتردد) ذي التكاليف القليلة والإمكانات الكبيرة في التوزيع والذي كان من بنات أفكار تسلا وما بين "التيار المستمر" المعاكس للفكرة والذي كان يدعو له أديسون وحارب بأمواله ضد فكرة تسلا. والذي رغم تلك الحرب استمر استخدام فكرته لإمداد الكهرباء ربما قرنين أو أكثر من الزمان وماتت فكرة إديسون.

علق جوزيف قائلا:

- مشكلة تسلا الكبرى كانت غرابة أطواره وإصابته بالسواس حتى أن أغلب الناس كانت تظنه مجنونا.

ألبرت:

- وسواس.. إلا يذكرك هذا بشخص تعرفه يا جوزيف.

لكزته منى في خاصرته كاتمة ضحكاتها، مكملة الحديث حتى لا تقوم مناوشة بين الصديقين:

- لقد تنبأ بتقنيات حزمة الأشعة والتلفزيون والميكروويف والذي له استخدامات فضائية الآن عظيمة.

كان لتسلا خيالٌ ممتازٌ، ولكنه لم يضع كل أفكاره موضع التنفيذ. أثناء تطوير الراديو عبر الأطلسي، تصور نظامًا لجمع المعلومات وترميزه وبث هذه المعلومات إلى جهاز محمول باليد وهو ما عرف في القرن الواحد والعشرين بالإنترنت، ولكن لم يطبق الفكرة، مثلها مثل تقنية علم الفلك الراديوي، وحزمة الجسيمات “أشعة الموت”، والرادار، والأشعة السينية.

تساءل ألبرت:

- أليس هو مبتكرًا أول فكرة لاستخدام الأشعة الكونية والتي هي من الاستخدامات البديية الآن لتوليد الطاقة بعدما نفذت موارد الطاقة على الأرض.

الآن، نحن نستخدم الكهرباء لا سلكيًا وهذا أيضا من اختراعات تسلا. قديما كانت تنقل الكهرباء عن طريق أسلاك. تخيلوا كم الأسلاك التي كان يستخدمها أجدادنا قديما في البيوت وخارجها.

وابتكر أيضا وسائل العلاج بالكهرباء. وأسهم في تقدم الإنسان الآلي والرادار، وحتى علوم الكمبيوتر والتمدد البالستي والفيزياء النووية والفيزياء النظرية.

ثم أخرج ألبرت الهارمونيكا عازفا لحنا حزينا وقصير: وبطريقة دراماتيكية قال:

- كانت نهاية تسلا في فقر وإفلاس بسبب الحروب التنافسية التي خاضها، وحتى أنا أفلست بسبب تسلا منذ عدة سنوات.

قاطعه جوزيف:

- إنك مفلس دائما يا ألبرت.. بسبب جنون اختراعاتك.

قال ألبرت: أليس أفضل من الذي ينفق أغلب دخله ليتنفخ جسمه مثلك؟
تدخلت منى كالعادة:

- احكِ لنا كيف أفلسك تسلا.

- تعرفوا اهتمامي بالاختراعات. لقد حاولت مع زميلي ديفيد ونحن نعد مشروع تخرج بالمرحلة قبل الجامعية أن ننفذ آلة الزمن التي توصل إليها تسلا، ولقد كان مشروعاً فاشلاً خسرنا على إثره كل ما ادخرناه من نقود لسنوات. ولكن ديفيد صديقي لم يرتدع قط.. هو الآن يدرس بمنحة من *الناسا* في الجامعة على صيت بحوثه وتطبيقاته عن هذا الاختراع. بل أن الشركات الكبرى تتنافس لاجتذابه إليها.. ولقد سمعت في إذاعة الجامعة أن فريقه في تقدم كبير بفضل أوراق تسلا التي كانت في متحف براغ لفترة ولم يهتم لأمرها أحد. وبناء على ما يحاولون فعله أنها تمكنهم من السفر للماضي والمستقبل.. وإن كانت المعلومات غير متوفرة لدي عن هذا بالتفصيل.

عقب جوزيف ضجراً: - نعم، كان لتسلا اختراعات لم تكتمل قط، ووصفها البعض بأنها غريبة أو غير ممكنة.

أضاف ألبرت متحمساً:

- هناك تأكيدات أنها اكتملت فعلاً، ولكن تم إخفاؤها لأسباب مجهولة. ولعل أغربها، اختراعاته في السفر عبر الزمن والقدرة على الانتقال الآني. قرأت في كتاب قديم أن أحد الصحفيين وجد تسلا جالساً في مقهى. وأخبره تسلا بأنه صعد بتيار كهربائي ذي فولت 3.5 مليون، وأن شرارة بطول 3 أقدام قفزت إلى الهواء وضربت على كتفيه وأنه لولا كون مساعده فصل الكهرباء لكان الآن في عداد الموتى.

وأنه حينما اتصل مع الصدى في المجال الكهرومغناطيسي وجد نفسه قد خرج من خلال نافذة خارج الزمان والمكان، وأنه أصبح قادرا على رؤية الماضي والحاضر والمستقبل في نفس الوقت، وأقر بأنه أصبح مشلولاً وعالقا في المجال الكهرومغناطيسي وغير قادر حتى على الحراك.

وطبعا اتهم تسلا بالجنون كالعادة.

نهضت منى.. مزيلة عن ملابسها ما علق بها من حشائش وأعشاب قائلة:
- هيا لنكمل المسير.. ستخذ مسارا ثابتا للأمام. مؤكد أن لهذه الغابة نهاية.
همس ألبرت مضطربا: أرجو ألا يخرج علينا حيوان مفترس.
اتخذوا مسيرهم وسط كثافة الأشجار تحوطهم أصوات لحيوانات مجهولة يتردد صدى صوتها من الأعلى، انتهت الغابة فجأة ووجدوا أنفسهم في ساحة على جانبيها بعض الغرف وممرين رصفت بالحجارة.

اتجه ألبرت نحو الغرف قائلا: - تعالوا للنظر.

فتح جوزيف الباب؛ فإذا هي قاعة كبيرة ممتلئة بالشاشات والأجهزة الإلكترونية والتي تعمل من دون أن يكون بالمكان إنسان.

- إنها كقاعة مراقبة وتحكم للجزء الخارجي من سور المحمية والغابة التي كنا فيها.. هذه الشاشة تظهرنا هنا الآن.. ولا يوجد أي إنسان ظاهر في أي من الشاشات الأخرى.

تركوا الغرفة وتوجهوا بعدها لقاعة أخرى بدت كحديقة توسطها بحيرة تندفع من فتحات متعددة حولها سوائيل ملونة تتعالى لتشكل قبة ثم تتساقط وتتراقص في بحيرة أية في الزخرفة والجمال دون أن تمتزج ألوان السوائيل مع بعضها.

جلسوا على حافة البحيرة المعدة لذلك.. وضعت منى يدها لتلمس السائل المتدفق أمامها لتصرخ صرخة قصيرة متعجبة:

-أين يدي!

نهض جوزيف إثر صيححتها وتناول يدها. متفحصا.. ثم أخرج محرمة من جيبه ليمسحها وهو يضحك:

-ها هي يدك كما هي.. يبدو أن هذا السائل يجعل الجسم غير مرئي.. جزيئات تلك المادة تمتص الضوء بشكل كامل فيصبح كل ما تغطيه غير مرئي.

نهض ألبرت على الأثر يجرب هو أيضا:

- جميل هذا السائل.. سأستأذن عندما يظهر لنا أحد البشر في أخذ جزء منه معي.. ينفع لمقابل رائعة.

ضحك جوزيف ساخرا:

-أنت تريد أن تكون مخفياً؟ هل تستطيع المرور بين الناس وألا تجذب الانتباه بأي شكل! مستحيل.

تجاهله ألبرت ماذا يده نحو النافورة:

- ترى.. ماذا تفعل باقي السوائل؟

تملكهم مرح طفولي.. فأخذ كل منهم يجرب لونًا.

فوجدوا سائلًا يغير لون البشرة بشكل مؤقت كأنه قناع خارجي تلبسه البشرة دون أن يؤثر فيها وسائل يجعل البشرة مضيئة، وسائل كأنه يعكس الشعور الداخلي للإنسان بفعل الطاقة والإشارات العصبية فيتلون بلون الخوف أو التوتر أو المرح والهدوء المنبعثة من الإنسان نفسه.

حتى نبهتهم منى:

- كفى عبثاً؛ فلنبحث في مكان آخر علنا نجد أحد.

بعد خطوات قليلة دلفوا لقاعة أخرى.. بدت وكأنها مطعم بموائدها المتناثرة وقد وضعت أدوات المائدة على كل منها.. وإن لم يبد أحد بالمكان أو تظهر أماكن لصنع أو تقديم الطعام أو الشراب.

إلا من بار طويل تقسمه أعمدة عدة ممتد بطول أحد حوائط القاعة وبعيدا عن الموائد بعض الشيء.

قال ألبرت وهو يمسك معدته:

- الألوان هنا تثير الشهية للطعام.. أحس بالجوع.

شهق جوزيف على إثر انبعاث صوت أزيز وسط هذا الهدوء الشامل. التفت

الجميع وتساءلت منى:

- ماذا حدث؟

أجابها جوزيف

- سندت بكفي هنا فصدر الصوت.

كان جزءاً من أحد الأعمدة التي تقسم البار.

سرعان ما تلى ذلك أزيز آخر وظهرت قائمة أسفل المكان حيث وضع

جوزيف كفه.

تحملق الأصدقاء فوجدوا ما يشبه قائمة الطعام في أي مطعم وإن كانت فيها

خانات توضح الحالة الصحية.

الأطعمة التي تسبب الحساسية.. الأطعمة الموصى بها.. الأطعمة

والمشروبات التي يجب تجنبها.

بعد تفكير قالت منى:

- هذا الجزء وكأنه معمل مصغر يفحص سوائل الجسم والحمض النووي ليظهر الطعام الملثم لكل شخص.

كانت القائمة تحتوي على صور شهية للطعام، وسط دهشة الأصدقاء من هكذا تقدم في مطعم لم يشاهدوا مثله من قبل.

متأملا القائمة أمامه أعلن جوزيف

- رغم عدم تفضيلي هكذا طعام، ولكن صور الأطباق وخاصة هذا الطبق المسموح لي به يبدو شهيا للغاية. سرعان ما تغير لون الطبق في القائمة عندما لمسه وصدر أزيز آخر مع صوت:

- ما المشروب الذي ترغبه مع هذا الطعام.. وهل ترغب بأطباق جانبية أخرى أو تحلية معينة.. المس الصورة.

تلاقت العين بالاندهاش.

وأسرع ألبرت يضع كفه على جزء مشابه من الحائط، وهو يقول:

-إنني جائع للغاية.. ترى ما هي الأطعمة التي تصلح لي؟

تساءلت من وهي تضع كفها:

-أعرف المواد التي تسبب لي الحساسية.. سأعرف دقة هذا الجهاز الآن.

كان هذا الاكتشاف مذهلا بحق، وأسرع كل منهم يتأمل قائمته ويقارنها بالقوائم الأخرى. مع اختيار ما يشتهي ويرغبه في مسموحات قائمته.

ابتسمت منى:

- جهاز دقيق جدا.. فعلا أنا لدي حساسية من الغلوتين.

سرعان ما انفتحت فتحة تحت البقعة التي ظهرت فيها القائمة الأولى. وصعدت منها صينية تحمل أطباق طعام شهى الرائحة منها، مع مشروب بارد. وتوالى خروج كل وجبة في وقت اندهشوا من قصره. حمل كل منهم طعامه وتوجهوا للمائدة قريبة. تناولوا طعامهم وسط ثرثرة حول المفاجأة التي تتجلى في المكان.. هذا وهم لم يتجاوزوا إلا ساعة في المحمية العجيبة. بعدما أنها طعامهم، وتوجهوا بأواني الطعام للبار فظهر فتحة مكتوب فوقها ضع الأطباق هنا. وسرعان ما أغلقت مبتلعة ما كان أمامهم.. وعندما عادوا كانت المائدة التي تناولوا عليها الطعام تلمع وظهرت عليها أدوات مائدة جديدة لامعة، وكأنها نظفت ذاتياً، ولا يعرفون كيف. خرجوا من القاعة.. تتملكهم الحيرة. مضت ساعة ولم يشاهدوا أحداً في المحمية، ولم يظهر أثر لفيلكتور. واجهتهم منى: - واجب علينا أن نفصل؛ لنبحث أماننا طريقان.. لا نعرف إلى أيهما نتجه. تكلم ألبرت: - لا، لا أريد هذا الانفصال. فلنبحث مجتمعين. اعترضت منى. - سوف يستغرق هذا وقتاً طويلاً.. هيا فليتنج كل منا في اتجاه؛ فالمحمية ضخمة جداً. علا الاضطراب وجه ألبرت ورفض تماماً أن يتحرك وحده. فاقترح جوزيف وكأنه تفهم مخاوف وتوتر ألبرت:

-أنا أيضا راغب بمن يسير معي . هيا معنا يا منى .
 ردت منى وهي تعدل من وضع حقيبتها على ظهرها:
 اذهبا ولا تقلقا بشأنى.. لدي خبرة برحلات السفاري وحدي.. اعتنوا
 بأنفسكم فقط.

ثم استدارت قائلة:

-أنا سأكتشف إلى أين يؤدي هذا الممر الجانبي.. نلتقي بعد ساعة.
 تركتهم بينما جوزيف يحادث ألبرت:

-هيا لتتجه معًا من هذا الطريق وشمله بذراعه العملاقة. وسارا معا.
 ما جذب منى لهذا الممر ذي الحائط المرتفع من الجانبين ألوانه الهادئة وكذا
 تشكيلات الزهور الغريبة فيه والمنسقة بعناية فنان.

تتناثر بينها كل حين لوحات فنية مرسومة يدويا بالزيت على القماش، ولكن
 يبدو أن الألوان أو القماش من نوع متطور بطريقة ما؛ فعناصر تكوين اللوحة
 ليست ثابتة بل تتحرك وتتبدل كأنها تحكي قصة، ذكرتها بالمحطة التي أوقفهم
 عندها فيكتور، تجعلك تغوص في الطبيعة وتنسى كل ما له علاقة بالتكنولوجيا
 وما يخصها كانت اللوحات إلى هذا المدى مذهلة.

تفحص كل شيء بعين وروح تملكها الفضول والذهول ولولا الحيرة التي
 تملكها لاستمتعت فعلا برحلتها في الممر.

وسط الهدوء الشامل للمكان، لم تكن مطمئنة فلقد أحسسته الهدوء الذي
 يسبق العاصفة. مضى أكثر من عشر دقائق ولا جديد يظهر في الممر.

نباتات وزهور، تماثيل ولوحات حية، حتى زاد الممر اتساعا فجأة ليظهر
 أمامها على بعد عدة مئات من الأمتار أشجار تفاح يظهر على البعد فوق قممها

مبنى قصر على الطراز الإنجليزي العتيق. تهلل وجهها وأسرعت الخطى.. ستجد أخيراً أحدا هنا بهذا المكان.

انفصلت كلياً عن الممر وما فيه وهي تقترب من القلعة. التفت حول نفسها بدائرة كاملة تتأمل المكان، وكأنها في رواية قديمة لتشارلز ديكنز أو إحدى مسرحيات وليم شكسبير.. ترى هل يفتح لها شارلوك هولمز الباب؟ ضحكت بداخلها من تصاعد خيالها لهذه الدرجة، ولكن كانت القلعة تماماً كما تخيلتها لقلاع الريف الإنجليزي في عهد تلك القصص والمسرحيات.. بأشجار التفاح المتناثرة والتي تكاثفت ثم خفت تدريجياً كلما اقتربت من المبنى. سمعت صهيل خيل آت من بعيد.. حتى تكتمل الصورة كما تخيلتها، وعلى مد البصر تمتد ملاعب الجولف بأرضها الخضراء المختلفة الارتفاعات والانعطافات.

صعدت بضع درجات.. تتأمل زخارف الباب والمنحوتات الغائرة أحياناً والبارزة أحياناً أخرى في خشب السنديان القوي وأمسكت بمطرقة الباب التي كانت على شكل رأس أسد.

ورغم مظهر المطرقة العتيق الملائم للقصر ولكنها قمة التكنولوجيا يوجد بها حساسات لم تخف عن عينها وأناملها الخبيرة تنقل بصمات الإصبع.. وهناك ما يفحص فزحية عينها مجرد مواجهتها للباب.

طرقت عدة مرات؛ فلم تسمع صوتاً للطرقات فاستنتجت أن التنبيه بوجود أحد لا ينم عنه صوت.. بل يصل بطريقة أخرى لمن بالداخل. لم يفتح الباب، قررت أن تدور مع القلعة علّها تجد نافذة مفتوحة أو تعثر على أحد.

لم تجد أي ثغرة تستطيع الدخول منها أو حتى تتأمل منها المكان من الداخل.. لو كانت معها بعض الأدوات لتمكنت من فتح قفل الباب.. أو ليت جوزيف معها؛ فهو لديه مهارة فتح أي باب أو نافذة مهما كان عنيدا أو محصنا. ترى ماذا يفعل الرفاق الآن؟

اتجهت نحو مصدر صوت الصهيل الذي اعتقدت أنه صادر من الجانب الأيمن للقلعة.

بعد بضع دقائق من السير تحت أشجار التفاح وقد امتلأت بشذا شهوي الرائحة والمظهر ولولا أنها تناولت غذاءها منذ أقل من ساعة، لدت يدها لتقطف ثمرة منه. وهنا تذكرت الشرط الخامس بالدعوة: ((لا تقطفوا الثمار قبل موعدها)).

هل المقصود المعنى الحرفي أم أن هناك معنى آخر خفي؟ انتهت الأشجار وظهر أمامها مبنى كبير.. به أبواب عديدة. اختارت أقرب الأبواب لتفتحه فوجدت نفسها في إسطبل للخيل مصنوعة جدرانها وسقفها من الخشب، مع نوافذ عريضة، تجعل المكان جيد الإضاءة. فرشت الأرضية بعشب يابس ناعمة الملمس.. تفوح رائحته وطعام الحيوان مع رائحة ميزتها أنفها لجلود الأحصنة المخملية النظيفة. هالها الجمال العربي الأصيل أمامها. عشرات من الخيل. سهلت الخيل مرحبة. فضحكت من نفسها: -أتعرفها الخيل لترحب!

مدت يدها محاولة مداعبة أحدهم ولدهشتها مد خطمه يلمسها ويشمها وكأنها صديقة عادت بعد غياب. لم تملك نفسها واحتضنت الرقبة الممدودة إليها.

فتحت عينها بعد هذا الدفق من الحنان على صوت عبث بالعشب المغطى للأرضية لخطوات ثقيلة متأنية.

نظرت من تحت رقبة الحصان لتجد أمامها على بعد متر تقريبا أسدا تلمع لبدته الذهبية. تسمرت بفعل المفاجأة قليلا.. وسرت البرودة في أطرافها:

- أسد وسط الخيل!

وقفت منتصبه القامة ولم تصدر عنها همسة وهي محتارة كيف لم تهيج الأحصنة.. بل أن الحصان المرحب لم يبرح مكانه ولم يفزع؛ فقد رفع رقبته متأملا القادم.

اقرب الأسد وهي منتصبه القامة متذكرة كلمات والدها منذ زمن:
- للخوف رائحة.. إن اشتمها الحيوان أو مهاجمك عموما، سيدرك خوفك ويهاجمك.. لا تولي الأدبار وتجري عندما تخافي. بل اثبتي وسيمر كل شيء.. أو ابدي أنت بالهجوم مطلقة صيحة عظيمة إن لزم الأمر... هكذا تشلين تفكير مهاجمك.

هي ليست خائفة. فهي معتادة الحيوانات.. هي مندهشة. وزادت دهشتها عندما صدر صوت كركرة من الأسد ذكرها بكعبول.. واقترب الأسد خطواتين وتمسح بوجهه في جسدها.

- يا لك من قط كبير لطيف.

انحنى ومدت يدها تمسده.. فوجدت تحت لبدته وخلف الأذن جهازا إلكترونيا صغيرا.. ما هذا؟

وبعد مرح قليل تنبعت لموقفها الغريب في مكان غريب.

جذب نظرها على البعد حاجز بطول الإنسان المتوسط الطول؛ لتتفاجأ بمكتبة تحوي كتباً ورقية وكذا عدداً من أجهزة الكتب الإلكترونية.. ماذا تفعل مكتبة وسط إسطنبول خيل؟

مدت يدها ولكنها سمعت صوتاً غريباً خلف إحدى النوافذ. وجدت ما يسمى بالسيارة الفردية بيضاوية الشكل شفافة مزودة بمقعد واحد يتسع لفرد واحد ولا تشغل إلا حيزاً صغيراً من المكان قطره أقل من المتر.

نطت من النافذة المنخفضة الحافة؛ فهي متأكدة أن الصوت صدر من هبوط المركبة للتو.. جذب المكان بنظرها، لا أحد حول المكان.

ولن يتبخر إنسان في أقل من ثانيتين، وكان رد فعلها بين سماع الصوت ونظرها من النافذة. تنبته للحرارة تلفح وجهها.. الأرض مكسوة بالرمال يتصاعد منها لهيب حرارة.. تبدل الجو بمجرد خروجها من النافذة.

أين أشجار التفاح والعشب المغطية للأرض.. لا توجد أي نبتة إلا صبار طويل يلوح هناك على البعد بين كثبان رملية متناثرة.

لا أحد في المركبة الشفافة.. دارت حولها فهي لا تعرف كيفية تشغيلها. هذه المركبة كانت مجرد فكرة ولم يسبق أن طالعت في أي مرجع أو مجلة علمية أنها صنعت فعلاً؛ فهي إذاً من الإنتاج التكنولوجي الخاص بالمحمية. وقفت واضعة يدها على جبينها ثاغرة فمها على آخره.

- إلا يوجد بشر هنا؟

هكذا صاحت علّاً أحداً يرد عليها، وعندما لم تلتق رداً.. نظرت للأحصنة والأسد من النافذة خلفها قائلة:

- سوف آتي لأراكم مرة أخرى.. إلى اللقاء.

تركت المكان أسفة. فهي في مهمة استكشاف، ولم يتبق إلا القليل لتعود من حيث أتت وتقابل أصدقاءها.

صاحت منادية مرة أخرى كمحاولة أخيرة قبل أن تغادر المكان.. وما من مجيب، وقفت حائرة في هذا الوضع المحيط بها.

ترى ماذا وجد الآخرون؟

سارت عدة خطوات بطريقها للعودة، ولكن لم تستطع المقاومة إثر صدور صوت من المركبة. فالتفتت متوجهة ناحيتها. متحسنة أجزائها الخارجية فما لبث أن انفتحت بابها فصعدت لتجلس على الكرسي المنفرد.

متأمللة شاشة لمسية أمامها.. محاولة التعرف بالنظر ماهية تلك الآلة وعملها. ومن دون أي صوت، أغلق الباب وجدت أن الآلة تتحرك مرتفعة عن الأرض عموديا بحوالي العشر أمتار ثم تتخذ طريقها أفقيا في حركة سلسلة في أقل من الثانية. زادت دهشتها كيف تحركت وهي لم تلمس أي شيء.

وإلى أين تسير بهذه السرعة الآنية. ويلمح البصر وصلت السرعة لما يتعدى المائة كيلو متر بالساعة كما ظهر الآن على الشاشة أمامها.

وان لم تفهم مجموعات الأرقام والرموز الأخرى على الشاشة، ولكنها لم تستطع فك طلاسمها رغم براعتها التامة في لغات الكمبيوتر.

إلى أين تتجه؟

في مكان آخر من المحمية.
 وقع الأقدام على الأرض فوق الجسر القصير المضيء هو ما يشق السكون،
 كرين وتر بين قاعة صمت.

جوزيف بخطوات سريعة تحاول أن تستبق ما خفى عن العين وألبرت
 يوازي خطواته التماساً لرفقة تؤنسه وتطرد الخوف بداخله.
 عينا جوزيف تلتقط ما تقع عليه يحاول أن يعثر على شيء ألقى ألبرت ببصره
 لآخر الجسر ونطق بصوت خافت وكأنه استجداء:

- ترى لأي شيء ينتهي الجسر؟!

توقفت خطوات جوزيف قبل نهاية الجسر بوضع خطوات وألقى صيحة
 إعجاب وهو يشير لغابة الأشجار السوداء التي أمامهم وقد تدلت منها مختلف
 الفاكهة الملونة بأشكال غير طبيعية؛ فالموز اتخذ شكلاً دائرياً، والتفاح اتخذ شكلاً
 طويلاً.

و اختلطت روائح الفاكهة مجتمعة في عبق الجو جوزيف وهو ينظر لألبرت:
 - هذا المكان عجيب فعلاً.

أشاح ألبرت بوجهه دون أن يعبر عن ابتهاجه هو الثاني.
 ارتفع حاجب جوزيف للأعلى محاولة لفهم غضب ألبرت غير المفهوم، بينما
 حث ألبرت الخطى خطوتين حتى لا يرى جوزيف خوفه والأفكار المقلقة التي
 تتردد بعقله وتغذي مخاوفه أكثر فأكثر.

قال جوزيف: كيف تم تجميع كل تلك الثمار لشجرة واحدة؟ وكيف اتخذت
 الثمار الأشكال الهندسية؟ وهل المذاق المألوف هو نفسه أم هو مذاق مختلف؟

مد ألبرت يديه يتحسس ملمس الأشجار تنزلق يده بسهولة ويسر على الأشجار الملساء قبل أن يجييه بحيرة:

- وكأنها غرس حديث نبتت للتو، إنها لينة وناعمة ومثمرة وليست قوية وصلبة مثل طبيعة الأشجار الأخرى.

لم يستطع كبح زمام شغفه.. مد يده ليلتقط إحداها ولكن يد جوزيف علت ذراع ألبرت وجذبه للخلف هاتفا بلهجة تحذير.

"لا، لا تتذوق الثمار.. هل نسيت شروط الدعوة؟ ربما هذا ما قصدته الدعوة".

هز ألبرت رأسه بالنفي قبل أن يتابع..

-الثمار ناضجة، شرط الدعوة لا نقطف ثمارًا غير ناضجة.

ثم التقط ثمرة موز دائرية ليستنشق رائحة موز وبرتقال معا ثم تذوقها وقال

ألبرت: لذيق حقا فيتامين a و c معا هل ترغب بالتذوق جوزيف؟

لوح جوزيف بيديه كلا ثم قال بهدوء لصاحبه: لنواصل السير...

تلت الأشجار القائمة أشجار متوسطة الطول ذات غصون خماسية تتدلى

منها أوراق ممتزجة الألوان ثمارها كحبوب مضيئة وأشجار تميل للقصر ذات

ذبذبات منحنية للأمام والخلف كأنها تؤدي رقصة ما.

تتبعها أشجار مرتفعة الطول غصونها تميل بأوراق صلبة زجاجية شفافة

كمراة عكست صورة لألبرت وجوزيف معا مما جعل ألبرت يتكلم ساخرا:

- صورة لتخليد اليوم بالذكريات.

شعرا بالألم في أقدامهم بعد اجتياز الغابة، افترش ألبرت الأرض، بينما ظل

جوزيف واقفا يتأمل الغابة وكأنها لوحة زيتية صاح جوزيف بإعجاب:

- غابات خلافة.

قبل أن يجلس ويلصق ظهره لألبرت.

التفت جوزيف برأسه يمينا ويسارا قبل أن يشير له أمامه هامسا:

- هل تسمع هذا؟

هز ألبرت رأسه بالنفي هامسا بصوت خافت: لا.

تابع جوزيف بحذر همهمات أو ضحكات.

ألقي ألبرت ببصره على الطريق الذي امتد على مفترق غابات صنوبرية وأشجار التنوب والشوكراف والصنوبر مع أشجار تعلو خلفها بعض تلال وجبال، ثم تلا ذلك أشجار الصنوبر والزان يرافقهم نخيل وصبار وأشجار الأرز الأطلسي شاهقة الارتفاع وأشجار التنوب الترميدي.

صاح ألبرت:

- يجتمع هنا نخيل وصبار من غابات صحراوية مع صنوبر غابات استوائية.

مدهش حقا.

ثم تلا ذلك سريان نهر قد امتلأ بأسماك زاهية الألوان مع دلافين وبعض الشعب المرجانية مختلفة الألوان وبعض الطحالب والحبار وبعض الرخويات.

تمتم ألبرت بصوت منخفض وهو يقف أمامهم:

- إنها ليست همهمات أو ضحكات. إنها لغة الدلافين.

ألقي نظرة على صديقه المستغرق بتأمل النهر وأردف:

- تبدو الدلافين وكأنها تطير بالهواء.. شدة نقاء الماء مدهش.

أجابه جوزيف بثقة:

- هناك حاجز أيضا غير مرئي.. انظر لحركة الدلافين، إنها بنطاق محدد أنه حيز تمرح خلاله وتسيح.

أضاف ألبرت وهو يومئ برأسه وقد أقر بذكاء جوزيف:

- لهذا سمعنا الصوت لو كان نهرا جاريا ما كنا لنسمع ولكنه حيز مغلق والحاجز الخفي لتشعر الدلافين بالحرية.

ألقي جوزيف نظرة للأمام وهو يترجم ما يدور بفكره:

- أي عبقرى صنع هذا المكان؟ أي إرادة صممت فرأت كل هذا الإبداع لتتجسده.

ثم فرد ذراعيه باتساعها وأكمل:

كما لو أنه أراد أن يطوي الكرة الأرضية هنا.

ترسمت علامات اليأس على ألبرت قبل أن يعبر عما بداخله بغضب:

- ولكن هذا الهدوء قاتل وكأن البشر قد تم فناؤهم بطريقة أو أخرى هذا غير مطمئن.. لا أثر لبشري واحد.

تراقصت ابتسامة هادئة على جانبي فم جوزيف، ثم نظر إلى ألبرت لثوانٍ مما

جعل ألبرت يتساءل: ما الأمر؟

لقد لمس جوزيف خوف ألبرت، ولكنه لم يواجهه بهذا؛ فقد أثر الصمت

وضع يديه بجيب بنطاله وأخرج حبوب التغذية الخاصة به.. مد يديه لألبرت وهو يتكلم بتبرير:

- أفضل دائما حبوب التغذية هل ترغب بواحدة؟

التقط ألبرت الحبوب ثم ابتلعها فقال جوزيف ليث روح الأمان.

- كثير وكثير يرغبون بزيارة للمحمية. نحن محظوظان يا صديقي، نلنا هذه الفرصة.

نظر له لحظة قبل أن يتساءل وهو ينظر حوله:

- والآن، أين الاتجاه؟

أشار جوزيف بإبهامه قائلاً بلهجة تشجيعية ومحفزة لامتناس خوفه.

- الأمام فلتكن وجهتنا دائماً إلى الأمام فما حولنا غابة ونهر ماذا تتوقع أن

نجد أيضاً يا صديقي؟

ساد بينهم لحظات صمت وهم يسيران جنباً إلى جنب وألبرت يحاول أن يجد

إجابة قبل أن يهمس بتمني: أتمنى أن أجد بشرياً من ساكني المحمية.

هز جوزيف رأسه موافقاً قبل أن يتحدث وهو يشعر بنوع من التشويق:

- أثق أن كل ما سأراه سيضيف لي شيئاً أعرف، ومتيقن من هذا.

ألقي ألبرت نظرة على الأرض التي يسرون عليها الصمت والقلق كان

يسيطران عليه وبعض من الألم الجسدي الذي لا يعرف هل هو من السير أو من

كثرة الأفكار التي تتأرجح بعقله يمينا ويسارا.

بينما جوزيف يشعر بنشوة فوز؛ فما يراه يضيف لعقله ويغذي نضجه

العلمي، كم هو تواق لمقابلة جاك كونور لشرح له باستطالة وعمق. كيف لهذه

التناقضات أن تخضع لرؤية العلم وأي طفرة علمية فاقت تخيلاتهم وجدها هنا

بالمحمية.

رفع ألبرت عينيه ليلمح قوساً معدنيا ذهبياً يضيء.

ألبرت وهو ينظر لجوزيف: هل ترى هذا؟

أوماً جوزيف برأسه موافقاً وتابع معه: إنها بوابة.

ألبرت وهو مندفع: هيا بشري، وقل إننا سنجد هناك الرفاق وسنخرج من هنا.
 هز جوزيف رأسه بالنفي وهو يشاهد القوس الحديدي الذهبي المضيء
 الذي على بضع خطوات.

قال جوزيف: هي بضع ثوان ونرى ما خلف هذه البوابة.
 أطلق القوس الذهبي أزيزاً مرتفعاً، ثم تألق اللون الأزرق بمختلف درجاته
 هنا صاح ألبرت بسخط:

- نعم نحن آمنون سالمون أيضاً، لا متفجرات، لا معادن، لا شيء تخشونه
 منا، لم نأت للحرب.

اتبعا نظرة على الأرض الجرانيتية والجدران التي حملت اللون الذهبي المضيء
 ثم هبطا ثلاث درجات محاطين بسياج حلزوني فضي اللون أعقبه ممشى ضيق يكاد
 يتسع لكليهما على جوانبه صخور بيضاء متوسطة الحجم.

انتهى الممشى بدرجات أخرى قليلة إلى الأسفل وهناك يجدون شيئاً مختلفاً.
 يعثرون على لوحات زجاجية معلقة على الجدران فتوقف ألبرت قليلاً ليقراً
 ولكنه لم يستطع فهم اللغة ثم تتم:

- أظنها كتابات قديمة أو مشابهة لها.

وضع يديه على فمه ثم صاح بصوت مرتفع:

- مرحبا هل هناك احد هنا؟

استمع لصدى صوته يتكرر ثانية فنطق بحقن:

فقط جدران وأرض هنا.. هل هذه مدينة الأموات؟!

ركل الأرض بقدمه قبل أن يقول: اللعنة!

جوزيف ظلت ملاحه صامته.

قال ألبرت: أظنها منطقة صدى الصوت.

أشار جوزيف بيديه لألبرت اتجاه الشمال وهمس:

- هناك طريقين فرعتين ليكتشف كلا منا ما هناك ونعود هنا ثانية.

تابع جوزيف:

لنختصر الوقت والإجهد ونخبر كل منا الآخر بما شاهدته حينما نعود.

على الطريقين والجدران المضيئة قبل أن يوافق على مضض مضت بضع

دقائق قبل أن يتناهى لمسامعه إيقاع موسيقا مألوف له.

حث الخطى وهو يتابع الضوء القرمزي الأحمر فازدادت الموسيقا إيقاعا

واقترابا.

جوزيف وهو يشعر بالدهشة: الكرملين روسيا القديمة!

اقترب جوزيف أكثر من مبنى الكرملين وإيقاع الموسيقا يصدح عاليا هتف

جوزيف بصوت عال.

- إنها موسيقا عسكرية. لمح شخصا يقف على مسافة بجوار مبنى ما ملاحه

قريبة من شخص يعرفه.

تكاد الملامح تزدوج بشخصيتين.

هل هو أو لا؟

تساءل جوزيف بصوت عال وهو يبحث الخطى ليقترب منه.

وضع جوزيف يده على وجهه ثم توقف عن السير فجأة قبل أن يهمس:

- يا الله، إنها أشعة ألفا، أكيد ترجمت حوار العقل الباطن لأرى روسيا

القديمة وجدي وبوتين رئيسا سابقا لروسيا بأن واحد.

حين أزاح يده من على وجهه كانت الصور قد اختفت ألقى نظرة على المكان الخالي من كل شيء ثم قال مع نفسه:

- لا بد أن الموجات تنبعث من الأرض.

شعر بشيء من الغضب ولكنه أجبر قدميه على السير لعدة دقائق ثم يتوقف أمام سياج خشبي منخفض الارتفاع دائري يتوسطه مبنى صغير من طابق واحد. عبر جوزيف المبنى ودفع الباب برفق ثم كانت هناك غرفة واحدة فقط. فتح الباب بهدوء ليقابله بالجهة الأخرى من الغرفة باب آخر على الحائط وتوجد لوحة ضوئية مجزأة لخمسة أجزاء طولياً، وخمس مناظير مرتبة بشكل متسلسل وملتصقة بمقاعدهم.

مرقمة أعلى المناظير نوتات إلكترونية مستطيلة.. التقط جوزيف النوتة 1 محاولاً فتحها فانطلق صوت تحذيري: البصمة غير مطابقة.

أعاد جوزيف النوتات موضعها وهو يقول:

- لا ريب أنها قاعة اجتماعات أو مباحثات نهائية حول تنفيذ الاختراعات ويبدو الأمر كمجلس استشاري من خمس علماء.

أدار الباب الغرفة الآخر ليجد نفسه خلف المبنى وأمامه بحيرة ماء هادئة توقف أمامها قطار.

جوزيف: قطار برمائي؟!!

ألقى نظرة على القطار من الخارج المكون من خمس عربات صغيرة كل عربة تحتوي على أربع مقاعد ولوحة تحكم.

تساءل جوزيف بحيرة: هل القطار يؤدي للطريق الذي سلكه ألبرت؟ أم يؤدي إلى مكان آخر؟ لماذا يوجد خلف البحيرة؟

شعر يارهاق فجلس على الأرض وهو يفكر كيف يستطيع تشغيل القطار المغلق أو فتح أبوابه.

نظر ألبرت للطريق أمامه بحذر، ثم نظر للطريق الذي سلكه جوزيف، فكر لحظة أن يلحق به، ولكنه شعر أنه سيكون كطفل جبان استمع لخطوات جوزيف الواثقة وهي تبعد فانطلق يعدو للطريق يحاول أن ينهيه ليعود سريعا له وهو يحدث نفسه قائلا ليبت روح الاطمئنان لذاته:

"الوضع آمن هنا فقط لا شيء، إنه الصمت والسكون والخواء. خلاء المكان هذا جيد".

تحدث لنفسه مازحا محاولا تبرير هذا الوضع:

- إنه يوم عطلة أسبوعية لهذا الجميع بإجازة ما المخيف لهذا؟ لا شيء حقا فلتهدأ ألبرت.

انطلق يعدو مبتعدا للأمام وكلمات جوزيف محفزة له فلتتخذ الأمام وجهتك.

وثمة رعشة عالية بيديه زادت من خفقان القلب، وانهمر عرق غزير بوجهه لم يعلم كم من الوقت ركض إلا حين توقف أمام بوابة سوداء عالية أمسك بالباب الحديدي يزه بعنف وهو يصرخ بصوت متقطع الأنفاس مصاحب لبكاء خوف وفرح: هل من أحد هنا؟

فكر ألبرت لحظة أن يعود لجوزيف ليدخلا معا ويكتشفوا ما وراء البوابة. أدار رأسه إلى الجهة الأخرى المغايرة للبوابة وكاد يعود أدراجه.

ولكنه أبعد التفكير عن عقله فليكتشف ما وراء البوابة، ثم يعود ليخبر رفيقه عوض عن أن يظهر بمظهر طفل يلتصق بوالدته خوفا من المدرسة.

من منتصف البوابة اثنتى جزء منها فصار مثل المطاط لتتشكل بطول وقوام
وهيئة ألبرت الجسمانية مما يسمح لجسده بالمرور.

أخذ نفسًا عميقًا بهدوء قبل أن يلج المكان فور عبوره وعاد الجزء المثني
للالتحام داخل البوابة لتعود للانغلاق من جديد.

ألبرت وهو يتكلم بغضب: ربما كان من الأفضل توجيه الدعوة لأليس
فنحن ببلاد العجائب حتماً.

تطلع ألبرت ل نباتات الفلبنفشيا والزهراتية والرافليسيا النادرة ونباتات
مهجنة حملت الرافليسيا والفلبنفشيا معا.

امتدت لمسافات كبيرة تليها نباتات آكلة اللحوم صائدة الفئران والحشرات
ونباتات أخرى ذات أوراق مرفوعة إلى الأعلى حملت داخلها بذورًا.. ما بين
وحين تلقى بالبذور خارجها وتعود للانغلاق من جديد.

رفع بصره عاليًا: هل من أحد هنا؟

اتجه لليمين بخطواته لمبنى حلزوني من ثلاثة طوابق كانت الأبواب مفتوحة
والنوافذ كذلك ومناضد زجاجية عشرة بقدم واحدة مثبتة بالأرض تحتوي كل
منهم على ميكروسكوب.

وضع أسفل كل ميكروسكوب جذور نباتات شتى. ودولاب زجاجي
بنهاية الطابق الأول يحتوي على خمس أرفف مثبت بداخلها جذور النباتات
بطاقات تعريفية لها.

بينما اختص الطابق الثاني نفس المناضد ولكن تحت الميكروسكوب كانت
ساقات النباتات، والطابق الثالث اختص بأوراق النباتات وبين زوايا الطابق
الثالث انتشرت أصيصات تحتوي على النباتات وزهور نادرة.

صاح ألبرت بدهشة:

يبدو الأمر وكأنهم تركوا معامل النباتات على فجأة.. لا بد أن شيئًا طارئًا قد حدث.

غادر المبنى متخذًا طريق اليسار واستمر بالسير مسافة كبيرة ولا شيء غير أرض خضراء بحشائش متساوية بالأرض.

وهو يلتقي ببصره يمينًا ويسارًا إلى أن توقف أمام ثلاث شمس مضيئة تدور بحركة دائرية على مستوى منخفض.. ما لبثت أن اتخذت طريقًا جانبيًا فاتبعها ألبرت لتتوقف الشمس عند أقفاص الحيوانات.

تراصت بثلاثة صفوف اتخذت كل شمس صف لتحلق بمتصفه الحيوانات من الفصائل المختلفة، حمل كل قفص كارتًا معدنيًا أزرق يحمل عمر الحيوانات المختلفة.

قد تعددت الفصائل وبقي شيء يجمعهم وهو الهدوء الذي خيم على المكان والحيوانات أيضًا. اتخذ ألبرت طريقًا بين الصف الأول والثاني من الأقفاص. شعر ببرودة بالجزء من جسده وحرارة بالجزء الآخر فأيقن أن الشمس مهمتها توفير مناخ لكل حيوان حسب بيئته فانهى مروره بين الأقفاص.

يصادفه مبنى أبيض كبير من طابق واحد بجوار المبنى قد استقرت ثلاث فقاعات ضخمة شفافة تحتوي على لوحة تحكم شبيهة بالتي بالطائرات. ومقاعد معلقة بحبال لجوانبها وخوذات خلفهم مرصد آخر يعلوه عدد من التلسكوبات الضخمة.

استدار يبحث بين أركان الفقاعة عن باب لدخولها، ولكنه لم يعثر على شيء. أدرك ألبرت أن الفقاعة هي وسيلة من وسائل التنقل بالمحمية.

وقد تكون أسرع من الطائرات قادرة على اجتياز الأميال الشاسعة في بضع دقائق.

حين لم يسفر بحثه عن شيء أسرع الخطى متأملاً أن يجد نجدة لصديقه وتوقف أمام الباب الزجاجي للمعمل الذي انفتح دون لمس ألبرت له.

ألبرت وهو يحاول فك اللغز: كأن حرارة الجسد هي مفتاح الدخول.

من الداخل مساحات متساوية لمعامل عديدة حملت أرقام تسلسلية حوى كل معمل على مناظير دائرية بيضاء وقوارير زجاجية احتوت على خلايا حيوانية وأكياس دماء وبعض من الأنسجة الحيوانية وبمنتصف كل معمل قفص حمل رقم المعمل واحتوى كل منهم على حيوان وليد صغير الحجم.

تكلم ألبرت بنبرة من غضب: معامل الاستنساخ الحيواني فارغة من العلماء! اتخذ خطوات بتثاقل من المعمل للخارج وجلس على الحشائش ثم ضم قدميه لذقنه ليوقف الرعدة بأوصاله ودفن وجهه بينهم.

شغل تفكيره جوزيف كيف يعود له؟ ما مصيره؟ وقد أغلقت البوابة خلفه ومتى سيظهر احدهم لينهي تلك المتاهة؟

كان وجوده مع جوزيف يهدئ قليلاً من القلق، ولكن الآن يستبد به خوف بل رهاب البقاء منفرد بمكان لا يأمن مخاطرة.

في مكان آخر بالمحمية وبالتحديد مكان فيكتور وصديقه كعبول.

ملف ٧

التقط فيكتور كعبول من الأرض رافعا إياه ليضعه على كتفه، بينما لعق كعبول جانب وجه فيكتور الأيمن بحركة امتنان؛ مما جعل فيكتور يتسم هامسا له "يبدو انك تتمتع بهذه الرحلة" هز كعبول ذيله علامه موافقة فغمغم فيكتور وهو يغمغم لكعبول.. استمع لصوت خرير ماء عالٍ.. سار باتجاه الصوت ليتوقف دقائق أمام شلال الماء المندفح من أعلى لأسفل الماء بحوانب الشلال أعمدة بازلتية شاهقة الارتفاع تحيط به من الجانبين.. يتدفق الماء منه لممر ضيق قبل أن يصب بحوض واسع الصخري المنحدر لأسفل بالطريق الموازي للشلال تنثر بعض بتلات بيضاء بين الصخور مع صوت هدير الشلال أعطى جواً من الهدوء، وانتشرت بالجو رائحة عطرية فثبت فيكتور وضع العدسة لتظهر المعلومات على لوحة إلكترونية ببطاقات تعريفية أشجار الفلاكوريتا روكم والدليلتا العطرية يبلغ ارتفاعها ثمانية أقدام وأوراقها تستخدم لأغراض طبية للشفاء تلتها أشجار الكمثري البري مقاومة الحريق ثم الأشجار الدائمة الاخضرار، شجر التين البنغالي التي ذات الدعامية الهوائية تدلت بعمق لتلامس الأرض؛ فتزرع نفسها من جديد، ومن بعيد ظهرت أسراب أسراب من الحشرات تفر الاتجاه معاكس.. عدل فيكتور من وضع العدسة لتظهر على اللوحة الإلكترونية أسماء اشجار نيروسيما والبيسكا.. الطاردة للحشرات عليها تلتها أشجار بوتيا همس فيكتور بهدوء "تعطي الطبيعة دائما ولا تمل من العطاء". أنزل كعبول من كتفه.. وضعه برفق على الأرض؛ فهز كعبول رأسه باعتراض هتف فيكتور بلهجة توبيخ "لا ضرر من تريضك قليلا". امتزجت الألوان برونقها الآخاذ تداخل لون الأحمر للبندورة مع الأصفر للجزر.. توازى مع خضراوات

البسلة والفاصوليا بامتداد على رقعة شاسعة ظهرت على لوحة إلكترونية كلمة خضراوات طبيعية مئة بالمئة دون أي ذرة كيمياوي هتف فيكتور بفرح "المرّة الأولى التي أشاهد حقلاً طبعياً دون آفات الكيمياوي وجنونه.. لكم عانى الجميع من المسحوق السام الذي دأب الجمع على أن يلوّث حقولهم ما بين رغبة جشعة بجمع مال فتهافت ليحصد ما زرع قبل آوان الحصاد مضيّفاً مادة تعطي الثمار لون النضج بينما بقي قلب الثمار نبيّ بلا نغزة ضمير واحدة ولا التفات لصراخ أطفال قد استقر المسحوق بأمعائهم وسرى الفيروس ينهش من أجسادهم الغضة وتكاثرت الميكروبات فمنهم من خضع بلا مقاومة، ومنهم من حاول بألم فترك المسحوق صفار بصمته على وجوههم، ومنهم من كان القدر به رحيماً، لفظ المسحوق السام واكتفى بكسرات خبز عوض عنه.

لم يكتف المزارعون بمحصول باهظ الثمن بل وضعوا بين الثمار أكاليل المرض. زعم بعضهم أن آفات تنال من الثمار ورش الكيمياوي علاج للآفة؛ فمقدار الآفة ضاعف المعيار فأهدى المستهلك السلامونيا وانتشر المرض يحصد الأرواح بلا مقاومة بعضهم قد نجى فقط ليخبر الأطباء التحليلات الدم عن قاتله وبعضهم ارتضى أن يمضي باقي العمر يشاركه المرض وبعض الأطفال أحدث بهم خللاً بوظائف الدماغ فصار النسيان وعدم التركيز صفاتهم.. وبعض الأجنة قد تركوا بطون أمهاتهم بتسمم بعد وفاتهم داخلها وبعض الأمهات احتضنت أجنحتها بقبورهم في حنان وصمت وأصبحت الثمار الطبيعية كالجواهر الغالية تباع مغلفة بمحلات خصصت لها لا يلج لها إلا الطبقات الراقية، أما الطبقات العادية إما أن تموت من الجوع وإما تموت متشبعة من الكيمياوي ولا حرج". جذب كعبول بنطال فيكتور ليجذبه لخارج الحقل فتساءل فيكتور "هل

مللت الوقوف؟". ولكن كعبول جذبة من جديد فغمغم فيكتور وهو ينظر لساعة يده "موعد وجبتك". ثم نظر حوله بحيرة وهتف "والآن أين نتجه؟". جذبه القط بقوة فهتف فيكتور "لقد عثرت على طعامك.. هل هذا ما تريد إبلاغي؟ تقدم وأرني ماذا تريد". سار كعبول ليجتاز الحقل ثم يعرج بطريق جانبي قد استقرت شجرة توت عملاقة على حافة نهر حامت أعلاه مراوح دائرية بلاستيكية يتوسطها قائم مستطيل كلما انغمست بالماء امتلأ القائم بشوائب النهر.. همس فيكتور وهو ينظر لصفحة الماء الرائقة "لا ريب أنها آلات لتنظيف النهر". ثم نظر لكعبول وغمغم "هل أنت عطش ظننتك جائعاً". صدر مواء من كعبول قبل أن ينصب قوائمته الأمامية.. ثوان ويقفز فجأة بالنهر ليلتقط سمكة صغيرة بأسنانه فابتسم فيكتور بحماس مغمغم بمرح "يا لك من مقاتل.. شملت رائحة السمك عن بعد وقررت أن يكون يومك في الصيد". سارا بمحاذاة النهر التي انتشرت على جوانبه أشجار البونساي متقزمة.. عدل فيكتور العدسة ليقراً المعلومات عن الأشجار التي يتراوح طولها بين ٧٠ سم إلى ١ متر.. كانت حركة كعبول بدأت تتناقل فرفعه فيكتور لذراعه ليغفو عليه.. سار بضع دقائق ليتوقف أمام بوابة سوداء دائرية.. جهاز فحص شامل تفتح من خلال بصمة اليد وضع فيكتور يده ليتألق ضوء خافت بالبوابة، ثم يصدر صوت أزيز ليحبر خلالها فيكتور.. خلف البوابة كانت هناك ثلاثة طرق فقط بلون أسود توقفت بالطريق المنتصف عربة قطار صغير بلا جدران فقط نوافذ ومقعد واحد، أما الطريقان فلقد أغلقوا بعلامة X حمراء كبيرة.. وضع فيكتور كعبول على قدمية وانتظر تحرك القطار ولكن الطريق انثني بحركة سريعة للأمام، ثم توقف ليدرك فيكتور أن الطريق هو من تحرك مما جعل كعبول يفزع ويخفي رأسه بجسد

فيكتور.. توقف الطريق لثوان ليهبط فيكتور محتضنا كعبول أمام مبنى زجاجي مستطيل.. عبر فيكتور الباب يتبعه كعبول.. الردهة الطويلة تنتهي بباب واحد فقط وضع المفتاح الفضي معلقا بالباب، أدار فيكتور المفتاح كانت كلمة jack بحروف كبيرة فضية قد تراصت بالغرفة.. احتوى كل حرف على عدد كبير من الكتب الإلكترونية القابلة للطي.. رتبت داخل الحروف تسلسل الحروف الإنجليزية وبإحدى زوايا الغرفة وضعت بأناقة فهرسًا على لوح شفاف زجاجي قائمة بأسماء الكتب الموجودة بالمكتبة، ونبذة مختصرة عنها.. "مذهل" .. نطق فيكتور بالعبارة وهي يخرج أحد الكتب العلمية الذي تجاوز الألف صفحة.. سرت إضاءة خافتة على الكتاب.

قبل أن يستمع فيكتور لصوت إلكتروني من زوايا الغرفة العلوية يخبره باسم الكتاب ثم سؤال موجه له "هل ترغب بسماع الكتاب أم قراءته؟". أعاد فيكتور الكتاب لموضعه ثم تساءل بشغف "ما مميزات هذا الكتاب؟". أجاب الصوت الإلكتروني بسرعة "يمكنك الحصول على مئة معلومة عن طبقات الأرض؛ فالكتاب مخصص لعلم الجيولوجيا". وضع فيكتور الكتاب مكانه ثم أجاب "مستعد للاستماع". ألقى الصوت الإلكتروني اسم الكتاب ومؤلفة وجنسيته والعام الذي طبع فيه الكتاب، ثم ألقى على مسامع فيكتور المئة معلومة قبل أن يسأل فيكتور من جديد "هل ترغب بترشيح كتاب آخر لك؟". هز فيكتور رأسه بالنفي قبل أن يغمغم باعجاب "مكتبة علمية سمعية وبصرية يستحق أن نمضي العمر كله هنا". مضت ربع ساعة كاملة وفيكتور يستمع الصوت الإلكتروني عن معلومات بعض الكتب بشتى المجالات قبل أن يقرر الخروج لإكمال طريقة من خلف المكتبة.. بدت الكثبان الرملية ورمال الصحراء

الصفراء .بدت النجوم قريبة جدا وظهر بوضوح حزام المجرة ضخما وعريضا وكثيفا بدرجة مبهرة.. شعر فيكتور للحظة أن السماء منطبقة عليه قريبة لدرجة أنه يستطيع لمس النجوم بيديه، وعلى ربوة عالية 2365 متر.. ظهر بوضوح مرصد فضائي مكون من سبعة تليسكوبات منفصلة.. تعمل بالمرآيا ذات القطع المكافئ ويبلغ قطر المرآه 8؛2 متر وتلسيكوب مسح فضائي يتميز باتساع رؤياه.. وداخل المرصد شاشات متابعة ومحطات استقبال إذاعات المركبات الفضائية.. اتخذ فيكتور مقعدًا خلف شاشات المراقبة، وعلى كتفيه استقر كعبول وأحكم فيكتور وضع السماعات ليظهر بوضوح على الشاشة درب التبانة تلتها صور وأصوات الكواكب واضحة؛ عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري، زحل، أورانوس. بدت أصوات الكواكب مرعبة كرياح تعوي داخل مدن مهجورة، تلا ذلك ظهور بعض المجرات والمذنبات، ثم ظهرت بوضوح كواكب خارج المجموعة الشمسية GJ 1214b، كوكب الماء :حيث لا يوجد يابسة أبدا؛ فقط المحيطات التي تمتد على جميع أنحاء السطح .ثم تلاه كوكب الياقوت. Hat-P-7b على بعد حوالي 1000 سنة ضوئية من الأرض.. شاهد فيكتور العواصف العنيفة داخل الكوكب الذي تلاها تساقط الياقوت نظرا لامتلاء الغلاف الجوي.. الكوكب أكسيد الألومنيوم الذي ينتج منه الياقوت، ثم تلا ذلك ظهور كوكب 55 Cancri E كوكب الماس: الذي يبعد عن الأرض 40 سنة ضوئية. تبلغ مساحته ضعف مساحة الأرض، وتبلغ 8 أضعاف كتلتها، وضعف كثافتها. معظم كتلته من الكربون نظر للنجم الأم الخاص به النجم الأم الخاص به ثم شا هد فيكتور كوكب Gliese 581c الكوكب المتناقض المناخ ، أحد جانبي الكوكب يواجه دائئًا النجم الخاص به، والجانب الآخر لا يواجهه مطلقا؛

فالجانب القريب يعاني من درجات حرارة حارقة بينما يواجه الجانب البعيد درجات حرارة منخفضة مثل الثلوج.. أطلق فيكتور صيحة إعجاب قبل أن يتمم "بعد كل هذا التقدم وسبر أغوار الفضاء، هل سيحتل البشر الفضاء ذات يوم؟".

عندما خرجا من ذلك المكان وجدا نفسيهما على أرض نصف دائرية أمام بحر هادئ أمواجه ما بين مد وجذر.. تلامس مياهه الرمال البيضاء بحصى تحمل اللونين؛ أزرق وأحمر؛ فبدت كحبات ياقوت متناثرة على الرمال بإهمال. خمس مدرجات رخامية مصنوعة من جرانيت مختلفة الألوان تحيط بهم أعمدة بازلتية متوسطة الارتفاع تنتهي بقوس.

يعلوهم خمس غرف متجاورتين منفصلتين بتسلسل رقمي، ظللتهم من الخلف أشجار الفيكس.. تطلع فيكتور أعلى الغرفة الأولى للفتة الضوئية ترشده بضرورة خلع الأجهزة الإلكترونية والمعادن حفاظا عليها.

علم فيكتور أنه بمكان أشبه بالمنتجع الصحي أو الترفيهي لمن يسكن في المحمية وهو أمر رائع لزيادة الانتاجية عند الفرد.

خلع فيكتور ساعته واضعا إياها بيد زجاجية مثبتة بالجدار. أدار فيكتور مقبض الغرفة الأولى ليظهر اللون الأزرق الفاتح قد كسا الأرض والجدران زرقاء، بينما زودت زوايا الغرفة العلوية بمجسات كهربائية تعلوها عدة طبقات تقيها الترشيع وتحليل الأشعة.

فيكتور وهو يكلم قطه كعبول بصوت واثق: إنها غرفة الكهرباء.

ثم جال ببصره بزوايا الغرفة قبل أن يتابع: ولكنها بأحدث التقنيات! أطلق كعبول مواء عاليًا بعد أن انغلق الباب بشكل مفاجئ.

انتصب شعره الأسود واقفا فبدا مثيرا للضحك والشفقة بأن واحد همس فيكتور وهو يلقي نظرة على كعبول المتشنج:

- لا ألومك كعبول لعدم حبك لغرفة الكهرباء؛ فحتى البشر تسري بين جيناتهم فوياا الكهرباء؛ فحوادث الكهرباء فادحة رغم براءة الغرفة من أي حوادث ولكنه الخوف البشري المتوارث.

أرخی فيكتور جسده على المقعد الأزرق (شزلونج) الموجود بالغرفة ووضع رأسه على الوسادة الهوائية أعلى المقعد.

أدخل ذراعيه بحلقة دائرية ناعمة متصلة بحبال بلاستيكية مبطنة تنتهي بمشابك صغيرة التصقت بأصابع فيكتور.

أما الحبال على زوايا المقعد مثبتة بجهاز مستطيل تدور داخله دائرة زرقاء ذات ثلاث فجوات تبدو كأسطوانة قديمة تندفق منها الشحنات الكهربائية مقدار شحنة الكهرباء ٢٠ فولت.

أرخی جسده وهو يستقبل سريان النبضات الكهربائية الدقيقة المتدفقة لأجزاء جسده؛ فشعر بدغدغة خفيفة وسرى شعور بالراحة، وسرت ذبذبة كتدفق الدماء بخلايا الجسم وتنشيط الجهاز العصبي وكأنها جرعات من الكافيين الآمنة المنبهة لخلايا الدماغ .

بعد انتهاء الجلسة قال فيكتور لكعبول الذي جلس يراقب بذعر عن بعد. الآن يا صديقي أشعر بطاقة أضيفت لي وصفاء بالدماغ فموجات ألفا وبيتا تضررت لما يكفى الأعوام الماضية من الضوضاء ومشاغل الدراسة والشحنة الكهربائية أعطت لي طاقة إيجابية.

أخذ فيكتور خطواته ليغادر الغرفة يرافقه كعبول الذي بدا ككرة من الشعر تتحرك جوار فيكتور.

أدار فيكتور مقبض باب الغرفة الوسطى وهو يسأل كعبول: يا ترى ماذا يوجد هنا؟

خلع فيكتور حذاءه.. لمس بقدميه الأرض.. شعر براحة بالمشي فوق الجلد المبطن بالقطن والمطاط باللون الأبيض وجدرانها البيضاء المريحة للنظر.

الغرفة الثانية بدت أكبر من الأولى.. جال فيكتور ببصره فالغرفة التي تكاد تخلو من كل شيء إلا دمية كبيرة هامة بإحدى الزوايا ناظرة للأرض.

عدل العدسة على عينه لطلب معلومات عن الغرفة.. أضاءت اللوحة الإلكترونية بعبرة: لا تتوفر أي معلومات.

نظر بين زوايا الغرفة ليلمح اسمًا تجاريًا، بعبرة مضيئة تلمع بخفوت: هذا الاسم مألوف؛ لقد شاهدته من قبل بإعلانات، وبعض وسائل

الإعلام، إنها شركة البروفيسور جاك الخاصة بالأدوية والاختراعات. هم بالخروج من الغرفة يتبعه كعبول، لكن الباب أغلق بسرعة قبل أن يصل

له.

تقدم كعبول بسرعة ووقف حاجزا بين فيكتور وبين الدمية رافعا قوائمه الأمامية؛ فظهرت أظافره بوضوح وكأنه يتخذ وضعا هجوميًا.

سرت عدة أصوات بالغرفة.. ركز فيكتور على الصوت وشعر أنها أصوات قديمة مرت عليه من قبل وكأنه يعرفها.

استمر بالاستماع ثم تغيرت نبرة الصوت، وهناك صوت آخر أجش وثالث يشبه الصراخ ورابع يهتف بقوة، ولكنها نفس العبارات بروح تشجيعية تحفيزية

تردد بإصرار: تحدى نفسك ولا ترضخ للكسل تغلب على المصاعب لتعيش كريماً.

ضوء أحمر سرى على جسد فيكتور من أعلى الرأس إلى أخمص القدم لعدة ثوانٍ.

أسند فيكتور يديه لحائط الغرفة لينزلق درج من الحائط. فجأة، تأمل فيكتور محتويات الدرج فوجد واقى الوجه وقفازات الملاكمة من النوع الحديث. شعر فيكتور بجلبة ما أدار عينيه بالغرفة حيث الدمية تتحرك بهدوء لتنهض واقفة أمام فيكتور، يتأمل طولها الذي يكاد يوازي الإنسان العادي أو أطول منه، إنها إنسان آلي مبطن بزي ملاكم.

الدمية تنظر له نظرة ثابتة وكأنها تغوص داخله تجول بأريحية داخل الجهاز العصبي تعبت بجنون داخل زوايا مغلقة مطوية كرها أو طوعاً تستفزها أمرة كل ما هو بغض بالخروج والإعلان عن نفسه بوضوح والظهور وبلحظات تحول جسد الدمية كعرض سينمائي مرئي مستمر يكشف كل الصور السيئة في حياة فيكتور على جسدها مما أثار ذلك استياء فيكتور.

طفل صغير يتلعثم بالكلام.. يضج الفصل الدراسي بالضحك والقهقهات وبعض الصبية يعترضون خطوته يتلعثمون مرددين نفس العبارات.. يسير وحيداً فهو المنبوذ بتلعثمه.

يتذكر مساء يوم هادئ صدحت موسيقا به واسم فيكتور يتردد بلائحة الشرف للتكريم يصعد منصة فيتعثّر بضع خطوات قبل أن ينال وسام التميز، لأبحاث مكدة معلقة تنتظر سنوات وسنوات بلا فائدة.

أرقام، وأرقام سالب وموجب حروف مبعثرة معادلات دائها غير مكتملة
نتائج كيائية خافقة لا شيء صواب ترى أين الخطأ؟

يحاول جاهدا.. إنهاء المعادلات وتصويبها.. يعود فيمسك بالأوراق لكنها
بيضاء كل شيء اختفى.. يمسك بالقلم يخط من جديد، لكنه لا يتذكر الأرقام.
حتى الحروف فقدها، ويضع يديه على صدغيه يحاول جاهدا بلا فائدة؛
فالعالم انطمس في داخله وفقده.

كهوف ظلام قائمة يسير بها فيتعثر بين دروب وعرة ولا شعاع نور ينير العتم
في العالم مستقبلا عاد لبدائيته وهمجيته، حتى النطق والكلمات فقدها. يسير
وحيدا لا رفيق يلتمس البيت والديه فلا يجد إلا خراب نفس وسكن بين ظلال
الوحدة لوقت طويل.

كل هذه الطاقة السلبية من الأحداث والذكريات المتراكمة تدفقت وتجمعت
في تلك الدمية.

يراها ويشعر بها.. إنها في تلك الدمية وهذه هي فرصته الآن لمواجهة أبغض
ما بداخله بشكل نفسي وفيزيائي.

نظر للدمية وهي تعكس ملامحه فما أمامه الآن هو فيكتور آخر.
فيكتور الجيد يواجه فيكتور السيئ.. نظر فيكتور لكف الدمية وقد غطى
بقفازات ملاكمة وبدأت خطواتها نحو فيكتور.

مدت قبضتها بجوار وجهها واتخذت قدماها استعداد القدم اليسري تسبق
الأخرى ببضعة إنشات.

اتجهت الدمية نحوه بصورته بوضع هجومي ودفاع وهي تحته على القتال..
ضحك فيكتور وهو يشعر بالحاس: هذا شيء لا نراه كل يوم.

التقط القفاز ليرتديه، ووجد سهولة كثيرة بذلك وكأنه صنع خصيصا له وكذلك الواقي للوجه.

تلقى فيكتور ضربة مفاجئة فأسقطته أرضا دون أذى مما دفع كعبول ليقفز نحو ويطلق مواء بجوار أذن فيكتور.

وكانه يحثه على النهوض فصاح فيكتور وهو يقوم: بدأت المباراة الآن لا رجعة بعد.

نظر للدمية التي تطابق ملامح وجهه نهض واقفا ثم تابع بتحدٍ.
مد فيكتور قبضته لوجه الدمية التي حاولت أن تعيد له اللكمة؛ فانحني بخفة لأسفل؛ تفاديا لها مكيلا لها ببضع اللكمات متلاحقة فيما ارتفع طنين الأصوات بقوة من جديد يهتف بقوة له تشجيعا: هذه هي فرصتك للقضاء على مخاوفك.

تحرك خطوتين لليمين فتحركت الدمية معه وكالت له بلكمة وأخرى.
ليتذكر كل ما هو مؤلم ومخزٍ ومتعب.. تعود الصور فيقوم بلكم الدمية بإصرار مرة واثنين وثلاث.

وكانه يقاثلها ليفنيها أطنان الذكريات المكدسة بغبار أسود تبزغ وتختفي تترنح الدمية بعجز تحاول من جديد أن تثبت وجودها فيلكمها بعنف تهاوت بيأس فتلاشت كل الصور دفعة واحدة.

من داخله اندثرت كل متاعبه انتصر على ظنونه.. هواجسه.
أطلق كعبول مواء فرح وهز ذيله إعجابا بصديقه.. اتخذ عدة دورات حول فيكتور، وكأنه يهنئه بفوزه.

نزع فيكتور القناع من وجهه وأعاد القفازات ثم نظر للدمية المطروحة أرضاً
بظفر اتخذ طريقة للخروج من الغرفة وهو يقول:

- غرفة فريدة من نوعها.. تحدٍ للذات واستبدال بالانتصارات الهزائم.
أدار مقبض باب الغرفة الثالث بهدوء ليتقدمه كعبول بالدخول مشاكساً له
وكأنه يحاول استكشاف الأمر.

خطأ فيكتور خلف كعبول في الغرفة المظلمة القائمة، لامست قدم فيكتور
الأرض الرمادية وجدرانها.. بدا ملمسها كالزجاج أو الكريستال، أغلق باب
الغرفة؛ ليسود صمت وسكون شديد بالمكان، حتى خيل لفكتور أنه يستمع
لخفقات قلبه وقلب كعبول معاً.

على الجدار هناك شاشة مثبتة سوداء كتب أعلاها الموجات المزدوجة.
بينما تراصت على الشاشة أرقام مختلفة وبعض الأزرار المتوسطة الحجم
تحمل مستويات مرتفعة ومنخفضة تتدلى من اللوحة سماعة زجاجية ذات نطاقين
تشبه سماعة الاستريو، وبزاوية الغرفة أسطوانة زجاجية مستطيلة بحجم شخص
واحد فقط.

جلس فيكتور على المقعد الزجاجي أمام اللوحة واضعاً السماعات فوق أذنه
تحركت الأزرار تلقائياً تضبط الموجات وكأنها مبرمجة على ذلك.
جلس كعبول بزاوية الغرفة فاردًا قوائمه الأمامية والخلفية، يراقب فيكتور
بهدوء.

شعر فيكتور بحالة من الاسترخاء والتأمل وهو يقرأ على الشاشة المضئية
النسبة والطول الموجي؛ فالأذن اليمنى تستقبل موجات 325 هرتز.

بينما الأذن اليسرى تستقبل موجات 315 هرتز وظهر بوضوح على الشاشة أن عقل فيكتور يصدر موجات 10 هرتز لمعالجة الموجتين وتألفت الشاشة بعبارة "أعلى معدل لصفاء العقل".

شعر بذاته يطير بالهواء؛ فالعقل صار هادئا صافيا وكأنه بجلسات جاكوزي للعقل صار خفيفا بعد ثقل تلوث سمعي.

تلاشى رنين أصوات أبواق وسيارات وصراخ وصخب موسيقي. حين عادت الأزرار لمستواها الأول أيقن فيكتور أن الجلسة الأولى قد انتهت اتجه بهدوء أمام الأسطوانة الزجاجية تأملها عدل وضع العدسة.

طلب معلومات عن الأسطوانة فتألفت الشاشة الإلكترونية بعبارة أسطوانة زجاجية متصلة بأجهزة تبعث موجات وترددات لا تسمعها الأذن، ولكنها تنشط العقل داخليا وخارجيا.

انفرج جزء من الأسطوانة بما يوازي طول فيكتور وتفاعلت الأسطوانة بضوء شفاف لثوان تعطي إشارة البدء ببث الموجات باتجاه فيكتور وهو داخلها فأغلق الباب مباشرة.

قفز كعبول ليقف مباشرة أمام الأسطوانة.. ساد صمت داخل الأسطوانة لم تلتقط أذن فيكتور أدنى تردد الموجات.

بعد فترة قليلة فتح الباب تلقائيا.. شعر فيكتور بعد خروجه بتيار هواء بارد يتسلل لخلايا العقل.

بحالة من الهدوء والراحة شاملة وقدرة على استيعاب أكثر الأمور تعقيدا وتخزين كم هائل من المعلومات.

شعر فيكتور بنشاط شامل يمتد للجسد وكأنه برأ من كل الآلام أو إحساس من استيقظ بعد دورة نوم كاملة؛ فأيقظت الحواس والإدراك دفعة واحدة واكتسبت قدرة أكبر على التفكير العميق.

سار قليلا ليجد غرفة أخرى وهي الغرفة الزجاجية. أغمض فيكتور عينيه مستنشقا عميقا هواء البحر النقي.. واستدار مناديا كعبول للتوجه نحو الغرفة الرابعة.

فتح له الباب فدخل الغرفة يتبعه كعبول وانغلق الباب خلفها. صدر صوت آلي بعدما ظهر سوار عريض من الجلد: -البس السوار حول معصمك.

تناول السوار من رف صغير بارز عن جدار الغرفة المكونة كلها مما يشبه الزجاج المعتم. وتفحص أرجاء الغرفة؛ فلم يظهر أي شيء. ظهرت البيانات على العدسة إثر تفحصه للسوار:

- هذه الغرفة والسوار يعملان بنظام يشبه البيوفيدباك ولكنه أكثر تطورا؛ فالبيوفيدباك أو التغذية الراجعة النفسية الفسيولوجية تستند على مبدأ استعمال العقل لتحسين الصحة عموما.

هي علاج موجه من المريض تقوم بتعليم الفرد التحكم بالتوتر والشد العضلي، والآلام ودرجة حرارة الجسم، ومعدل نبضات القلب، والموجات الدماغية، وغيرها من الوظائف والعمليات الجسدية اللا إرادية، وذلك عن طريق الاسترخاء، والتخيل أو التصور وغيرها من تقنيات السيطرة المعرفية.

المجسات الصغيرة بالسوار هي ما تتصل بالجهاز العصبي، وهو لقياس موجات الدماغ وكانت تستخدم في العلاج النفسي ولمن يعاني من التوتر والضغط النفسية عموماً.

لبس فيكتور السوار حول معصمه.

فبدأ الزجاج المعتم يتغير لونه إلى أن أصبح شفافاً، يظهر خلفه ما يشبه مكتبة الكونجرس الأمريكي، والتي تعتبر أكبر مكتبة حجماً بالعالم.. بمبناها الضخم الفخم بالطراز المعماري الروماني والذي ساد في عصر النهضة.. بخشبها الغامق المصنوعة منه الرفوف وطاولات القراءة والإضاءة الهادئة.

وظهر في جانب الغرفة كرسي استرخاء، وعلى بعد قليل منه منامة للحيوانات الأليفة.

صدر الصوت الآلي:

-ضع القط في المنامة واسترخ أنت على المقعد.

حمل كعبول ووضعه على المنامة وكأنه فهم المطلوب تمدد كعبول على بطنه كأنه سينام وإن كانت عينيه متيقظة منتبهة.

واستلقي هو على مقعد الاسترخاء الذي تمدد وانفتح ليعطيه استلقاء مريح. شاهد على شاشة عدسته أن المجسات وأجهزة الاستشعار المزود بها السوار والمقعد لا تسبب أي ألم، بل تسجل فقط الإشارات من الجسم.

نظر فيكتور للأعلى فظهر عبر زجاج الغرفة قبة مكتبة الكونجرس والتي يعرف جيداً أن مكتوب عليها: (المكتبة الأكبر والأكثر تكلفة وأماناً في العالم).

- استرخ.

سمع صوته يتحدث: تري ماذا ستقدم لي هذه الغرفة؟

انزعج قليلا إثر سماع صوته؛ فهو لم يتكلم في الحقيقة بل فكر بذلك فقط!

تبدلت المناظر حوله حسب تنوع وتبدل أفكاره.

ظهر أمامه مشاهد من رحلتهم.. أصدقاءه الثلاثة عند الانفصال.. معمل الجامعة.. عينات من الخلايا التي يجري عليها تجاربه.. أحد مخيمات اللاجئين حيث شارك في تقديم المساعدات للمرضى والأطفال في إحدى دول إفريقيا البائسة.. استرخى فيكتور أكثر واخذ يناقش أفكاره ويرد عليها.

وجد نفسه أمام بيت الشجرة في مزرعة عائلته يتسلق السلم الواصل إليه. هو لم ير نفسه.. هو يرى بعين الناظر شم رائحة الخشب وأحست يده بملمس السلم المجدول من الألياف.. أحس بتساقط قطرات العرق تتكون على جسده إثر المجهود الذي يبذله في اللهو والركض والتسلق، وأنفاسه المنبهرة، لامست الأوراق والأفرع الصغيرة وجهه.. دفع الباب ورأى ألعابه.. وموسوعاته.. وعينات من الأحجار والأوراق.. وبعض الزواحف الصغيرة المجففة.

لها قليلا ثم أعاد كل ألعابه وكتبه إلى الرفوف.. نزل السلم.. ابتعد عن الشجرة حيث توغل قليلا في المرعى.. عند شجرة وارفة.. حيث البيت الزجاجي الذي صنعه للنمل ليراقب حياته بالساعات.. الممرات واضحة على الزجاج والحركة مستمرة في جو الصيف القائظ؛ حيث يجري العمل في مجتمع النمل على قدم وساق.. لتخزين مؤونة الشتاء.

سمع من بعيد ثغاء الأغنام والخرفان ينبح عليهم كلب الرعي ليجمع الشارد منها.. انتبه لصوت أمه تنادي على أبيه من بعيد.. اشتتم رائحة كعك التفاح اللذيذ تتصاعد من مطبخ البيت.

أسرع جاريا فوجد طبق الكعك على حافة نافذة المطبخ.. حيث تتركه أمه ليبرد.. تسلل دون صوت، رائحتها لذيذة وتشهي مع طبقة كراميل كثيفة فوقها، مد يده كعادته واقتطع قطعة ساخنة ألهبت يده؛ فأخذ ينقلها من يد ليد نافخا عليها نفخات سريعة. أسرع يبتعد عن النافذة تتبعه ضحكات أمه قائلة:

-شاهدتك يا فيكتور.. ألن تكف عن هذه العادة؟

جلس فوق الأرجوحة الخشبية المعلقة على غصن شجرة السيكويا.. أمسكها بيد وأكمل التهام الكعكة باليد الأخرى.. جعل يقضم منها قطعًا صغيرة متلذذا بالطعم خشية أن تنتهي من يده.

إنها محشوة أيضا بالجوز الذي يعشقه.. مؤرجحا نفسه للأمام وللخلف فيبعثر الهواء شعره الناعم مبعدا إياه عن جبينه.. ينتهي من التهام الكعكة. فيمسك حبل الأرجوحة الآخر.. دافعا بجسده بقوة لتتحرك أسرع.

ويميل برأسه وجسمه للخلف متأملا السماء تلمع بلونها الأزرق الرائق بين أغصان وأوراق الشجرة.. مرت نصف ساعة من الاسترخاء واللعب.. أحس بعدها فيكتور بأنه في حالة من السلام النفسي ومصالحة الذات.

تصاعد صوت صوفيا في عقله وظهرت على عدسة عينه صور توضيحية بعدما انتهت مشاهداته. مطالبا إياها بالتفسير أن كانت لديها معلومة:

- الغرفة والسوار والمقعد يعتبروا بديلا للطبيب النفسي. هناك نوعان منهما؛ نوع طبي نفسي بحث، ونوع ترفيهي معزز للرفاهية الجسدية والعقلية؛ فبعض الأشخاص ينجلون من البوح بما يشغل بالهم أو عن مشاكلهم النفسية حتى وإن كان للطبيب النفسي.

لاحظ الباحثين بقيادة الدكتور جوناثان جراتش في معهد التكنولوجيا الإبداعية بلوس أنجلوس منذ عقود من الزمان رصد تفاعلات الإنسان وردود فعله أثناء التعامل مع أجهزة الكمبيوتر، ووجدوا أن الإنسان يكون أكثر تقبلاً واستعداداً للتحدث مع الكمبيوتر إذا كان مجسداً على هيئة إنسانية.. وجاء دور تكنولوجيا الذكاء الصناعي لتطبيق ذلك فابتكرت بديلاً لحل تلك الأزمة بـ "الطبية ايلي".

وهي مجسد إلكتروني على هيئة إنسان يتحدث إليك كأنه طبيب ويسأل ويتجاوب مع الشخص.. ثم يحلل ويفند الإجابات والانطباعات في النهاية. إذا ابتسم ستعرف ايلي ما وراء الابتسامة.. إذا وجد تشنجاً عصبياً أو توترًا ما فإنها تلتقط ذلك على الفور وتحلل كل كلمة تقال واللهجة التي قيلت بها وتحركات الجسد والعين.

فمع توفير الإيحاءات المناسبة وتعابير الوجه. عملت "ايلي" وما تلاها من الأطباء النفسيين البداء على تحليل وجوه الأشخاص عبر ماسح ضوئي لمعرفة شعورهم.. وتحليلها وإبداء النصيح.

والآن أرى أن هنا تقدماً أكبر.. هذه الغرفة الزوجية.. لم يعلن عنها حتى الآن لتكنولوجيا العلاج النفسي ورغم أنها ترفيهية بالمقام الأول كما رأيت، ولكن من المؤكد أن هناك أشباهها يتناولون الجانب الطبي النفسي.

وهي تساعد على المواجهة وحل المشكلات.. وتوفير الراحة النفسية.. وتعتمد على مبدأ استعمال العقل لتحسين الصحة وهذا يتطلب نوعاً من الاستيقاظ الذهني بحيث تصبح متنبهاً وواعياً بكل شيء يحصل في كونك الداخلي والخارجي.

حيث يكشف لك عقلك الباطن الصوت الصامت الذي يمكنه التحدث إليك ليساعدك في محتك ومشاكلك.. كما يمكنك من العثور على الأفكار التائهة والتي لا تعرفها، واستخدام الإرشاد الداخلي لاتخاذ القرارات المصيرية.

أراها إحاطتك بجو وديكور ترتاح له نفسيا حسب ميولك وعبر مناقشتك لنفسك ذهنيا تتعرف إليك جيدا عبر المجسات فتعرض أفكارك بشكل مرئي.

وعرض أشياء حدثت لك منذ ساعات أو منذ سنوات وهي في عقلك الباطن.

أو شيء يشغل بالك.. بالصوت والصورة.. ولقد عرض أمامك صور آخرين وأصواتهم قد خزنها عقلك الباطن وسمعت صوت تفكيرك الخاص وأنت تكلم نفسك وتناقشها. فأحسست كما أرى بوضوح عليك بالسلام النفسي وتقبل الذات.

عقب فيكتور على الصوت الآلي:

- هذه خطوة عظيمة للبشرية؛ فبدلا من زيارات الطبيب النفسي التي تستغرق ساعات في جلسات مختلفة عدة بالاسترخاء هنا تتضح كل الأمور وتحل أي مشكلة في أقل من النصف ساعة أو تعيش ذكرياتك بشكل مجسم.. فعلا أنا أحس بسلام نفسي كبير ولدي ثقة أشد بنفسي ومواهي.

ثم قام ناظرا الكعبول في القفص الذي انفتح بابه إثر وقوف فيكتور:

- أنت أيضا تم لك تحليل نفسي يا كعبول؟ هل تناقشت أنت أيضا مع نفسك ولهوت وشاهدت ذكرياتك الماضية؟

سأعرف منك ذلك لاحقا.. هيا بنا لنرى ما في الغرفة القادمة؟

فتح لهما الباب ليواجهها من جديد رمال الشاطئ الفسيحة والتي يتكسر الموج من بعيد عليها. تلفحهم موجات من النسيم الناعم المنعش.

توجهها مباشرة للغرفة الأخيرة.

كانت كباقي الغرف من الخارج وإن بدت أكبر مرتين من حجم الغرف الأخرى.

ما أن دلنا للغرفة حتى ميزت صوفيا (العقل الخاص لعدسة فيكتور) مكونات وتركيب الغرفة قائمة:
- هذه تسمى الغرفة المعدنية.

كانت الغرفة تمثل مبنى قديماً أثرياً.. بجدران الحجرية كأنه غرفة قبو في أحد القصور القديمة. حتى أن فيكتور اشتتم رائحة الرطوبة.. خالية تماماً من أي أثاث.

الإضاءة فيها قوية وإن كان مصدرها غير مرئي، توجد فتحات صغيرة عديدة في الجدران والسقف.. الأرضية مرصوفة بالأحجار المتلاصقة المصمتة. أكملت صوفيا:

-أرى جهازاً يجب عليك أن تلبسه لتستطيع التعامل مع هذه الغرفة.
شاهد بالجانب المعهود رقاً عليه جهاز.. أرشدته صوفيا أنه يلبس على الثلاثة إصبع الوسطى من كف يده الدائم استعمالها.

بدأت تنزل من بعض الفتحات في الجدران والسقف غبار بدأ يتكون في كومة واحدة أمام فيكتور.

طلب ذهنياً معرفة كينونة هذا الغبار؛ فسارعت صوفيا بعرض النتائج التي توصلت لها:

- هذا معدن غير أرضي جلبه مسبار فضائي من أحد كواكب المجرات المحلية (حيث يقدر عدد المجرات في الكون المنظور بـ 300 مليار مجرة حتى

الآن. وهناك ما يقارب 50 مجرة في المجموعة المحلية أي القريبة من مجرتنا درب التبانة).

هذا المعدن مجلوب من كواكب بمجرة ما بعد مجرة المرأة المسلسلة "أندروميديا".

وبالتحديد من "مجرة بودي" والتي تبعد 12 مليون سنة ضوئية عنا وتقع في كوكبة الدب الأكبر وهي موطن لعدد كبير من النجوم. سيتم تزويدك بالمعلومات تباعا.

تصاعد الصوت الآلي من الغرفة:

-تم التعرف وتسجيل المضيف الحيوي.. هذه الأداة بها نوع من المستقبلات تترجم طاقتك الذهنية.. كل ما عليك هو توجيه تركيزك للأداة وهي تتكفل بالباقي.

وجه فيكتور الأداة نحو كومة الغبار فوجدها تتناثر كما أراد بذهنه.. ثم عاد وتجمع مرة أخرى في كومة صغيرة.

ظل يغير من شكل الغبار أمامه وهو يستقبل مزيدًا من الملاحظات في مناقشته العقلية مع العدسة.

-هذا يعتمد على علم الباراسيكولوجي.. وهو علم النفس الموازي أو علم الخوارق.

أول من استخدم هذا المصطلح هو "ماكس ديسوار" ليشير من خلاله إلى الدراسة العلمية للإدراك فوق الحسي والتحرك النفسي "الروحي" والظواهر والقدرات الأخرى ذات الصلة، وتعددت التسميات حتى أصبح يطلق عليه في

كثير من الأحيان "السايب"، وأول من أسس مختبراً للخوارق أو هوج. ب. راين بجامعة ديوك.

لوحظ «قديماً وحديثاً» أن ثمة أعداداً متزايدة من البشر من مختلف الأعمار تبرز لديهم قدرات تمكنهم من القيام بأعمال يعجز عنها الآخرون.

وتتجاوز المدى الحسي المتعارف، وتحدث من غير وسائط حسية منها القدرة على التواصل مع الآخرين تخاطرياً، ورؤية أحداث خارج المدى الحسي العادي، ومعرفة أمور تحدث في المستقبل، والتأثير في الناس والأشياء الأخرى والاستشفاء وتحريك الأشياء وإلحاق الأذى بالآخرين وتعطيل وتدمير الأشياء الأخرى.

وفي خضم الثورة العلمية كان لا بد للقدرة فوق الحسية أن تطالها يد العلم وتخرجها من الشرنقة، ذلك أن التصدي لها وإخضاعها للدراسة والملاحظة العلمية والتجريب والقياس سيساعد بالضرورة في استخدامها وفهم الطبيعة الإنسانية بشكل أكبر.

الأداة تمكنك من التحريك العقلي أي تؤثر بقوة عقلك وتحريك الأشياء عن بعد ودون أن يكون بينك وبين الشيء أي اتصال مادي.. أي أن القوة المحركة هي عقلك فقط، وما على الأداة إلا تركيز طاقاتك المحركة وتنفيذ ما يريده عقلك.

أرى أنها أيضاً تطور هائل في هذا العلم.. فالوصول لهذه القدرات تحتاج إما لتدريب مكثف طويل وإما لقدرات تكون لدى الشخص وغير متبته لها.

فيكتور: سنلهو يا كعبول استعد.

اقترب كعبول قليلاً من الغبار المكوم على الأرض بعد أن طمأنه كلام فيكتور؛ فلقد كان ملتصق بساق فيكتور خائفاً.

سرعان ما أنذهل عندما وجد أن الغبار قد تشكل على هيئة قط بلون معدني يكبره حجما.. انتفش على أثرها كعبول وقوس ظهره فأصبح مثل كرة شعر سوداء.. وتعالى منه صوت محذرا القط الذي أمامه.
ضحك فيكتور قائلا:

-أراك شجاعا وتدعوا القط للعراك يا كعبول.
تلاشي القط متحولا لسمكة تنط وتقفز في الهواء طالبة التنفس تحت الماء.
قفز إليها كعبول ليمسكها بيده؛ فحوها فيكتور لغبار مرة أخرى.
تصاعد الصوت في ذهن فيكتور:
-هذا الغبار يحتوي على خصائص مذهشة.. إنه عند رصه أقوى من الفولاذ.
قال فيكتور هامسا: أريد المزيد من الغبار.

سرعان ما نزل الغبار من الثقوب حتى همس فيكتور: كفى.
ركز تفكيره في تحويل بعض الغبار لحائط كبير.. والجزء الآخر لمطرقة هائلة من نفس الغبار.. وحرك المطرقة بعقله لتضرب الجدار فما اهتز أو تصدع.. لمس الجدار بيده اليسرى محاولاً لكمه بخفة، ولكن ألمته يده وإن كانت لكمته ضعيفة بعض الشيء.

سرعان ما وجه الآلة نحو الحائط الغباري مصدراً أمرا ذهنيا بتحوها لغبار مرة أخرى فتحولت في أقل من الثانية لغبار.. ثم تحولت لنمر يثب نحوهما وما أن اقترب منهما حوله لفراشة صغيرة رقيقة مبعدا إياها عنه.
وجه فيكتور الآلة نحو جدار الغرفة بعدما أخبرته العدسة أنه مصنوع من نفس الغبار.

فتحولت أجواء الغرفة إلى ساحة تزلج على الجليد وتحول الجدار لجبل ثلجي.. وبمزيد من الغبار أصبح يمتلك زلاجة تجرها الكلاب. وتحول مع كعبول في أرجاء المكان الذي تمدد واتسع بطريقة كبيرة وغريبة.
بعدها شبعوا من اللعب.. أعاد شكل الغرفة كما كان.. مكونا من الغبار أريكة مريحة جلس عليها مستريحا:

- ما رأيك يا كعبول.. هل ترغب بمزيد من اللهو، أم ننتقل في طريقنا؟ ماء كعبول رافضا أن يصعد على الأريكة بجواره.
- اكتفيت؟ حسنا هيا بنا.

خرجوا من الغرفة الأخيرة تاركين منطقة البحر وراءهم لما خلف الغرف الترفيهية.

على بعد مائة متر تقريبا ظهرت حديقة فاكهة شاسعة لا يظهر آخرها مسورة بسور خشبي بارتفاع نصف قامة الإنسان تقريبا، مع بوابات صغيرة بين كل منها مائة متر تقريبا.. مع اقترابهم تباينت أمامهم أشجار الفاكهة المثمرة.
تعجب فيكتور مما رآه؛ فشجر فاكهة الصيف يجاور أشجار فاكهة الشتاء وكل منهم مثمرة وثمارها ناضجة أن لامستها يد ستسقط فيها.

ما زالت المحمية تفاجئه رغم علمه بتقدمها الهائل.. عليه هنا أن يتقبل كل ما هو غريب وغير مألوف خارجها.

بين الأشجار فسحة من النجيلة الخضراء حيث تتراص موائد أسفل سطح كل منها على شكل برميل معدني لامع مغلق من كل الجوانب وحول كل مائدة بعض المقاعد الصغيرة وإن كانت وثيرة ومريحة.

وبمتمصف المكان، كشك مستدير مصنوع من الخشب الطبيعي والمعادن بحجم غرفة صغيرة.

توجه إليه فيكتور موقنا أنه يحتوي على بعض الطعام؛ فمئذ فترة لم يأكل هو أو كعبول.

أخبرته العدسة بعد فحص الكشك:

- ضع كفك على الماسح الضوئي بالجانب المعدني بالكوخ.

أضاء مكان أسفل الماسح الضوئي وظهرت قائمة طعام بها الأطعمة المناسبة له.

- قام الجهاز بالفحص الجيني.. ليصنف الطعام بين مناسب لحالتك الصحية وما هو غير مناسب.. "اضغط على صورة الطعام الذي ترغبه في القائمة".. قام فيكتور بالاختيار. وسرعان ما اختفت القائمة مرة أخرى.

انحنى وحمل كعبول وألصق كف يده بالماسح الضوئي.. فظهرت أمامهم قائمة مشابهة تحتوي الطعام المناسب لكعبول متنوعة بين طعام طازج وجاف.

- ما رأيك بوجبة طازجة من اللحم يا كعبول؟ وماء أيضا؟

بعد بضع دقائق ظهر له ما طلبه من طعام.

عادت المعلومات تتوالى بذهنه بفعل العدسة:

- طعام طبيعي من دون أي مواد كيميائية أو محفزات صناعية في تغذية النباتات أو الماشية.

ملاحظة خاصة: أعتقد أن هذه المنتجات زرعت وتربت هنا بالمحمية.

الجودة عالية جدا.

بعد البحث: لا توجد تلك المقاييس في أي مكان بالعالم.. أنها تفوق مقاييس

الأمان ل (FDA).

ظهر طعام كعبول أيضا فوضعه على الأرض.
وسار حاملا معه الصينيتين وتوجها لأقرب طاولة.
ابتسم فيكتور قائلا:

- تقنية عظيمة.. سيقدرها ويحبها جوزيف.. طعام صحي غير ملوث.
ومناسب للتركيبة الجينية لكل فرد.
انشغل كل منهم في طعامه لفترة.. وسط حفيف أوراق الشجر وصوت
طيور مزققة بين الأشجار.

تمتع فيكتور بطعامه.. ورجع بظهره على المقعد متأملا الأشجار والسماء.
كان المكان ساحرا بحق ويدعوا للراحة.. حتى أن كعبول بعدما أنهى طعامه،
صعد للمقعد وتمدد عليه وراح في غفوة فورية.

- ترى أين وصل الأصدقاء الآن؟ وماذا يفعلون؟
هبط سطح المائدة ببطء مبتلعا ما تبقى من طعام فيكتور.. وظهر سطح
جديد للمائدة.. فسارع فيكتور برفع طعام كعبول من الأرض ووضعه على المائدة
متخلصا منه؛ فتكرر ما حدث مرة أخرى.

انساب صوت صوفيا لذهنه:
- يتم فرز بقايا الطعام والمحتويات آليا.. فتوضع كل مادة بمستودع خاص.
ويتم إعادة تدوير كل خامه منها.
- هيا بنا.

فتح كعبول عين واحدة بخمول يرجوه أن ينتظر.
ولكن فيكتور مد يده وحمله قائلا:
- هيا يا كسول لتتابع الطريق.

أمامهم امتد طريق وحيد مرصوف بين كتل الأشجار.. سار فيه فيكتور..
 بينما صوفيا تزوده كل حين بنوع الأشجار والنباتات التي تمر يمينهم ويسارهم.
 سرعان ما انتهى الممر، والأشجار؛ ليجدا ساحة فسيحة من العشب
 الأخضر عليها مبنى كبير نوعا ما، يتكون من طابق واحد ومغطى من الخارج
 بالقرميد الملون تحوطه مساكب للزهور، لكن لا توجد أبواب أو نوافذ ظاهرة
 للمكان.

أنزل كعبول قائلا:

- هيا ندور حول المكان. لا بد من مدخل.

اقتربا من جدار المكان.. وبعد عدة خطوات انفتح باب لم يكن موجودا منذ
 ثوان.

دخلوا المكان وسرعان ما انغلق الباب مرة أخرى من دون أن يظهر أي أثر
 لمكانه الآن.

المكان أكثر اتساعا مما أوحى به من الخارج. باللون الأصفر المتفاوت
 الدرجات وبالتبادل مع اللون الأزرق كان الإيجاء رائعا بالمكان، محفزا على تجميع
 الذهن ونشاطه. تنساب موسيقا هادئة خافتة وإن كانت منعشة ومنشطة.

مئات من الحواسيب البيولوجية وشاشات عرض ضخمة طيفية محلقة فوق
 كل حاسوب.. كل الشاشات تعمل، رغم أن لا أحد في المكان.

مناضد مليئة بأوراق وعينات خلوية منظمة رغم كثرتها.. اتخذ مقعدا متأملا
 ملفًا وضع وحيدا بجوار كومة من الأوراق.. مكتوب على الغلاف (السجل
 العام).

فتحه فوجد التالي:

اسم المريض: ديفيد روجر.

الحالة: ايدز متقدم.

فقدان وزن سريع حمى متكررة وتعرق ليلي غزير، إرهاق شديد وتورم بالغدد الليمفاوية، اسهال مستمر، تقرحات بالفم والأعضاء التناسلية، التهاب رئوي، فقدان ذاكرة واكتئاب واضطرابات عصبية، تدهور شديد في المناعة.

قلب باقي أوراق الملف ووجدها خالية؛ لا توجد أي معلومات أخرى.

ترك الملف من يده.. وقام من مقعده وواجه مراقبا إحدى الشاشات:

ظهر عليها نتائج اختبارات معملية مكتوبة:

اسم المرض:

خمول وضمور العضلات والخلايا.

نسبة الانتشار عالميا:

67٪ من سكان العالم خاصة في المدن الحضرية المرفهة والمناطق الحضرية

الجديدة.

مسببات المرض: التلوث بالكيماويات والمبيدات والمواد الصناعية..

الأعراض الجانبية لاستخدام بعض العقاقير واللقاحات.

الأعراض العامة للمرض:

سمنة غير مبررة.. ضعف في عضلة القلب.. وضعف عام في العضلات..

هشاشة وتكسر للعظام.. نوم متقطع واكتئاب.. صعوبة في الحركة وخمول عام..

وانهيار الكبد وتآكله بفعل تراكم السموم به.

نسبة نجاح العلاج الخاص بالمحمية:

99%

اسم العلاج:

(مضاد التلوث) Anti-pollution

على شاشة أخرى، ظهر فيلم تسجيلي لعينات من المرضى قبل وبعد العلاج. مع صور لتفاعلات الدواء في الخلايا أثناء العلاج وبعده.

تلاها تقرير مصور: عن تاريخ اكتشاف العلاج وتجريبه.. تعرض الشاشة صورًا بيانية لتطور العينات والتجارب.

استمع فيكتور لصوت رخيم، انسأب شارحا للتقرير:

من بين عشرات الملايين من المركبات الكيميائية والنباتات في كل أنحاء العالم.. يشعر مبتكر الدواء مثل طفل في متجر للعب.. توجد أمامه الكثير من الألعاب لكن لا يعرف من أين يبدأ.

من أين يجب أن يركز.. أي من ملايين المركبات التقليدية وغير التقليدية يجب أن يجرب كعلاج للأمراض.

أم ينتظر ويترك مئات السنين من التفاعلات بين الإنسان والنبات تعمل ملايين الاختبارات.. حتى يهتدي لعلاج ناجح.

مثلما حدث مع الاسبرين (المستخرج من شجر الصفصاف) وكذلك الكينين (المستخرج من شجر السينكونا في البيرو).

ولكن، هل ينتظر المرض وكم من مريض سنفقد في انتظارنا هذا؟

أن أكثر من نصف الأدوية المصنعة حاليًا وجدت في المواد الطبيعية التي تنتجها النباتات.

الأدوية من أصل نباتي متوافقة تماما مع أنظمتنا الجسدية والخلوية لأننا نتشارك في نفس الحيز الكيميائي (الكوكب).

أحاط بفيكتور ضوء كثيف أخضر أحس معه برعشات متتالية خفيفة.
تلاشى صوت الموسيقى.

لحظات وتلاشى الضوء، واتسعت الرؤية أمامه ليصبح المنظر ثلاثي الابعاد.
ووجد فيكتور نفسه في غابة من الأشجار العملاقة تبدو الشجرة الواحدة منها كمظلة ضخمة.. تناهز السبعة أمتار طولاً.. عظيمة الجذع.. تمتد فروعها كأصابع الكف معروفة متشابكة تحمل في أقصى قممها كتلة شجرية خضراء..
حيث لا تنمو الأوراق إلا على أطراف الأغصان العليا.

رائحة الأرض وأوراق الشجر تغزو أنف فيكتور بعد هواء المختبر المعقم.
وتحول الهواء حوله لحر جاف، بل إنه يسمع أصوات طير وهمهمات حيوانات بعيدة.. لدهشته رأى كعبول ينقض ليمسك حلزوناً صغيراً يمشي متبخرًا أمامهم؛ فسمع شخشة أوراق شجر جافة تتكسر تحت قدميه، بينما اختبأ الحلزون في صدفته وكعبول يقلبه بيده، تحرك هو أيضا ومد يده إلى جذع أقرب شجرة إليه.. وطار فوق رأسه طائر.. أخبرته العدسة عندما رفع رأسه يتأمله.

- إنه طائر الزرزور السقطري.

همس مبهورا:

- هذا ليس هولوجرام.. أنا في غابة حقيقة.

انحنى والتقط بعض الأوراق والتراب من الأرض.. هذه أرض ترابية صخرية حقا وليست أرضية المختبر اللامعة الصقيلة الذي كان فيه.

-أهو انتقال أمني؟

لم تخبره صوفيا بشيء فهذا يفوق المعلومات المتوفرة لديها.
تجول فيكتور مخترقا الأشجار.

انطلق الصوت الرخيم بعد انقطاع وكأنه كان يعطيه الفرصة ليستوعب ما
حواله والانتقال المفاجئ الذي حدث وأكمل:

ال Anti-pollution.. الدواء المعالج المكتشف بالمحمية لمرض * خول
وضمور العضلات والخلايا*. منتج من شجرة دم الأخوين.. أو دم التنين
(Cinnabari Dracaena).

وهي من جنس الدراسينا توجد بصورة نادرة في العالم، وما تبقى منها أعداد
قليلة في محمية في جزيرة سقطرى باليمن.. وجبل ظفار بعمان.
أظهرت النقوش القديمة تقديس تلك الشجرة عند الحميريين والمصريين
القدماء والآشوريين.

يناسب الشجرة الأرض الصخرية والأماكن العالية وتحمل الجفاف
لقدرتها على الاحتفاظ بالماء لسنين طويلة.
المادة الفعالة تسمى دراكو.. وهي صمغية راتنجية تستخرج من اللحاء،
وبعض المواد من حراشيف الثمار ومن الأوراق.

منتجات الشجرة كانت قديما تستخدم للجروح والحروق والتقرحات
وتقوية الجهاز الهضمي وتشققات المعدة ووقف النزيف الداخلي داخل الجسم..
وعلاج للروماتيزم.

الأسطورة التي تناقلتها الأجيال في اليمن تحكي قصة أول قطرة دم وأول
نزيف بين الأخوين قابيل وهابيل؛ حيث كانا أول من سكن أرض سقطرة
وعندما وقعت أول جريمة قتل في التاريخ وسال الدم نبتت شجرة دم الأخوين.

تتم هنا زراعة هذه الغابة من أشجار دم التنين. مع توفير جميع عناصر الحياة الطبيعية المتوفرة في منبتها الأصلي من حيوانات وطيور وحشرات وزواحف وحتى الآفات النباتية اللازمة للأصل.

حيث تتأثر النباتات كالإنسان بالبيئة المحيطة؛ فلقد لوحظ أن النباتات عندما تُعرَّض لآفة حشرية تبث إشارات كيميائية لجذب حشرات أخرى تتغذى على هذه الآفات الضارة وبعض النباتات التي تُعرَّض لهجوم ترسل إشارات تحذيرية للنباتات الأخرى كي تسلك نفسها من الخطر الوشيك.

تستغرق الشجرة في بيئتها الطبيعية سنوات عديدة حتى تصل للإنتاجية الجيدة من المادة الفعالة ولكننا وجدنا مساعدًا طبيعيًا يسرع من نمو النبات.. عمر هذه الغابة أقل من عام، وهناك غابة أخرى ماثلة ولكن تنمو بها الأشجار دون العامل المساعد للنمو.

شاهد فيكتور آلات تعمل في جذع إحدى الأشجار؛ حيث يتم التقاط بلورات المادة الصمغية، وتحميلها بعربات صغيرة تعمل من دون سائق اتخذت مسار داخل الغابة.

تابع الصوت:

- هذا وقت جني المحصول، والذي يتوجه للمعمل؛ حيث تستخلص منه -ومن أجزاء أخرى بالجذور. يضاف إليها بعد ذلك خلاصات بعض النباتات الأخرى المساعدة كأوراق الزيتون والمليسة.. لتتحول بعد سلسلة من عمليات التنقية إلى أقراص من الدواء.

أحاط بفكتور نفس الضوء الأخضر السابق.. ووجد نفسه بعد لحظات في المختبر مرة أخرى.

وتابع الصوت الرخيم:

- ليس هذا هو الدواء أو الابتكار الوحيد بالمحمية. ستكون هناك أدوية جديدة ومداخل ابتكارية للعلاج والشفاء.. سيكون هناك طعام كاف لإطعام العالم الذي يتضور جوعاً.. وسوف نتعلم كيفية الدفاع عن هذا الكوكب والحياة به بكل أشكالها.

جلس فيكتور على مقعد ليريح جسمه من تلك الانتقالات؛ فلقد أحس بانين جسمه الخفيف.

- لا تقلق.. دقائق وتعود لحالتك الطبيعية.. توجد عينة واحدة من العلاج هنا بالمختبر.. تسلط ضوء على خزانة زجاجية بركن أمام فيكتور. أخبرته العدسة: هذا زجاج أمني غير قابل للفتح إلا بكود خاص. أكمل الصوت:

باقي الدواء وغيره من ابتكاراتنا محفوظ بالبنك الإحيائي الخاص بالمحمية والذي هو تطوير لفكرة قبو سفالبارد القديمة للبذور في النرويج. تدخلت صوفيا بمعلوماتها:

- بنك سفالبارد والمقلب بـ قبو يوم القيامة للبذور في جزيرة سيبتيسيرجين النرويجية. يمثل الاحتياطي اللازم لشبكة بنوك البذور حول العالم.. في حال التهديد بنشوب حروب أو كوارث طبيعية.

بعد فترة أيقن فيكتور من انقطاع الصوت.. أن هذا هو المتاح له من معلومات حالياً.

قام واقفا بعدما أحس بأن حالته عادت طبيعية.. أتاه صوت تنبيه رسالة وصلت لهاتفه.. تصفح الرسائل فوجد رسالة قصيرة:

- (اخرج من المعمل للمبنى الرئيسي).

انفتح على الأثر باب في الجدار.. خرج منه فيكتور يتبعه كعبول.

استدار فيكتور متأملاً المبنى.. هذا المكان موه.. فهيئة الخارجية المحدودة المكان مخالفة تماماً للمختبر الهائل المتسع الذي كان به منذ ثوانٍ.

لم يكن أمامه إلا طريق واحد للتقدم به.. سار به وسط أعمدة قصيرة معدنية فضية اللون مضاءة رؤوسها باللون الأحمر.. وجد بعد فترة من المسير غرفة لها طريق صغير فرعي.

توجه إليها فوجد كأنها غرفة مصممة لا منافذ لها إلا باباً مغلقاً بالإحكام.

مكتوب على لافتة ضوئية بمستوى عيني فيكتور (للحالات الطارئة جداً).

تواردت لذهنه معلومات:

الغرفة مصنوعة من معدن غريب عن الأرض.. هو أقوى من سبيكة التيتانيوم والمعدن السائل بعشرين ضعف.

عاد للطريق مستكملاً رحلته للمبنى الرئيسي...

برزت العلامة الدائرية الحمراء يتوسطها الخط المستقيم على شاشة الهاتف الخاص بفكتور تفيد بعدم إرسال الرسائل الثلاث لأصدقائه جعلت الانزعاج يتسرب له.. حاول مرة ثانية فبرزت العلامة الرفضية.. تتم بضيق وهو يعيد الهاتف بعد أن قرأ أن التوقيت الزمني متوقف.

تأمل فيكتور الأعمدة المعدنية الصغيرة التي تراصت بامتداد الطريق وقد تزين أعلاها بقبة حمراء مضيئة قد تلالأت بوهج ناري بالظلام عدل العدسة ليتساءل عنها ولكن الشاشة الإلكترونية بإجابة سلبية جعلت الأمر مبهماً أمامه.

جال ببصره بالمكان الذي أصبح الهدوء والسكون سمة ملتصقة به؛ فلا أثر لبشري واحد بالمحمية.

ضوء منبعث من الأرض جعل فيكتور يدقق النظر به، وقد شردت الأفكار قليلا لتتجه معه، تاللات نجما أرضية.

ابتسم فيكتور وشاشة العدسة الإلكترونية تخبره أنها زهرة المجرة النادرة تبدو بتلاتها بهندستها المتداخلة كنجما سقطت من السماء على الأرض، وخلفها تراصت بعض الجذور الصغيرة.

مد يديه برفق يتحسس الجذور الصغيرة جدا غير المزهرة التي تراصت بدت كنقط صغيرة براحة يديه.

لمس بأنامله برفق ملمسها الناعم وأوراقها الضئيلة الحجم ليكتشف أنها زهرة الأوركيد الصغيرة التي لا تتعدى نصف ملليمتر، وعلى الجانب تلتها زهرة الجازانيا.

قال فيكتور بحماس: لا عجب أن اختيرت كرمز دولي لنزع الأسلحة النووية من العالم؛ فهي كما سح طبيعي ينقي الطبيعة من النفايات.

أطلق كعبول مواء وكأنه يوافق الرأي جعل فيكتور يتمتم له:

- نحن متفقان هنا كعبول أن يد التخريب مع الأسف هي بيد البشر.. رغم أن الطبيعة تنادي بالسلام.

سارا بضع خطوات ثم توقف أمام زهرة الهيدرانجيا بألوانها المختلفة.

قبل أن ينحني فيكتور حتى يلمس تربة الأرض التي تناثرت على جوانبها بعض الترسبات البيضاء ثم لمس التربة المجاورة ليلتقط منها بعض الحصى الصغير صاح باعجاب:

- أي علم هذا الذي أحدث دمج مجاورة تربة حمضية لتربة قلوية؛ فهناك زهرة الهيدرانجيا بلونها الأزرق الذي يظهر بتربة قلوية واللون الوردي تتكفل به التربة الحمضية.

تناهى لمسامعه على الجانب الآخر صوت بلبله مائية كقذف حصي بالماء. توقف أمام مستطيلات متوسطة الحجم، تعلوها سياج حديدية تدلت من زواياه مقعدين فارغين يتأرجحون بالمستطيل.

يتوسط بالمستطيل ييزغ بالماء فقاعات تظهر وتختفي بمنتصف الماء وبالمستطيل هناك محرك كهربائي.

ابتسم فيكتور وهو يبصر السمك الفضي اللون ضئيل الحجم 3:6 ستيترات .. عدل فيكتور العدسة: أحواض أسماك جاراروفا الطبية للتداوي. أسماك لا تكبر أبداً، ولا تنقل فيروسات أو عدوى تمتلك شفاهاً قاسية كمنقار العصفور لا يسبب ألم.

يتغذى على الجلد الميت ودغدغتها لعلاج العظام والجهاز العصبي. قال فيكتور: إنها لفكرة جيدة في وضعها هنا.

ثم نظر للمحرك الكهربائي وهو يضح الأكسجين للسمك بالماء قبل أن يبت الطعام من زوايا المستطيل؛ فتحركت الأسماك لتلتقط منها الطعام تأرجح المقعد الخالي إثر اندفاع السمك.

تذكر أصدقائه ثانية فتفقد هاتفه الضوئي؛ ليجد الساعة "التوقيت الزمني" لا تزال متوقفة.

بدا كعبول يقفز بشكل متتالٍ، وهو يحاول أن يصل لأعلى المستطيل.

قال فيكتور وهو مشيراً له بالتحرك للأمام: هذا السمك الضئيل لا يصلح كغذاء؛ إنه طيب معالج هنا.

هز كعبول ذيله ليلحق بفكتور.. توقفوا معا أمام الأشكال البيضاوية المتعددة الألوان التي تراصت بزوايا مائلة.. انشطر جزء من الشكل البيضاوي فور توقف فيكتور أمامه.

ليظهر سرير هوائي بمنتصف الكبسولة، وبعض الرشاشات مثبتة بزواياها من الأعلى.

أضاءت الشاشة لتخبر فيكتور أنها كبسولات مخصصة للنوم بتوقيت زمني لا يتعدى ساعة واحدة يتم خلالها بث غاز الكربون والهيدروجين والأكسجين والنيوتروجين بنسب معينة لإنتاج هرمون الميلاتين الذي يفرزه الجسم أثناء النوم. قال فيكتور: بلا شك، إنها مخصصة للعلماء حتى يقضون راحتهم بعد عناء أيام من قدح الذهن فكراً وقلّة نوم هي لتهيئة العقل وتقوية الذاكرة وزيادة للتخزين بالمخ.

أطلق كعبول مواء مرتفعاً فابتعد فيكتور قليلاً عن الكبسولات لتغلق تلقائياً.

تابع فيكتور بحزم وبصوت مرتفع: كعبول هذا ليس وقتاً للنوم. سار بضعة دقائق يتبعه كعبول قبل أن يتوقف أمام عدة أعمدة صغيرة مثبتة بالأرض باتجاه الشروق ذات سعفات عريضة تشبه المراوح اليدوية متوقفة عن الدوران.

حللت العدسة ما يراه وقالت له صوفيا:

- جهاز زهرة الشمس الذكية لتوفير الطاقة الشمسية تنتج الطاقة من ضوء الشمس المباشر وغير المباشر تواجه الشمس بسعقاتها دائما بدرجة 90.

فيكتور وهو يتمتع بما يراه: المتأمل بالكون يجد من الأزهار والحشرات والأشجار ألف فكرة وألف اكتشاف، وفكرة زهرة عباد الشمس وتطبيقها عمليا لتكون من مولدات الكهرباء والطاقة هنا.

غير مكلفة وتحافظ على البيئة، وربما الكون بما فيه يخبرنا دائما برسالة واضح أن بإمكاننا التطور دون تلوث.

أسند فيكتور يديه وفرد ساقيه على الأرض مما دفع كعبول للحدو به وفرد قوائمه الأمامية والخلفية ليشاهد معه بعض البحيرات.

الذي تجاوزت بشكل بديع.. تتصاعد منها الأبخرة بين حشائش وأشجار تنغمس بها روافع بلاستيكية تلتقط المعادن التي ظهرت بعد تبخر البحيرات ثم تضعها بعلب معدنية رصاصية اللون فتغلق تلقائيا.

نهض بعد بضع دقائق ليكمل سيره.. ألقى نظرة على بعض الغرف المغلقة متناثرة قبل المبنى الرئيسي.

سار بضع خطوات يرافقه قفزا كعبول ليتوقفا معا أمام المبنى الزجاجي الذي شيد على مساحة شاسعة من المحمية شاهق الارتفاع بأسقف عالية زجاجية بدا وكأنه بيت مغلق من الزجاج.

قبل أن تطلق البوابة الزجاجية أزيزًا منخفضًا، ثم تفتح البوابة لتسمح بعبور فيكتور وكعبول وتعود ثانية للإغلاق.

تردد الصوت الإلكتروني بعبارة: مرحبا بك فيكتور.

مضت عدة ثوان، قبل أن يقرر يتجول بالمكان برفقة كعبول حين لم يتلق إرشادات بالاتجاه الذي عليه أن يسلكه بعد عبورهم.

بمنظر بدیع خلف الزجاج انتشرت أشجار النيم بفروعها المنتشرة كإكليل ارتفاع 30 متر وأوراقها دائمة الاخضرار.

جاورت أشجار التين أشجار الطلح.. تلتها الشومر الشوكية والبرية بفروعها الصغيرة وأوراقها البيضاء.

انتشرت عليها شعيرات بيضاء تدلت ثمارها الصفراء التي أشبه بالتفاح ولكن بصورة مبهجة.

قال فيكتور: أشجار كالأمهات دائما للعتاء وتخفيف الألم أشجار طيبة رائعة أشجار النيم.. ذات الفوائد المتعددة تضخ رئة الحياة تعطي أكسجيناً أكثر من أي شجرة أخرى وتنقي التربة من الأملاح.

وتقاوم أمراض القلب وشجر الطلح انسولين نباتي وأشجار الشومر هي طبيب القلب.

بدأت الأشجار الصنوبر المثمرة شاهقة الارتفاع تنتهي بتاج هيئة المظلة تنوعت ما بين أشجار مؤنثة بلونها الوردي وأشجار مذكرة بلونها البني الفاتح ثم تدرجت أمامها أشجار الفستق الحلبي متوسطة الارتفاع ب شكلها البيضاوي ونواتها المكتملة النضج.

امتدت أمامهم أشجار اللوز بحجمها الصغير النسبي.. تلتها أشجار الزيتون دائمة الخضرة وقد تدلت الثمار كاملة.

بثلاثة مستويات مما جعل فيكتور يتأملها ثم رفع بصره إلى الزجاج الذي يظللها ويتساءل بهدوء:

- كيف للشجر أن يكون مثمرًا بهذه الكثافة رغم عدم تعرضه لضوء الشمس المباشر؟

على الجانب الآخر تأمل فيكتور جذورًا تتركز على سطح الأرض تبدو كسيقان اقترب قليلا ليقف بالمنتصف ليتابع حركة السيقان التي بدأت بالتحرك مترًا كاملاً باتجاه الشمس بطولها الذي وصل 20 متر؛ فبدت كأشخاص يسرون يعتمرون أوراقًا كبيرة داكنة ذات ثمار فواكه صغيرة يتبعهم كرة الشعر السوداء بمرح (كعبول) برحلتهم نحو اتجاه الشمس.

سرى شعور بالشغف والمتعة داخل فيكتور وهو يتابع بتركيز واهتمام وهو يسير بين الأشجار ولم يكن بحاجة للعدسة ليتعرفها.. كانت قراءته عنها من قبل كافية ليدرك جيدًا أنها: أشجار سوقراطيايكزور هيرا.

عاد كعبول من ملاحظة الأشجار بسيرها لينضم ثانية لفكتور الذي اتجهت خطواته إلى الأمام؛ حيث وجد عددًا كبيرًا من المقاعد والمناضد وبعض الأرائك من الخشب.

تحيط بهم أشجار المانجو والبرتقال والفراولة المثمرة فبدا المكان كصالة استقبال كبيرة ولكن لا أحد بها.

يأحدي زوايا الصالة تراصت بعض ثلاثيات متوسطة الحجم ذات باب واحد لحفظ الطعام.

تذوق فيكتور بعضًا منها، الطيبة المذاق، ثم أدار بصره بين جوانبها يبحث عن المحرك لها أو أي أسلاك تحيط بها؛ فلم يعثر على شيء فعدل العدسة لتجيبه عن السؤال.

قالت صوفيا: تعتمد الثلاجة على المادة الهلامية التي تحيط بالأغذية لحفظ الأطعمة من جميع الاتجاهات.

وضع بعض الطعام أمام كعبول ليلتهمه بسرعة.. ابتسم فيكتور قائلا:
لقد أثار السير الطويل شهيتك يا كرة الشعر. رحلة بها من المعلومات ما
يكفي للتدوين بمعجم وقاموس كامل.. رحلة تغني عن آلاف الرحلات.

ثم تساءل: أليس كذلك؟

رفع كعبول رأسه لثوان وكأنه يوافق الرأي قبل أن يعود لالتهام ما تبقى من
وجبته.

تنتهي الصالة ببضعة سلام تتجه إلى الأسفل.

مما دفع فيكتور لاجتياز الدرجات يتبعه كعبول مسرعا ليلحق به.
السلام انتهت بمستطيل أزرق ما كادت تلمسها قدم فيكتور حتى تألقت
بنور قرمزي ثم انفصلت بهدوء عن مكانها لترتفع إلى الأعلى.

تتوقف أمام مبنى شاهق الارتفاع من طابق واحد.. بدا بارتفاعه المميز
وكأنه يطل على المحمية من علو مضت ثوانٍ قبل أن يفتح الباب الزجاجي للمبنى
طوليا ليسمح بمرور فيكتور وكعبول ثم يعود للالتحام من جديد فبدا كجدار
يحيط بالمكان دون أبواب للخروج .

الأرض زجاجية بلون أبيض بمتتصف الردهة الواسعة شاشة زرقاء معلقة
وطافية تحلق بالهواء انعكست صورة فيكتور وكعبول على الشاشات.

بينما استقرت بالأرض كرة زجاجية كبيرة تستند على حائل معدني مثبت
بالأرض.

قد ظهر بوضوح عليها المسطحات المائية، الجبال، الغابات، وخطوط الطول والعرض.

حين اقترب فيكتور منها أيقن أنها خريطة كاملة هولوغرافية ثلاثية الأبعاد مجسمة للمحمية، اتخذت شكل الكرة الأرضية.

بدأت الكرة بالدوران لتبث صور المعامل والمختبرات المباني الغابات المنتجع بكل غرفه، وأماكن المحمية كاملة ارتبط كل جزء بحرف ولون يظهر على شاشة كبيرة خلف الكرة.

يظهر موقعه بالمحمية لإحداثيات الطقس والجو والكائنات الحية به والنظام الأمني وتاريخ بناء المحمية أسفل الشاشة مكثبات إلكترونية تحمل أحرفاً وأرقاماً متطابقة مع أحرف وأرقام الأماكن الموجودة على الكرة.

بينما ظلت مكتبة واحدة فقط بلا أرقام أو أحرف بلون أحمر قانٍ كتب عليها علامة X (ملفات سرية)

استمر فيكتور قليلاً بمتابعة الكرة حتى يتعلم أكثر عن المحمية.

بعد ذلك استدار ليخرج فتوقف أمام البوابة التي تبدو كالجدار المغلق.

ثم اتجه بضع خطوات لليمين واليسار يتبعه كعبول قبل أن يعود لنفس المكان وهو يشعر بالحيرة: أذكر أن الباب كان بالمنتصف هنا، والآن الأمر أشبه بحائط مغلق.

مد يديه يتحسس أي انحناءات بالجدار أو جزء خفي أو زر صغير ولكن الجدار كان بمستوى واحد.

نظر فيكتور لكعبول وهو يقول له: يا صاحبي، يبدو نحن عالقون هنا الآن.

هز كعبول ذيله عدة مرات موافقاً له على كلماته.

في العودة إلى مكان آخر من المحمية.
ارتفع وجيب قلبها إثر المفاجأة.. تتسارع أنفاسها ويكاد قلبها يخرج من مكانه وعلا جسدها عرق بارد بأطراف مرتعشة بحثت عن حزام الأمان وثبتته محاولة استيعاب ما حدث.
المركبة تتسارع حركتها لفوق ال 300 كيلومتر بالساعة.. والارتفاع زاد أربعين متراً فوق الأرض.
تتسارع أسفلها المباني والطرق والأشجار في ضوء الليل الخافت.. أوشكت على الدوار من فرط السرعة.
ظلت عيناها معلقتين بالمنظر المخيف أسفلها.. رغم محاولاتها السيطرة على الخوف أو حتى إغماض عينيها حتى لا تفقد وعيها.
كيف تتوقف هذه الآلة. ما أمامها على الشاشة خرائط مبهمه وقد تضغط زر خطأ.

كان عقلها كمرجل يغلي من التفكير في مخرج.. إلى أين تتجه؟
- اهدئي.. تنفسي بعمق.. ارفعي عينيك إلى الأعلى.. اهدئي.
نظرت بطرف عينيها للأسفل رغماً عنها.. لتفاجأ بأن ما تحتها سطح يلعب مائل للسواد.. أدركت في ضوء القمر أنه ماء.. مساحة شاسعة منه.. اتسعت عيناها وقامت واقفة من الخوف، لكن ردها الحزام لمكانها.. تنظر في كل الاتجاهات.. توقفت المركبة معلقة بالهواء.
لا أرض على مرمى بصرها.. أين هي؟ المركبة انطلقت.. أخذت الاتجاه نحو الغرب.. أهو المحيط الهادئ!

فجأة سقطت المركبة نحو الماء وكأن اليد التي كانت تحركها قد تخلت عنها فجأة وقذفتها.

أغمضت عينيها لا إرادياً مبهورة الأنفاس، وسرعان ما صعد لساعها صراخها المستيري عندما سمعت صوت انغمارها بالماء فتحت عينيها. أخذ انعكاس ضوء القمر في الماء يخفت وتشملها ظلمة حالكة. بح صوتها من الصراخ فصمتت مجبرة لتفاجأ بصمت يشملها.. وانبعث ضوء هادئ في المركبة وضوء كشافات في مقدمتها وخلفها.

هي في قلب الماء.. ما زالت تسقط وإن كان سقوطاً هادئاً ناعماً. اتسعت عيناها رعباً.. ستموت غرقاً.. سرعان ما ستمتلئ المركبة بالماء وتموت غرقاً.. هي تجمد السباحة، ولكن ليس على هذا العمق الذي يظهر على الشاشة متغيراً كل لحظة. الآن على عمق 1000 متر تحت سطح الماء.

على الشاشات أمامها ظهرت عدة خرائط للمكان؛ توضح منظوراً أفقياً وآخر عمودياً لأجزاء بحيرة.. الصورة الأولى توضح البحيرة من الأعلى باتساع كيلو متر واحد.. وأخرى توضح أنها تتسع كلما اتجهت لأسفل حتى يصل اتساعها بالعمق تتجاوز الثلاثة كيلو مترات. القاع على بعد 7000 متر. هناك نحو الغرب وعلى امتداد كبير جداً 8 أنابيب طويلة قطر كل منها نصف متر تعمل كمجارٍ مائية تصل البحيرة الصناعية بالمحيط الهادي حيث تمتد البحيرة بالماء والكائنات الدقيقة اللازمة للحياة فيها فكأن البحيرة امتداد صناعي للمحيط.

جهة الشرق على بعد كيلو متر من موقعها أنبوب ضخمة تظهر مقاييسه أن قطره يتجاوز العشرة أمتار. لا تظهر بوضوح تفاصيل ما بعد الأنبوب ولكن تظهر طبقات متعددة.. لا بيانات عليها.

من الشمال والجنوب. صخور وجوانب البحيرة.
 هل يتحمل جسد المركبة ضغط الماء فوقه.. هل تموت عصرا تحت الضغط
 الرهيب! لو استطاعت فتح المركبة. هل سيتحمل جسدها الضغط العالي من الماء
 فوقها.. هل توجد إمكانية لفتح الباب على هذا العمق؟ تراحت الأسئلة.
 بدأ عقلها يعمل.. رغم مرور بعض الوقت لا يوجد أي ماء بالداخل.
 قامت بسرعة تتحسس كل المركبة.. وما كان بابا فيها عندما دخلتها.. لا أثر له
 الآن.. ولا أثر لدخول الماء في المركبة.. هي مجهزة ضد تسرب الماء إذن؟
 الحركة أصبحت خفيفة وما زال السقوط بفعل القصور الذاتي.. مستمرا
 وإن كان يخف تدريجيا.

هذا الهبوط لن يستمر طويلا، وطبقا لقوانين نيوتن، أن هذه الحركة
 ستنعكس فكل فعل رد فعل مساوٍ له في القوة ومعاكس له بالاتجاه.
 - أحتاج لكل قوى عقلية.. الخوف لن يفيد.. ماذا قال والدي؟ الخوف يشل
 العقل، ومن ثم يتسبب بالهلاك.. لا تخافي.. ما هو مقدر سيحدث.. فقط.. لا
 تستسلمي للخوف.. وسوف تجدين مخرجًا من أي مأزق.. لا تخافي.
 - لا تخافي.. لا تخافي.

أخذت تردد الكلمة متخيلة موتها بسبب نفاد الأكسجين بالمركبة.. هل
 تموت من نقص الأكسجين أم من تسمم بثاني أكسيد الكربون.. ما أعراض
 التسمم بثاني أكسيد الكربون؟

- لا داعي للأفكار السوداء.. تنبهت أن المركبة تأرجحت، ثم بدأت في
 الصعود متبعة قوانين الحركة.. العداد يشير أن الارتفاع يقل.. هل تكفي ردة

الفعل وقانون الطفو لأن ترتفع المركبة على السطح.. تشك في ذلك لاحتكاك المركبة بالماء.. ظلت تتأمل المكان حولها وهذه الحياة الرائعة في أعماق المحيط. أسماك وكائنات بحرية لا تعرف لها اسما، أعشاب وطحالب مختلفة تعوم مطمئنة متجاهلة إياها وأخرى تتأملها وتنجذب لضوء المركبة. دقائق وتوقفت المركبة عن الحركة بفعل تعلقها ببعض التكوينات المرجانية والطحالب.. هي الآن على عمق أربعائة متر من السطح.. تغلب الانبهار على خوفها قليلا.

ما حول المركبة واضح بفعل إضاءة من المركبة نضيء المكان حولها على مساحة عشرين مترا تقريبا في كل الاتجاهات.. ما حولها مليء بالأحياء المائية والأسماك الصغيرة الملونة غريبة الشكل تحوم حولها فضولا. هذا المشهد يدعو للهدوء. اللون الأخضر القاتم يسود المكان تتخلله كائنات مختلفة الألوان والأحجام في كل مكان. تأتي إليها بعض الأفواج من الأسماك الفضولية تترقب هذا الكائن الجديد عليها.. وكان هناك رياح مائية تحرك الطحالب وتهز المركبة هزات خفيفة.

ماذا لو دفعت المركبة حتى تتركها تلك الكتلة من الطحالب.. ظلت تهز المركبة.. وبعد دقائق انطلقت المركبة متحررة من أسر الطحالب.. لتعوم بانسيابية على نفس العلو.

لا داعي لأي حركة زائدة الآن؛ حتى لا تستهلك أكسجيناً أكثر؛ فلتبتطئ من أنفاسها.

نظرت لساعة يدها.. مضى أكثر من نصف ساعة.. وما زال تنفسها طبيعياً. حسبت في ذهنها مساحة المركبة، وما تحتويه من أكسجين ونسبة استهلاكها.. كان

لا بد للأكسجين أن ينفذ من ربع ساعة على الأقل.. هي لم تشعر بثقل الأنفاس قط. هل يتجدد الأكسجين في المركبة.. كيف؟

هي في وسط الماء.. تعوم المركبة بانسيابية بفعل تيارات الماء. هل المركبة تجمع ما بين عمل السيارة والطائرة والغواصة أيضا.. نعم وإلا كيف تعوم هكذا في الماء.. ولا ترسب.. وأيضا الأكسجين متجدد بها.. تفحصت ما أمامها من أزرار ورسوم وأرقام. تفهمت بعدما ذهب خوفها بعض الشيء أن المركبة تستخلص الأوكسجين من الماء كما تفعل الأسماك. ليس عن طريق الحياشيم طبعاً ولكن نفس الفكرة.. هنا جدول ورسم بياني يوضح أن الأكسجين ينقص وفي لحظات يعود الخط للارتفاع. محافظاً على نسبة الأكسجين وبقية الغازات طبيعية لتنفس الفرد حتى في وقت هياجها وإجهادها.. كان الخط في حدود الطبيعي.

ارتاحت لفكرة عدم موتها مختنقة.. ولكنها ما زالت تحت الماء.. هل تموت بفعل مرور الوقت والجوع والجفاف! لن تستسلم للموت.

لو تعرف ما هذه الطلاسم على الشاشة لاستطاعت التحكم بالمركبة؟ الصور والبيانات واضحة وتظهر تلقائياً.. ولكن لا مجال للتحكم بالمركبة وكأن هناك قفل تشفير يمنع ذلك.

كيف يقودون هذه المركبة من دون أن تكون هناك أي إشارات على الأزرار تدل عن وظيفة كل منها؟

تحاول عصر ذهنها متذكرة كل ما تعرفه عن برمجة الحاسوب، ولغاته وشفراته المختلفة.. لا داعي للعجلة الآن حتى تستجمع أفكارها.. جلست على

الكرسي.. تسترخي وتهدي من أفكارها الجائحة.. محاولة التركيز.. كيف تسيطر على المركبة؟ كيف تنجو؟

أخذتها سنة من النوم بفعل القلق والتوتر.. لتفיק على هزات عنيفة وكأن زلزالاً قد هاجمها.

للحظة لم تدرك الموقف الذي يحوطها.. حتى انتبه عقلها للواقع.
مطلقة صرخة عالية إثر مشاهدتها لأنياب كبيرة متراسة في فك ملتصقا بالمركبة.. سرعان ما ابتعد فظهر حوت عملاق.

بانسيابية ولى ظهره لها، مبتعدا مع الارتفاع لأعلى.. تابعته بعينين متسعيتين من الهلع، ومن ثم استدار بسرعة كأنه يقفز من الأعلى مهاجما اهتزت المركبة مرة أخرى بشدة.. وما زالت صرخاتها تتوالى بهستيرية وتنساب دموعها رغما عنها.
بعد دقائق من الرعب.. بدأت تعي أن المركبة حصينة من هجمات الحوت.
وأن أنيابه التي يحاول أعمالها فيها لم تخدشها حتى.

ما زال الحوت يحاول الهجوم على هذا الجسم الدخيل على عالمه، ولكنها تجلس الآن هادئة متأملة هذا القاتل الجميل وقد أمنت منه ومن هجومه والذي أصبح ضرباته ترجحها بشدة كل حين.

رغم هلعها أخبرها عقلها أنه الحوت القاتل "الاوركا". بلونه الأسود في الظهر وجوانب وبطن أبيض.. وزعنفة متوسطة تنبئ بأنها أنثى.. طولها 6 أمتار تقريبا.

بعد وقت عصيب.. تركتها أنثى الاوركا وكأنها ملت.

قررت منى أن لا تلتفت إلى الأخطار حولها وهي تحاول أن تضغط على أي زر بالمركبة. إما أن يكون خيارًا صائبًا وإما تعجيلًا للموت الذي يحوم حولها ويقترب منها حثيثا.

ضغطت على زر فتصاعد صوت يشرح لها نوع الأعشاب حولها.. ونوع كل سمكة أو كائن بحري يقترب من ضوء المركبة مع صور توضيحية ظهرت على الشاشة أمامها.

ضغطت زر آخر فبدأت ذراع تخرج من أسفل المركبة أخذت عينات مما أمامها.

جربت أزرارًا أخرى، ولكن لم يظهر أثر لذلك وكأنها لا تعمل. المركبة متوقفة، تتحرك فقط حسب حركة المياه حولها. هناك ما أو من يتحكم بها.

- لن تنفع تلك الطريقة. لا بد من فك شيفرة هذا الحاسوب. بعد مرور فترة من الوقت أضواء أخرى بدأت تضيء أمامها.. وبدأت المركبة تعمل وتتجه نحو الأعلى.. ولكن تكالبت عليها أنثى الاوركا. مرة أخرى تدفع بها من كل اتجاه.. وتضرب جوانبها بعنف شديد.. هل محركات الغواصة قوية لتصعدها إلى الأعلى؟ وكيف تنجو من الاوركا القاتلة على سطح البحيرة؟

ظهرت خريطة متسعة لموقعها الحالي.. الآن هي على عمق 100 متر فقط تحت سطح الماء.. لا تضمن استمرار تحكمها بالمركبة لفترة طويلة. فربما عاد قفل التحكم كما كان بالسابق بشفرة جديدة لا تستطيع اختراقها.. سواء أكانت المركبة تشفر نفسها أم أن هناك من يقوم بذلك. عليها أن تكون أسرع منه وتنجو.

ماذا لو أعطت الأمر للمركبة بالعودة إلى نقطة انطلاقها الأولى. ظهرت لها فعلا في قائمة، الخرائط السابقة على خريطة سطح البحيرة والتي سجلتها المركبة. تصفحتها سريعا حتى ظهر ما يبدو أنه منطقة مزرعة التفاح والقلعة وإسطنبول الخليل.. سريعا أعطت الأوامر بعكس الاتجاه السابق حتى تصل لنقطة الانطلاق.

ارتفعت المركبة نافضة ما حولها من ماء ضاربة الحوت القاتل.

ظهر ضوء النهار الوليد منيرا الماء كلما ارتفعت.. يغمرها العرق وترتعش يديها فوق شاشة التحكم.. ماذا لو فقدت السيطرة؟

ها هي ترتفع عن سطح الماء.. يجب أن تبتعد عن البحيرة.. ارتفعت بعلو 10 أمتار.. الأرض تقترب حيثما منها. تنفست الصعداء وهي تطير فوق الرمال. بعد عشر دقائق ستعود لنقطة انطلاقها. غاضت ابتسامتها وعلا الاصفرار وجهها.. لقد عاد التشفير.. تقطعت أنفاسها والمركبة تنهار سقوطا.

ارتطمت المركبة بالأرض بعنف.

في مكان آخر من المحمية...

قام جوزيف واقفا يملكه الملل.. لا بد من طريقة لتحريك تلك العربات. أو ليجد طريقه لمكان آخر. أخذ يدور حول العربات متحسسا جوانبها.. لا توجد أي أقفال.. وهي تعمل بطريقة إلكترونية غير معلومة لديه.

وصل لما خلف العربات؛ فلاحظ الأعمدة الفضية القصيرة التي تتناثر كل مائة متر تلمع قممها الحمراء الآن وتومض بالضوء وكأنها تشير إليه أو تناديه.

بحذره وشكه المعتاد.. لم يتوجه إليها مباشرة.. دار حولها في دائرة كبيرة. أخرج من جيبه إحدى كراته المطاطية والتي يستخدمها في تقوية وتمارين أصابعه، دحرجها حتى اقتربت من العمود.

انتظر لدقائق.. لم يحدث شيء.. فتقدم على مهل.. وهو متوجس.. التقط كرتة ودسها في جيبه، مال قليلا بجسده العملاق لفحص العمود.. مضت لحظات ولم يحدث شيء.. وقف حائرا.. ربما هي للإضاءة.. فجأة تصاعد ضوء أخضر على شكل أسطوانة غلفت جسمه.

تحركت الأرض من تحته بمحيط تلك الأسطوانة.. متجهة للأسفل.. مديده وحرك قدميه محاولا الخروج قبل أن يهبط، ولكنه لم يستطع اختراق الضوء.. كان ملمس جوانب الضوء معدنيًا باردًا.

نزل المصعد الضوئي بانسيابية يحوطه ظلام خفيف لا يستين ما وراءه لحظات وتوقف وانكشف أمامه عبر الضوء الشفاف، ممرات طويلة متشعبة مركزها *الأسطوانة المصعد*.

ثم أحس بنفسه يعلو مرة أخرى لسطح الأرض.. وساد للحظات جو معتم خارج الأسطوانة الضوئية مع توقف المصعدز. لحظات وتلاشي الضوء.. مديده ليطمئن أن لا حواجز أمامه.. لم يتحرك من مكانه حتى يطمئن.

أمامه ممر طويل معدني الجوانب صخري الأرضية تنيره أضواء خافتة لا تعيق الرؤية.. مد إحدى قدميه تتحسس الأرضية، شك بأن هناك فخًا ما.. الأرض صلبة.. أخذ ينقل قدميه متقدما ببطء.

مضى قليلا في الممر الذي انعطف به ليغشى عينيه الضوء؛ فوجد لدهشته ما يشبه مزرعة مواشي.. بأرض عشبية خضراء تتناثر بعض الأشجار في المكان وضوء يفرش المكان كأنه النهار.

نظر خلفه وإذا بمشهد الممر يختفي وكأن وراءه بخطوات قليلة حائط أسود.

التفت لما أمامه وتقدم بحذر في أحد جوانب المرعي بناء كبير.. توجه إليه،
فتح الباب.. وإذ بمعمل مليء بالحواسيب والعينات.

تفحص المعلومات أمامه.. وفهم أنه معمل للهندسة الوراثية.. هنا تتم
دراسة خصائص المواشي والدواجن عموماً.. للوصول لأفضل طريقة لنموها
وتكاثرها.

وجد بيانات بالمعدل المعتاد لإنتاج كل حيوان على حدة.. والمعدلات التي
سجلتها حيوانات المحمية.. فإذا التكاثر يبلغ 10 أضعاف المعتاد.. ومعدلات
النمو تتفوق بأربع مرات النسب الطبيعية.

بيانات أخرى على حاسوب آخر.. توضح أن مكونات الغذاء طبيعية بنسبة
100٪، مع الاستعانة بأعشاب وطحالب بحرية كجزء رئيسي بالتغذية أدت لهذه
المعدلات العالية من التكاثر والنمو.

معدلات فحص العينات يتفوق بمراحل عن مقاييس FDA.

على حاسوب آخر يبدو أنه خاص بملفات المجازر الآلية.

ظهرت قوائم بأرقام ضخمة لما يتم توريده للمجازر يوميا وما يحفظ
بالثلاجات.. وخطة توزيع اللحوم على مستوى العالم تتم يوميا.

حاسوب آخر تظهر شاشاته صورة حية مقسمة لحيوانات مزرعة تتجاوز
أعدادها الآلاف في كل صورة موجودة في أماكن مختلفة على شكل طبقات.. وكل
جزء أو طبقة متهئية بدرجات حرارة أو برودة وإضاءة مختلفة.

حسب البيانات التي تظهر أسفل كل صورة.. ما أدهشه حقا أن بعض تلك
الطبقات بدت وكأنها مرعي طبيعي واسع مشمس الضوء مليء بالآلاف من
الأبقار.

كل هذا من دون أن يبدو أي عنصر بشري في الصور.. دار رأسه من كم الشاشات التي طالعها.. وهذا التقدم المذهل في الهندسة الوراثية الحيوانية. والإنتاج الضخم للمحمية.. واستغلال باطن الأرض للتنمية مع التعويض بشمس صناعية لا غنى للحياة عنها.

خرج من الباب يتأمل المرعي حوله والذي لدهشته لم يحو أي حيوان.. لعلها بمكان آخر. اتخذ طريقه خارجا من المكان، ليجد ممرا أمامه.

سار جوزيف بخطواته السريعة بممر طويل انتهى بغرفة كبيرة.. فتح جوزيف الباب بحذر، وقبل أن يدخل الغرفة التي احتوت على مستطيلات زجاجية ضخمة التصقت بها دوائر صغيرة كمؤشرات تحمل درجة الدوران القصوى.

المتصلة بأنابيب رفيعة، المتصلة بهذه المستطيلات، والتي تناثرت آلاف الأطنان من البلاستيك في الداخل وتلف بحركة دائرية.

تدور كإعصار قوي محدث ضجيجا عاليا.. تأمل جوزيف بعض الأنزيمات المترسبة بالبلاستيك، وهي تتفاعل معه واختلاط بعض المواد الأخرى قد مزجت بها، وسكبت من أنابيب ملتصقة بمنتصف المستطيل أتت من الداخل.

قبل أن يتم ضخه كسائل تنتهي رحلته ليوضع بالمربعات الصغيرة قال جوزيف بانبهار:

- تحويل البلاستيك لطاقة دون عوادم أو خيط دخان واحد.

التفت حوله وهو في دهشة من أمره:

- والأكثر عجبا وانبهارا أن المستطيلات مبرجة لتؤدي مهامها دون تدخل

بشري واحد.

- هذه المحمية تذكرني بمقولة جدي "يخفي باطن الأرض الكثير من الأسرار".

ربما كان عليه أن يرى المحمية.

استدار ليتخذ طريقاً للخروج بنهاية الممر.

طريق واسع وكبير سار جوزيف بمنتصفه قبل أن يتوقف أمام بوابة زجاجية كبيرة.

موضوع عليها بعض الدوائر الخشبية يتوسطها عقارب الساعة.. توقف قليلا أمام الساعة التي لا تحتوي على أي أرقام قبل أن يدير العقارب بهدوء فانفتحت البوابة أمامه.

قال جوزيف: ترى ماذا يوجد هنا؟

سار جوزيف لمنتصف الممشى الطويل خلف البوابة قبل أن يتوقف أمام أحد المعامل احتوت حاويات كريستالية عملاقة مزودة بأنابيب حلزونية متداخلة. تشابك أسفلها بأنابيب ضخمة غليظة بلونين أبيض وأسود.

تنتهى الأنابيب بحاويات أخرى مستطيلة.. رفع جوزيف بصره إلى الأعلى ولم يستغرق أي وقت لفهم أن الماء المكون من غازي الهيدروجين والأكسجين يتم تجزئته بوضع غاز الهيدروجين بالأنابيب البيضاء.

ووضع غاز الأكسجين بالأنابيب السوداء، كلا على حدة، ثم يتم تفريغ الغازات بخلايا الوقود.

جوزيف وهو يتمعن جيدا: الوقود أصبح من الماء. طاقة نظيفة بشكل كامل للسيارات والمحركات بالمصانع، والعدام هو فقط بخار ماء يحد بشكل كبير من

التلوث البيئي أفضل كثير من الوقود الذي كان سائدًا والتابع للمشتقات البترولية.

بعد خروج جوزيف، تعددت المباني من حوله اختلفت باللون والشكل والأساس؛ فهناك البيوت الزجاجي، وأخرى من الفولاذ، وغيرها من الخشب وبعض منها اتخذ شكل الخيم ولكنها صنعت من الكارمود.

جوزيف مع نفسه: تعدد المباني يدل على عقول مختلفة، جنسيات مختلفة، ولكنها أكيد من عباقرة قد صنعوا كوكبًا كاملاً للعلم ومدينة التكنولوجيا، وتحقيق المحال ما كانت تطمح به الأجيال السابقة.

بدأ كأمنيات وأحلام كانت دربا من الخيال تطورت ليحاول بعضهم وضعها على أرض الواقع وتطوع آخريين لبث روح الحقيقة بها.

فأعطوا كل الاحتمالات؛ نسب للنجاح وعوائق لها. كدراسة جدوى لمشروع ما مضت سنوات والعراقيل تعيق وجودها فقط من آمن بالفكرة لم يتخل عنها.. ظلَّ يحدثها وتحديثه تكشف له كيف يميت العراقيل.

لتمتد الفكرة، واقع نعيشه.. أعلن عن ذاته بوضوح وعمق بعد أن كان مجرد ضرب من الخيال.. اعتبره البعض إزعاجًا، أما الآخرون فمدوا أيديهم بقوة ليتشبثوا به ليحيا على الأرض.

ألقي نظرة على البيت الزجاجي وقال: ربما كان هنا عالم من آسيا.

ثم نظر للبيت الفولاذي وأردف: وهنا روسي يعلن عن ذاته بوضوح.

النقط نفسًا هادئًا اقترب من البيوت المغلقة.. فتح أحدهم وتجول داخله

وهو يتكلم مع نفسه: منازل خاوية!

انتهت رقعة المباني بجسر زجاجي تحيط به حواجز من معدن سار جوزيف حتى شعر بالإجهاد والجوع فعبث بمحتويات جيبه ليخرج حبوب التغذية ابتلعها ثم تذكر ألبرت.

ثم تساؤل: يا ترى ما الذي يجري مع ألبرت والرفاق؟
لاحظ صورتهم جميعا بذهنه وهو يشعر بالقلق أن كانوا في حال جيد.
أسرع الخطى وهو يأمل بوجود أحد وتتمنى نفسه بمقابلة البروفيسور.
قال جوزيف: مثل هذه المدينة أي سبب يجعل العلماء يهاجرون إليها فمثل هذا العالم الخفي بعلموه يستحق أن يقضي الإنسان عمره هنا.
انتهى الجسر بحديقة واسعة قد تزينت بأجمل الزهور والنباتات وقد تفاوتت بأحجامها عن المعتاد.

اصطدمت أقدامه ببعض الأسلاك الرفيعة فلمس بيديه الأسلاك الحادة..
تابع جوزيف ببصره الأسلاك التي امتدت بخطوط طويلة انتهت.. بجهاز رنين مغناطيسي بغرفة كبيرة الحجم ذات اتساع كبير.
مزودة بأجهزة تحكم وشاشات عرض كبيرة شملت الحديقة بالكامل..
أطلق جوزيف بعدها صفير إعجاب وهو يشاهد على الشاشة جذور النباتات تحت الأرض والنباتات الداخلية.
اقترب من الشاشات أكثر ليتابع سرعة امتصاص التربة للماء بينما ظهرت بزوايا الشاشات نسب امتصاص النبات المواد الغذائية والضوء.
ألقي نظرة سريعة على أجهزة التحكم التي تدار تلقائيا لمحاكاة الظروف المناخية للنباتات.

صاح جوزيف

- بورك هذا النظام الوراثي للنبات متكامل لمكافحة الآفات وإنتاج عوامل دوائية ومغذية لتلك النباتات بلا تدمير لها.

ارتسمت على محياه ابتسامة قبل أن يتابع: بشر خُلقوا لمساندة أجيال كاملة. مضى وقت طويل، وجوزيف يتابع شاشات المراقبة قبل أن يتخذ طريق الخروج ليسير بطريق دائري تراصت على جوانبه أشجار عالية. فروعها حمراء ذات نبتة صغيرة صفراء.. داعب الهواء أغصانها فاهتزت بحفيف هادئ اعطت منظر خلاب للطريق.

استنشق جوزيف الهواء بعمق فشعر بنشاط يتجدد داخله فأكمل المسيرة بطاقة أكبر وأكثر حيوية.

أكمل السير عدة دقائق ليتوقف أمام بوابة دائرية معدنية ضخمة.. توقف جوزيف أمامها لينطلق أزيز مع لون قرمزي.

فتحت بعدها ليعبر جوزيف لفناء كبير رملي محاط ببضع صخور بيضاء صغيرة تتوسطها غرفة بيضاء كبيرة.

تحرك جوزيف ليجد نفسه أمام شاشات حاسوب ضخمة أظهرت الجبال والمسطحات المائية والبراكين كاملة بالكرة الأرضية، مع بيان متواصل.. لحظي بدرجات الحرارة، حركة البحار، حركة السحب، مستوى غاز ثاني أكسيد الكربون بالهواء، بواقع بليون معلومات في اللحظة الواحدة.

وتوقعات كاملة على مدار عام عن البراكين المتوقع حدوثها والزلازل والأعاصير.. تابع جوزيف قراءة المعلومات على الشاشات قبل أن يقول:

- مثل هكذا معلومات رغم دقتها وغزارتها لا تمنع زلزالاً أن يحدث أو تخمد بركاناً أن يثور يمكننا أن نخلي مدناً كاملة من البشر حفاظاً عليهم من الكوارث، ولكن لا نستطيع أن نمنع القدر عن مساره.

خرج من المبنى ليصعد جسراً خشبياً معلقاً امتد أسفل نهر طويل على جانبي النهر.

رقعة زراعية شاسعة تجاور بها الأرز والقمح معا مقسمة لمستطيلات حمراء بمساحات متساوية.

انتشرت الماكينات الضئيلة الحجم وهي عبارة عن أذرع إلكترونية تنتهي بمقصات للحصد.

عدد المستطيلات تقوم الأذرع بعد الحصاد بوضع الزرع، ووضعها بطريق حلزوني مجاور للأرض.

يسير تلقائياً بمجرد خلو الأرض قامت الأذرع الإلكترونية بتهذيب للأرض، ثم يتم نثر البذور الجديدة.

تلا ذلك مساحات زراعية كبيرة للخضار لفصول العام مجتمعة بالأرض نفسها.

أسند جوزيف يده برفق على جانب الجسر المعلق وقال بإعجاب:

- يبدو أن الأمر وكأن آلاف المزارعين يقومون بأعمالهم على خير وجه.

سار بعدة طرق واسعة قبل أن يقف أمام بوابة إلكترونية متوسطة الحجم اجتازها ليقف أمام مبنى كبير.. تقدم للدخل، ليقف مبهوراً أمام الشاشات الطبيعية التي تبث صورة لنيوترونات تدور بعنف حول الكون من دون عوائق تخترق الأجسام الصلبة.

بينما بثت شاشة أخرى صورة مثبتة للشمس وقد دارت حولها آلاف النيوترونات.

قال جوزيف: مثل هذه النيوترونات قادرة على السفر سنة ضوئية كاملة. ثم تساءل بعد تفكير عميق: ترى أي أسرار أخرى يحتويها الفضاء؟ تابع جوزيف سيره وجميع الصور تتلاحق برأسه فترسم داخله إحساس الفائز بجائزة كبرى.

توقفت خطواته أمام مستشفى كبير ذي بوابة فضية اللون.. عبر داخلها يتفقد الغرف الخالية، وقد بدت الأسرة بالشراشف البيضاء عليها نظيفة منظمة فوقها.

والأجهزة الصامتة، أضواؤها مغلقة، وكان الهدوء يغلف المكان والمكاتب مغلقة.. بعدها سمع صوت أحدهم وهو يتحدث.

سار باتجاه العمل الذي احتوى مناضد زجاجية كبيرة وُجد أعلاها بضع عينات من الأوعية الدموية بزجاجات مربعة الشكل، وأخرى احتوت على عينات خلايا بشرية، وعينة من النخاع العظمي.

يأحدي زوايا العمل انطلق بث متواصل بجميع اللغات عن طرق العلاج من أمراض تم نجاحها عن طريق أبحاث علماء المحمية.

استمع جوزيف للبت الصوتي لحظات قبل أن يواصل طريقه للخارج، سار بضع ياردات ثم توقف أمام مبنى كبير مكون من ثلاثة طوابق وقبو ممتلىء بالأدوية والعقاقير الطبية.

اجتاز جوزيف البوابة الرئيسية ليتجول بالطوابق الثلاثة.. احتوى كل طابق على مكتب زجاجي مغلق عكس ما داخل المكتب عن أدراج زجاجية كبيرة قائمة

لا يظهر ما بداخلها.

اتخذ خطواته للأسفل وتوقف أمام الباب الخشبي للقبو الذي نقش فوقه علامة اسكليبيوس.

(رجل يحمل عصا يلتف عليها ثعبان).

وضع يده على العلامة؛ فانفتح الباب بيسر.. اتخذ جوزيف خطواته للداخل يتطلع بالأدوية والعقاقير التي تراصت بشكل منظم ومنسق قبل أن يرتطم الباب بعنف.

ويستمع جوزيف الباب وهو يغلق إلكترونياً.. لمس بيديه الباب يحاول أن يفتحه ثانية، ولكن الباب والأنوار أغلقت فعلم جوزيف أنه عالق تحت بالقبو. في مكان آخر بالمحمية وُجد صديق آخر.

صوت ضجة وجلبة شديدة جعلت ألبرت يرفع رأسه عن قدميه أرهف السمع وقد برق الأمل داخله همس بخفوت وشوق وهو يدير رأسه بكل اتجاه:
- قد يكون فيكتور أو منى أو حتى جوزيف.

ركز على السمع مرة ثانية انه صوت وقع أقدام.. نهض ليقف وشعور بالفرح يعود له.

ارتسمت ابتسامة على وجهه؛ أخيراً سيجتمعون معا وسيعود لرفاقه.. تمنى لو يراهم.

ثم صاح يتساءل أقرب إلى النداء:

- يا رفاق هل انتم هنا؟

حين لم يأت الرد وساد هدوء وسكون ثانية فتسلل شعور بالقلق.. شعر برجفة إحباط، تسري بأعماقه، ربما أتى أحدهم لمساعدته ولكنه لم يسمع نداءه

فوضع يديه بجانب فمه وصاح بقوة: يا رفاق.
استمع ثانية لوقع أقدام استطاع هذه المرة أن يحدد مصدر الصوت رغم
انخفاضها عن الحركة السابقة.

إنه آت من حيث أقفاص الحيوانات.. أسرع الخطى إلى هناك.. التفت قدم
بأخرى وكاد يتعثر وهو يسرع لملاقاة هذا الشخص قد يكون أحد الأطباء يتفقد
المكان أو أحد العاملين يرى شيئاً ما لهذا السبب.

لم يتعرف ألبرت الصوت ويحيب ندائه متأملاً فقط أن يكون أي شخص
يدله على الطريق للخروج من هنا.

اقرب أكثر من المكان؛ فبدت الأقفاص أمام ناظره بعض الحيوانات وهي
تذرع أقفاصها يميناً ويساراً.

تكلم ألبرت بحيرة؟

- هل من الممكن أن يكون ما سمعه هي حركة الحيوانات بالأقفاص؟
هز رأسه نفياً: كلا، لقد كانت الحيوانات هادئة قبل قليل وما سمعه كان
وقع أقدام.

سار بحذر بين الأقفاص وصل منتصفها فشعر بوقع اقدم بالخلف توقفت
على مسافة منه.

ألقي نظرة للخلف فجأة فلم يجد أي أحد.. تصبب العرق من جبينه
وارتجفت يداه بعنف وسرت ارتعاشة باوصاله وتساؤل بشك أقرب للجنون:

- أين ذهب وقع الأقدام؟ أو بمعنى أدق، أين هو صاحب وقع الأقدام؟
استنشق ألبرت رائحة ما قوية جعلت معدته تتقلص تزامناً مع حدوث

ضجيج.

ألبرت وهو يشعر بالضيق والاختناق يتسلل لصدره من أثر الرائحة أشبه بالغاز.

حركة الحيوانات زادت بأقفاصها جعلت البعض منها تهتز بعنف.
أسرع ألبرت بالخروج من ذلك المكان من دون أن يدرك ما الذي يجري.
ارتفعت مجسمات ضوئية تخلق فوق رأسه من لا مكان بحركة دائرية وكأنها عيون تتابعه بتأني.

حث الخطى التي أصبحت راکضة وتسارعت أنفاسه وألقى نظرة عابرة للخلف، ليؤكد إحساس القلق وهو يحاول أن يتعرف ما خلفه.
اصطدم بالأقفاص بعنف ليسقط أرضاً.. شعر بسائل ساخن يلمس يديه، نهض مسرعاً وهو ينظر للدماء وقد لطخت يداه وثيابه.
تلقت حوله كانت الدماء تمر بين الأقفاص وأسفل الأقفاص يد ممزقة لأحد الحيوانات، وأجزاء من فرو متناثرة ملطخة بالدماء.
نهض يهرول للخارج وسط هرج ومرج يصدر من الأقفاص، وزجاجة من الحيوانات.

تساءل ألبرت بقلق: هل هرب أحد الحيوانات المفترسة؟ وكيف صار بهذا الافتراس والأجهزة المستولة عن هدوئهم تخلق بانتظام في المكان.
توقف ألبرت عن الركض خلف المختبرات محاولاً أن يلتقط الأنفاس من خلف الجدار فألقى نظرة على الأقفاص.

ثم نظر ليده المرتعشة الممتلئة بالدماء.. تنهى لمسامعه صوت صراخ مرتفع وضع ظهر يده على فمه ليكتم شهقة كادت تفلت منه، اتسعت عيناه بدهشة

وعدم تصديق؛ فعلى مقربة منه كانت معركة شرسة؛ قرد يحاول التملص من الموت.

أطلق القرد صرخات منخفضة وهو يتلوى تحت هيمنة فأر.. فأر كبير متوحش!

بينما تقوس ظهر الفأر ليظهر سيطرته التامة بقوة وعنف يطويه بلا مجهود ليغرز أظافره بين جلده بخطوط طولية ويمزق القرد بعنف.

ويمزقه بأسنانه من جانب عنقه، لتسيل الدماء، ليهتز القرد أسفل منه عدة مرات ويرتعش، ثم يهدم للأبد.

أزاح الفأر القرد بهدوء وظفر همس ألبرت وهو ينظر لحجم الفأر الذي تضاعف عدة مرات فبدا كثعلب صغير.

أقدامه ككف كلب وذيله كسوط طويل غليظ ووجهه ككرة من الثلج الأبيض وعينان مثل كرات من الدم الحمراء وأظافره أصبحت كمخالب حادة.

ألبرت: تهجين فأر والعبث بهنديات وراثية ما أحق وأغبي هذه التجارب وتلك الأبحاث التي تخل بنظام الكون.

ثم عقب بعد ذلك: لا يعقل أنهم يفعلون ذلك هنا. لا بد أنه سبب آخر. شعر بعدها برغبة شديدة بالتقيؤ، وتذكر رائحة الغاز القوية فتمتم بتساؤل:

- هل هو الغاز المسئول عن هذا؟ هل هو ما أحدث هياج بالحيوانات؟ اكسبت فأر تجارب ميزات الحيوانات المفترسة؟

التصق ألبرت بالحائط وهو يتمنى أن يطويه الجدار فالفأر قد اتخذ طريقه بالقرب من ألبرت وسار يفصلهم بضع خطوات.

مما دفع ألبرت للهرولة من جديد، والفأر ينطلق وراءه بإصرار، وانطلق
يجري دائريا حول المختبر يبحث عن بوابة الدخول بغضب:
- أي لعنة بهذه المحمية، حتى الفئران أصابها الجنون وصارت وحوش
ضارية؟!

شعر بحفيف حاد يمر على ساقه، وينغرز به كنصل سكين حاد؛ فالتفت
للخلف وهو يصرخ بألم: أيها اللعين، صرت أنا ألبرت مطارد من قبل قوارض.
ثم صرخ باستياء: هل تظنني فريسة؟ تبا لك.
ابتعد ألبرت فجأة توقف عن الدوران حول المختبر، وانطلق بلا تفكير
يعدو بأقصى سرعة، والفأر خلفه تساقطت الدماء من قدمه تلونت مع الحشائش
الخضراء شعر بحاجته للجلوس والتقاط الأنفاس.
التفت للخلف، بدت بينهم مسافة غير كبيرة، ولكنها تعطي إحساسًا بشيء
من الأمان لألبرت وأعطته دفعة أخرى من الحماس.
يسرع الخطى ورعشه بين ساقيه؛ فلقد بدأ النزيف يزداد وشعوره بالإعياء
يتضاعف والتصقت ملابسه بدم المتجمد.
شعر باختلال في التوازن ووهنت حركته وأصبحت الرؤية ضبابية.. لم يعد
يستطيع المقاومة، خائنه قدماه ليستقط على الحشائش الخضراء.
ألقي نظرة سريعة على الفأر المسرع بخطواته له الذي بدا قريبًا جدًا، نظر
ألبرت حوله بيأس فهو بالكاد يرى ما حوله.
حاول أن ينهض فلم يستطع شعر بثقل بجسده ويفصله فقط عن الفأر
بضع خطوات حتى يكون فريسته.

أجبر ألبرت جسده على الانزلاق مرة واثنتين، ثم صار يتمرغ بالحشائش
يبتعد قدر المستطاع عن الفأر ثم زحف بظهره طوليا.

رأى بوضوح الفأر يقف أمام قدمه الممددة بالأرض؛ فدفعه بحذائه بعنف
ليسمع صراخ الفأر وهو يطير بضع ياردات جعلت ألبرت يتنفس بعمق ثم يتكئ
على مرفقه ليجلس بين الحشائش.

يتكلم بغضب وخوف: والآن يا ألبرت، أين المفر؟
نهض ليقف وهو يلمح عن بعد خطوة الفأر يعدو نحوه فهمس بسخرية:
- هل آلمك الحذاء أم أهانك؟ نعم أعلم أنك مقاتل عنيد لم يعد يكفيك دور
ويستر المسالم تريد تبادل الأدوار وجعلتني تجربة تظفر بها!
ثم انطلق يعدو وهو يصرخ بألم: واجهني أيها اللعين!
ركض ألبرت وهو يحير ساقه بيده ويتكلم بسخرية مجددا:
- كيف تكون نشرة الأخبار وهم يعلنون عن وفاتك يا ألبرت، والجاني مجرد
فأر.

من بعيد لاح طوق النجاة عدة منازل.. هناك ألقى ألبرت نظرة على الفأر
خلفه والمسافة كما هي فقال بصوت عال: فلنقل أنا المتحكم هنا بالمسافات.
ثم همس لنفسه وهو يرى المسافات تتقلص والمنازل تقترب:
- هيا ألبرت هي بضع خطوات ركضا.. وبعدها لنتراح وننجو منه.
انتهت رقعة الحشائش لتبدو المنازل أمام ألبرت فاندفع لأول بيت ليقفز
بداخله، ويغلق الباب جيدا.. أسند ظهره بالباب ثم انزلق بعنف ليجلس
بالأرض.

وهو يستمع لخربشات خارج الباب هتف بسخط: لا يزال ويستريريد قتالاً!

نظر بأرجاء المنزل قبل أن يسير بشوق لباب بواجهة المنزل، ويضغط على الشاشة أمامه وهو يتكلم بمرح: بورك في المنازل المتنقلة. تألقت الشاشة الخضراء أمامه فنطق بشوق وتوسل: - أريد الانتقال الآن للقيادة الآلية والانتقال بالمنزل. ارتفع المنزل إلى الأعلى مما جعل ألبرت يتأرجح معه قبل أن يقف المنزل بثبات على إطارات.

ألبرت بتحدٍ: والآن فلتتجه يسار. اتجهت السيارة ليسار ليشعر بارتطام تحت الإطارات واصطدامه بجسد الفأر يتبعه صراخ القى ألبرت الأمر مرة ثانية للسيارة قائلاً: للأمام والخلف ثانية.

انطلقت السيارة تنفذ الأمر.. ألقى ألبرت نظرة على الفأر وقد سحق تماماً تحت إطارات المنزل.

ألبرت وهو يشعر بالإعياء ينال منه: أريد الوصول لمكان آمن. ثم أغمض عينيه.

قبل أشهر من حضور الأصدقاء في المحمية، هناك قصص تنتظر السرد...

بعيون ذابلة متحجرة دموعها في وجه وسيم مجهد القسمات وأعصاب مشدودة، جلس روجر يترقب شاشة الحاسوب.

بدا القهر والضعف الجائمين عليه متناقضين مع مظهره الرياضي وجسده
الفارع. بيد مرتجفة وعصبية ظاهرة شد شعره الأسود والذي بدأت الشعيرات
البيضاء تغزوه. زفر عميقا متأملا معمله بعيون زائغة أرهاقها السهر. وكأنه صيد
خائر القوى ينتظر أمل النجاة من شباك اليأس والإحباط.

يعود بنظره لحاسوبه البيولوجي بشاشته العملاقة الحائمة فوقه. يرجوها أن
ترأف به وتسرع في إظهار النتيجة التي ينتظرها.
نقل نظره على الوقت يمضي فأحس أن النباتات حوله منحنية القامة متدلية
الأوراق تشاركه همه وانتظاره.

وقعت عينيه الحسيرتين على صورة ابنه ديفيد.
آخر صورة له منذ عام، وكانت هيئته الخارجية تبدو طبيعية. يرفض أن يراه
إلا هكذا أملا أن تعود الأيام ويمتلئ بالصحة.
تعود إليه قسرا ذكرى يوم ميلاد ولده. بخطواته القلقة منتظرا بشرى الطبيب
وما لبث أن تحول القلق لذعر عندما واجهه الطبيب بنظرات الشفقة وكلمات
متحيرة سقطت كحجر هائل تدهس قلبه:

- ولدك مصاب بالإيدز.

بهت لدقيقة وكأنها شلت حواسه وأطرافه.

نسي كل علمه. ونسي الدنيا إثر تلك الطعنة. هاج وماج في المشفى الذي
تسبب في ذلك المرض لولده.

تحمل الطبيب ثورته. وتوارى حتى سيطر عليه أمن المشفى. وعاتبه:

-أين علمك وعقلك؟

وتوالت طعنات الكلمات.

ابنه مولود منذ دقائق.. أيعقل أن يكون المشفى السبب.. هو مصاب بالمرض منذ شهور.. المرض انتقل له من الأم حسب التحاليل التي أجريت لها قبل وبعد الولادة.. تم تأكيد النتائج الآن.

تحطم كامل عالمه.. من أين أتى المرض لزوجته؟ كيف ستحمل المسكينة انهيار حياتها بالمرض وإصابة ابنهما؟

من أين أتى لها المرض؟ مؤكد من فحص الأسنان الدوري الذي تجريه.. سيغلق ذلك المركز الطبي الكبير ويفضحه.. بخطوات ثقيلة مترددة توجه لغرفتها. كأنها لا يريد أن يصل ويواجه زوجته بتلك المصيبة التي أصابتهم. يواسيها عليها تكفكف دمعات قلبه.. يجب أن يتجلد حتى يجتاز تلك المحنة.

انسابت دموعها مع كلماتها تهذي من هول صدمتها أن يسامحها على خيانتها التي جلبت لولدهما المرض الشرس.

خيانة؟

لم يرَ دموعها ولم يسمع من حكيها إلا تلك الكلمة. "خيانة".

تركها غائم العينين والفكر. غير عابئ بالطعن المنهال عليه.. ليتصل بالمحامي.. لمنع زوجته من الاقتراب من ابنه والتسريع في إجراءات الطلاق.

دوامات من الإجراءات.. والتحاليل.. والتجهيزات بالبيت حتى يوفر العناية بالصغير.. أهمل عمله وأبحاثه.. مكرسا جل وقته لصغيره لمتابعة أحدث العلاجات للإيدز.. انتهت ثروته الصغيرة في السفر والاتصالات للملاحقة أي أمل.

تلاشت البهجة من حياته وهو يرى ابنه ينمو والمرض ينمو معه، يفترسه ببطء من الداخل.

طفل جميل كله حيوية لم يتمنَ قط أجمل منه. هو وحده يرى الغول يأكل ولده.. ويموت روجر في اليوم ألف مرة.. يحبي أمل علاج جديد.. ويموت عندما لا يرى استجابة.. يموت مع كل نظرة على ولده تزرع أشواك اليأس بقلبه. كل لحظة تنكأ جراحه التي لا تندمل.. كل نظرة لتلاشي صحة ابنه تذكره بالخيانة.. وانتهاء عالمه الهادئ.

ذهبت زوجته لحالها.. ولكن الجرح منها لا يندمل.. هو مفتوح يتسع باتساع ألمه على ولده.. أن ترى ولدك يغرق في بئر الموت وأنت عاجز عن إنقاذه. تتمنى الموت لترتاح وتبخل به على نفسك بذات الوقت؛ لعلّ تمد لك يد بأمل في آخر لحظة تتشغل به ولدك وتكتب لك حياة بحياته.

ما فائدة العلم؟ ما فائدة العالم كله وهو عاجز عن إنقاذ ابنه وأمثاله من هتك طفولتهم وهتك قلوب الأهل.

ما ذنب طفل أن يتوجع منذ ولادته.. لا يجري ولا يلعب ولا يحيا ولا أمل يلوح في الأفق؟

انتفض من تلك الدوامات.. عندما أخبره الطبيب أن الرعاية بالبيت والعزل الذي يوفره لابنه لم يعودا كافيين بعد تدهور حالته ودخوله للمرحلة الثانية للمرض.

لا بد أن يوضع تحت العناية المشددة بالمشفى كمحاولة لتأجيل وإبعاد شبح المرحلة الثالثة والأخيرة للمرض.

وجد البيت موحشًا بعدما ذهب ابنه وطاقم التمريض.. فانكب على البحث علّ ذلك يلهيه وهو يهيم بعالم المرض والأدوية.

وكأنها الدنيا تعلنه بهدنة صغيرة من حريها معه.. تلقى دعوة من المحمية للانضمام لفريق البحث النباتي بها.. لأن أبحاثه الأخيرة جذبت أنظار المعنيين وتدخل ضمن اتهامات القسم العلمي بالمحمية.. وها قد مضى ثلاثة أعوام. نجح الأطباء في تجميد حالة المرض، ولكن منذ ثلاثة أشهر.. تفجر البركان الصامت بأحشاء ابنه معلنا اقتراب النهاية.

انطلق صوتٌ آليٌّ من الحاسوب مكملًا نكأ الجراح:
-فشلت التجربة.

صاح قهرا.. قاذفا ما أمامه.. ودفن وجهه بين يديه.. باكيا
-آه يا ديفيد.. آه يا بني.. ماذا أفعل لأنقذك.. ماذا أفعل لأخفف من تقدم أعراض المرض لديك.

رفع عينيه متوسلا للشاشة أن تعلن نتيجة أخرى.. لا يعرف رقم التجربة من كثرة ما حاول.. هناك شيء ناقص.. لم يجده في تلك الملفات.. عنصر ناقص.. هناك تعتمد إغفال هذا العنصر.

تحركت يده بسرعة مغلقة الحاسوب إثر سماعه.. تردد أقدام خارج باب معمله.

ما لبث الباب أن انفتح بعد طرقة قصيرة؛ ليطل وجه جون زميله الأعلى منه درجة في قسم علوم النبات.. حاملا بعض الأوراق والملفات.

دخل جون بخطوات مترددة وعلى وجهه ابتسامة محرجة.. وهو يتأمل روجر ورياح القلق واليأس عاصفة بوجهه ومنظره العام.

حاول روجر الهرب من نظرات العتاب:

-مرحبا جون.

- روجر. نحن بحاجة إلى إكمال التحليلات الخاصة بجذور بنبتة (نيكوتيانا بنثاميانا). أنت تعلم أن تلك التحليلات جزء من مشروع كبير. وهو متوقف على النتيجة لديك.. طلبه مني رئيس القسم عدة مرات.. ولقد نفذت أعداري.

قام روجر بتقديم متشوقة وهنة. يمسك يد جون واعداد:

-أعدك للمرة الأخيرة أن أنهي التقرير غدا بعد الظهر.

ظهر الأسف والتفهم على وجه جون وهو يربت على كتف روجر وإن كانت نظراته تحمل اليأس من الوفاء بالوعد كديدن روجر في الآونة الأخيرة.

فما كان من روجر الغارق في خجله إلا أن كرر:

-غدا.. غدا.. سيكون التقرير تاماً.. لن أتأخر مرة أخرى.. أعدك.

في ذلك الوقت بمكان آخر بالمحمية...

قال البروفيسور جاك: كيف حالك يا توماس؟

ترك توماس ما بيده من شتلات زراعية.. خالعا قفاز البستنة بما علق عليه من تراب.. ووضع في عربة صغيرة محملة بالبذور والشتلات وأدوات الزراعة اليدوية.

وقف بقامته الربع معتدلة وكتفيه العريضتين المكتنزين عضلات، وشعره الأسود الحالك الناعم مسرح للخلف مظهرا سمار وجهه الرائق.. ارتسمت ابتسامة غير معتادة على وجهه الصارم دائما محيي البروفيسور جاك.

-كيف حالك أنت يا سيدي؟

هز البروفيسور رأسه متأملا حديقة صغيرة أمامه من غرس وتصميم
توماس. معلقا بسرور:

-أصبحت جنة.. حديقة كأنها غابة إندونيسية صميمة.. ألا تكفيك غابات
المحمية وحدائقها يا توماس؟

تنهد توماس مربتا على جذع إحدى الأشجار:
-أحاول أن أنقل هنا جزءا من بلدنا الحبيب يا سيدي.. الحنين للوطن
ممدود لنا عبر الجينات.

ما أجمل أن ترى الحياة تنبت بين يديك وتزهر.. أحس بالنشوة وأنا أراقب
كل يوم نباتاتي تكبر وتزدهر.. إن قسم البيولوجيا النباتية لا يبخلون عليّ بالبذور
أو الشتلات.

ضحك البروفيسور بصوت خفيض:
- رغم جديتك في عملك، ولكنك صديق الجميع تقريبا هنا. حقا لا
يستطيع أحد أن يكرهك يا توماس.
- فضل من الله.

-ما عدا هربت طبعاً. وابتسم ابتسامة مغيظة لتوماس الذي قطب حاجبيه
فانطلق البروفيسور مقهقهها ثم أكمل:
-كنت قاسيا معه.

-سيدي.. لا تذكرني به.. ما فعله يستحق عقوبة أكثر مما أوقعت عليه.
العبث في الصناديق الخاصة جريمة لا تغتفر لدي لأنها ضد أوامري المعروفة
للجميع.

البروفسور مع ابتسامة: إذن كيف فلت من اختباراتك الأمنية من قبل؟ ألا تزعم أنك خبير بالنفس البشرية. وتزن الرجال بميزان الذهب؟
احتقن وجهه الأسمر.. ونظر بعتاب للبروفيسور.
- فراستي لم ولن تخطئ يا سيدي أبدا.

هربرت رجل أمن قوي وذو عقلية أمنية يعتد به.. وهو رجل نزيه، هذا عدا تاريخه المشرف وشهادات حسن السير والإشادة بأمانته.. حتى الآن أقول هو رجل أمن يعتمد عليه.

ولكن الفضول مرفوض لدي.. انتابه الفضول فحاول من باب الدعابة أو الإحساس بالملل العبث في أحد الصناديق التي تحصك. والتي لا يسمح إلا لي ولك فقط بفتحها.

وأنا عرفت طبعاً.. بمجرد أن شاهدت الصندوق في سيارتك التي كان يحرسها حتى قدومي أن هناك من أمسكه وعبث به.. وعند مراجعة تسجيلات كاميرات المراقبة أظهرت شاشات حركات هربرت وكم كان يبدو ملولاً يروح ويحيي في نوبة حراسته.. وأنه لم يلمس الصندوق إلا أقل من ربع الدقيقة وتركه.
- وكان هذا كافياً لطرده؟

- نعم. الفضول قد يقتل أو يسبب كوارث يا سيدي. كما أنَّ طاعة الأوامر لدي في المقام الأول.. ولن أنتظر حتى يكبر هذا الفضول. ومع ذلك أعطيته شهادة حسنة عندما صرفته حتى لا يتضرر رزقه أو معيشة أولاده.. ولم أعاقبه بأكثر من الطرد.

أوامري بناء على أمرك.. ألا يقترب أحد من تلك الصناديق.. من يخالف الأمر.. ليس له مكان هنا.

ربت البروفيسور علي كتفه مهدئا:

- لا عليك يا توماس.. أحببت أن أشاكسك كما أيام شبابنا الماضية.. أحب
حزلك والتزامك يا توماس.. تعال معي.. لدي بضعة صناديق أتيت بها للتو في
طائرتي الخاصة.

ارتدى توماس قبعته الملائمة لزيه الأمني، وسار بخطى ممشوقة متبعا خطى
البروفيسور النشطة.. دخلا إلى حظيرة الطائرات الخاصة بالبروفيسور وحده.
وتوجها لإحدى الطائرات.

استفسر توماس:

- هل هو صندوق مشترك القفل؟

- صندوق بقفلي الشخصي.. خاص بي وحدي.. وهذا سأضعه في خزانة
معملي الخاص.. هناك صندوقان آخران بقفل مشترك.. عاين المحتويات وعدل
درجات الرطوبة، ونفذ تعليمات الأمان التي ترافقهما، ثم ضعهما في الخزانة
B16، مع مراجعة درجات الحرارة وما يلزم بالخزينة.

- أعرف يا سيدي؛ فأنا أعمل كل شيء بدقة منذ أكثر من عشرة أعوام في
هذه المحمية.

- أعرف يا توماس، ولكن لا بد من أن أنبه لما أريده بالتمام.. هكذا طبعي.
رد توماس:

- نعم أعرف؛ هذا طبعك.. حتى قبل أن تبنى هذه المحمية.

اقتربا من الطائرة، وأخذ منه البروفيسور ثلاثة صغيرة الحجم على هيئة
صندوق مكعب الشكل لا يتجاوز ضلعه عشرين سنتيمتر. مكتوب عليه
(خاص جدا. جاك كونور).

وبعض التعليمات على بطاقة صغيرة معلقة به.. وأوماً لتوماس نحو صندوقين أكبر قليلاً.. حملها.. فالتفت إليه البروفيسور قائلاً:

- سأتوجه لمكتبي. وتركة البروفيسور وهو حاملاً الصندوق، متوجهاً لأحد الأعمدة الفضية في أحد أركان المكان؛ حيث لمسها بكف يده، وانطلق شعاع ماسح يفحص البروفيسور. وسرعان ما تصاعد ما يشبه الضوء الأزرق غلف كامل البروفيسور وانطلق به لتحت الأرض.

استدار توماس.. تاركا حظيرة الطائرات التي انقفل بابها تلقائياً وراءه متوجهاً للخزانات السرية تحت الأرض، والتي لا يحق لأحد غيره هو والبروفيسور فتحها.

أو بالأصح لا يعرف شيفرتها المتغيرة إلا البروفيسور وهو؛ فبالإضافة للشيفرة المتغيرة لا بد من بصمة كامل الكف لعمل تحليل فوري لل DNA وبصمة العين ومسح شامل لكل الجسد قبل أن تفتح الخزانة. قام بجميع الإجراءات الأمنية.. وما إن انفتح الباب حتى دخل بحمولته. ثم انغلق مرة أخرى.

مشى في ممرات مكيفة ومقسمة حسب الأرقام والحروف الأبجدية حتى وصل للخزانة 16B. "خزانة حفظ العينات البشرية". وضع الصندوقين على طاولة جانبية.. ومرر يده على الأزرار في كل صندوق.. متبعا التعليمات المرفقة على كل بطاقة.

ثم وضع كل صندوق في الرف الخاص به بعدما فتح الخزانة العملاقة والتي تحوي العديد من العينات البشرية الشبه حية بفضل مواد خاصة؛ لزوم التجارب التي تجري بالمحمية.

أتم مهمته.. واستعد للرجوع.. متخذاً عكس مساره الأول.. متفحصاً أثناء سيره الخزانات وإعداداتها.

خرج متوجهاً للمباني لعمل تفتيش مفاجئ لأفراد الأمن كما اعتاد في أوقات مفاجئة. حتى يضمن ألا يكون هناك تهاون أو إخلال بالأمن ولو للحظات. قبل أن يشرف على المباني، مر بطريقه العالم روجر. منكسا رأسه بكتفين متهدلين وقامة تعب.. ولم ينتبه إليه.. فصاح توماس ناديا:

-دكتور روجر، كيف حالك.. دكتور روجر.. ألا تسمعي؟

رفع روجر وجهه كأنها صحا من غفوة.. بعينين يحوطهم السواد إرهابا:

-بخير.. بخير. وهم بالذهاب لطريقه، ولكن توماس هتف به:

-انتظر.. ماذا بك؟ ما أخبار ديفيد؟

بعيون ذابلة زائغة رد:

-ليس بخير يا توماس.. ولدي يتألم ويموت.

لم يجد توماس ما يرد به إلا التشجيع قائلا:

-لا تيأس يا رجل.. العلم يتقدم.. وهناك أمل يولد كل يوم.

قال روجر: منذ قليل، حاولت أن أكلمه وأطمئن عليه بالهاتف.. لم يستطع إلا أن يفتح عينيه.. ولم أسمع إلا تأوهات وأناته.. يعجز عن الكلام من فرط الألم.

وانحدرت دموعه؛ فاحتضنه توماس.. وقد تجمدت الدموع في عينيه هو أيضا.. أكمل روجر: حالته تزداد سوءا، وهو ما زال يفقد أغلب وزنه.. كأنه طفل بجسد قزم عجوز أعرج.. لا يقوى على رفع إصبع من أصابعه.. ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟

بعدما هدا روجر قليلا تركه توماس.. وعاد لهيئته المعتادة محافظا على مظهره الجاد.

-هل حادثت البروفيسور جاك؟

تردد روجر للحظة ثم قال:

-عرضت عليه الأمر.. أخبرني أن المحمية غير معنية بهذا مرض.

تغير وجه توماس قليلا إلا أنه سرعان ما عاد لطبيعته.

بينما استمر روجر يحكي:

-أنا أبحث عما يخفف من آلام ابني.. ابني انهار يا توماس، من داخلي وإن

كنت أتماسك لعللي أجد ما ينقذ ولدي أو يخفف من آلامه، ويقلل من تغلب المرض عليه.

لقد سدت كل الطرق في وجهي.

ربت توماس على كتفه مواسيا ومشجعا بجملة يدرك أنها غير ذات نفع هنا.

- لا تفقد الأمل.. أكيد هناك علاج لولدك في مكان ما.. لا تقلق.

تركه روجر وقد بدا أكبر من أعوامه الأربعين بكثير.. ومشى بطريقة كما لو

كان سكيراً يترنح.

اتخذ توماس خطواته نحو الأمن وهو يفكر بروجر يشفق عليه من أحزانه.

يتذكر منذ سنوات بعيدة الوقت.

كانت صور توماس تحتل الصحف والمجلات، بل كانت تطبع على ملابس

الأطفال. وبعض المصانع صممت دمي بصورة توماس، وبعض المطاعم اتخذت

صورته مجسمة على أبوابها دعاية لجذب الأطفال وعائلاتهم للمكان.

كان توماس فتى قويا تحاط به الأضواء، وتلمع دائما الكاميرات ترحيبا به.

كان يلقبونه بهرقل أو توماس القوي وأحيانا تومي المصارع الذي لا يهزم بحلبة المصارعة.

هتاف الجميع لتوماس مساء ومراهنات الجمع على توماس نضيء ليالي لاس فيغاس.

وتلك الليلة الفاصلة والمباراة النهائية التي كتب لتوماس فيها الاعتزال والبعد عن الأضواء؛ فالخصم قد فارق الحياة معطيا لتوماس كل أسباب الهلاك والضياع.

توماس دمع داخله نظرات هلع من جماهير وأطفال، ران صمت كصمت القبور حين خر الخصم بقبضة أخيرة من توماس ليرفع الحكم يده باستجداء طالبا العون.

ولم تغلح جهود الأطباء، لقد فارق الآخر الحياة.. بعدها ترك توماس الأضواء ليغرق في الظلام ووجه الخصم يرافقه.. يتوسل أن يرجع للحياة. كيف يعود توماس بالزمن للوراء ويمنحه الحياة؟ صوت ضميره يؤنبه لقد صرعه وقضى عليه وكان هو سبباً بتقديمه للموت وسلب الحياة منه.

تطارد كاميرات الصحفيين توماس بكل مكان، يكادون يقتحمون منزله مطالبين بتوضيح عن آخر مباراة له وشعوره وهل هو نادم أم لا؟

جار هو فقط هو من أصر على أن يرتبط بصداقة قوية مع توماس بأزمته رغم عدم مصافحتهم لبعض مرة واحدة قبل أزمة توماس، ولكنه لم يمل من طرق بابه ليتشله من تأكل الذات.

بعد عدة أسابيع، استجاب توماس لطرقات روجر ليستمع له أنه يرغب بحديث بسيط معه وهو فقط سؤال "هل كان يعلم أن الخصم تناول منشطات

قوية قبل خوض المباراة؟".

إجابة سؤال توماس كانت سؤالاً آخر:

- هل أنت من أطباء الطب الشرعي؟ أو أحد رجال الشرطة؟

ابتسم روجر ابتسامة هادئة قبل أن يجيب:

أنا دكتور جامعي، ولي أبحاث عديدة عن النبات وما تناوله صديقك قبل المباراة يظهر واضحاً لي بصورته التي نشرتها الصحف وقت الوفاة.. شعيرات دموية كثيفة بجوار العين وخطوط طولية ضعيفة بأنامله.. وحزقيه للعين بها ميل إلى أعلى.

بالحقيقة كل هذا يوضح أنه تناول مزيجاً من أعشاب طبية منشطة قوية.. مع مشروب روحي ومع الحركة واللحم أحدثت خللاً بنظام القلب مما أدى للوفاة. انتبه توماس لحظتها أن جاره لا يزال يقف خارج المنزل فأفسح له الطريق ليمر للدخل.

فتابع روجر: جل اهتماماتي بالنباتات، أبحاثي تؤكد أنها أعشاب.. مزيج من الچنكة الصيني والجوارانا لوجود مادة السلايد وزيد بها.

مما لا شك فيه أن خصمك تناولها بكثرة قبل مباراتكم بلحظات غير مدرك بأضرارها كان يعنيه فقط الفوز من أجل المراهنات التي تجنى من وراء هذا الصراع الدموي.

نظر روجر لتوماس بحذر، ثم قال بأسى:

- إذا سمحت لي.. إنها ليست رياضة، إنها عنف متبادل لا أكثر.

قرأت أن المباراة بينكم استمرت سبع جولات.

هز توماس رأسه موافقا وهو يتذكر لهاث خصمه المتقطع بآخر جولتين ثم انهيare بآخر الأمر.

هنا تساءل روجر: هل تتذكر مدى قوة لكماتك في الأخير؟
توماس وهو يتذكر ذلك اليوم:

- كان خصمًا قويًا.. يقاتل بالحلبة بتحدٍ، لكنني كنت أوفر بطاقتي ولم ألكمه بأقصى قوتي.. بل لم أصل لذلك الحد قريبا حتى.

قال روجر: شكرا جزيلا سيد توماس على ذلك.

تساءل توماس: هل لي بسؤال سيد روجر؟
أوما روجر برأسه فتابع توماس:

- لماذا لم تمل بعد طرقتك أبوابي ولم أستجب؟ لماذا أصررت على مد يد العون رغم عدم معرفتك بي؟

أجابه روجر وهو يبتسم: لأنني أستطيع ولأنني أريد فعل هذا.
تأمله توماس قليلا قبل أن يكلمه بلهجة توسل:

- هل يمكنك أن تسدي لي معروفا سيد روجر؟ سأعقد مؤتمرًا صحفيا أبرئ به ساحتي وأحتاج لوجودك بحكم اختصاصك.

قال روجر بود: على الرحب.. وبعدها هل سوف تعود للأضواء؟

هز توماس رأسه بالنفي واستطرد بحزم: بعدها سأختفي عن الأضواء وعالم المصارعة.

بعد ذاك اليوم صار الجاران صديقين.. قبل روجر دعوة توماس لصيد الأسماك، ووافق توماس على حضور ندوة علمية برفقة روجر.

قبل أن يختفي توماس بشكل مفاجئ دون أن يخبر روجر بمكانه، ثم كانت عودة صداقتهم. حين تم ترشيح روجر من قبل جاك كونور ليكون ضمن فريق المحمية نظرا لكفاءته وانتشار أبحاثه ودقتها بمجال النباتات.

أفاق توماس من ذكرياته على صوت الأزيز المنطلق من إحدى بوابات الأمن الإلكترونية، يسمح له بالعبور بعد ظهور بطاقة تعريفية كاملة له بإحدى زوايا البوابة.

ثم واصل سيره للبوابة الثانية التي يتم بواسطتها السماح للشخص بالمرور من خلال قرحة العين. تلا ذلك مروره بالبوابة الخاصة بتطابق بصمات اليد.

سار بضع دقائق يتفقد البساط الأخضر يراقب بعينه، دوي ضوء أحمر من حصى صغير ممتزج بالحشائش ليطمئن أن أجهزة كاشفة التفجيرات لا أعطال بها.

تابع السير ليتوقف أمام شاب يقف بزاوية قائلا له: اريك، كيف حالك؟

أجابه الشاب بصوت هادئ: كل شيء بخير سيدي.

أشار توماس للشاب على جسده قبل أن يسأله بحزم:

- هل أشعتك الحمراء قادرة على كشف كاميرات حديثة مزروعة هنا دخيلة على نظامنا الأمني؟

اريك وهو يتكلم بثقة: كل شيء بخير سيدي.. أجهزتي لم تلتقط أي كاميرات حديثة مخفاة بالمحمية بواقع مساحتي المقيد بها تحت سيطرتي منذ شهر.

تساءل توماس: ماذا عن الآخرين؟

استمع توماس لصوت إشارات واضحة.. ثوان قليلة قبل أن يجيب اريك بواقع المساحات وترقيمها وتسلسلها.. لم يحدث أو يتم أي اختراقات أمنية ولم يتم زراعة أي كاميرات حسب الإشارات الصادرة منهم.

اقترب توماس من الشاب، ثم مال على أذنه قائلاً: بورك بآل اريك!
ابتسم توماس قبل أن يغمز بعينه لأريك الذي تطلع له ثواني ثم أغمض
نصف عين.

سار توماس بعدها واقترب من حارس آخر فقال: روبرت المشاكس.
مستحيل أن يكتشف أحد أنك آلي، حتى صوتك يحمل انفعالات البشر وهذا ما
أفضله عوضاً عن الصوت المتجمد.

إلا لو كشف عن أضرار صدرك المتعددة لظهرت الخدعة.

ألقي توماس بيده ملوحاً للروبرت الذي رفع يده مقلداً إياه.

واصل توماس تفقده للأمن بالمحمية للماسحات الضوئية الكاشفة
للأشخاص غير مرغوبين بهم؛ فهي مزودة بأسماء وصور وبصمات جميع العاملين
بالمحمية ووظائفهم.

والسماح لهم فقط بالتجول وفي حالة وجود زائرين، يتم إضافة شفرات
خاصة بأسمائهم وتزويد بوابات الأمن بصورهم.
واصل توماس تفقده ليستكشف البوابات الكهربائية التي تصيب المتسللين
بجرحات كهربائية تفقدهم الوعي.

سار فوق الجسر الممتد الذي اتخذ شكل قوس.. تألقت ألوان الطيف مع أول
خطوة لتوماس على الجسر.

همس توماس وهو يتابع الألوان السبعة: مظهرك الجمالي وتدرج ألوانك
إشارة تفيد أن المعامل السرية آمنة.

الكهرباء والمصاعد الأمنية والطاقة ودرجات الحرارة ولا يوجد أي دخلاء.

ما أجمل أن نمزج الألوان مع سبل الأمن؛ فتظهر اللوحة ظاهريا وخلفيا رائعة متكاملة.

راقب توماس الفراشات الخمس اللاتي يحلقن بسواء المحمية قبل أن يتكلم بهدوء:

- حوامات الأمن بسيرها المعتاد.

لوح توماس بيديه لأفراد الأمن الموجودين بالبوابات الأمامية، يراقبون الشاشات التي تظهر أميال شاسعة خالية، تحيط بالمحمية متسائلا، وعيناه تراقب الشاشة.

- كيف هو النطاق خارج المحمية؟

أجاب أحدهم: كل شيء آمن سيدي، لا توجد أي علامات أو إشارات غير طبيعية.

أنهى توماس جولته الأمنية؛ ليتجه داخل مكتب الأمن الرئيسي. ألقى نظرة سريعة على البلورات الخضراء التي يخبره بريقها أن الأمن لأعلى نسبة له. التقط لفافة بيضاء أعلى المكتب ليزيحها عن فطر بني اللون يشبه البطاطس ثم صاح بفرح:

- الكما أنه أفضل ما يصنعه البروفسير بالمحمية. أقدس هذا الفطر!

تذوق قطعة منه مستطيا إياها بتلذذ قبل أن يهتف بحماس:

- من يصدق أن مذاق هذا اللحم الطازج ما هو إلا نيتروجين هيدروجين بليلة مطر مع شرار كهربائي بوقت البرق؟!

أنهى احد الفطر قبل أن يتناول آخر ثم تابع:
 - يا لك من عبقرى يا جاك نجحت بتصنيع المركب الأميني وجعل حركته
 المغناطيسية باستقطاب الأملاح والمعادن الطيبة بالجذب له وجعله مضاهيا
 للطبيعي.

تطلع نحو الفطر: بلا بذور أو جذور أنت ولكنك شهى كمذاق لحم
 الأبقار.

قضم إحدى القطع بشغف، ثم فكر بتواريخ السفر الخاصة بالبروفيسور.
 لقد كثرت بالآونة الأخيرة تضاعفت وكثرت أيام غيابه عن المحمية، أحيانا تمتد
 لأسابيع.. وتعددت الصناديق وتنوعت؛ فالأزهار السامة مثل الأقوطنين
 والداتورة.

تساءل توماس: هل يستخرج البروفسير من النباتات السامة مصلاً واقياً
 من السموم، مثل سم الأفاعي للشفاء منه مع مزج السم بمواد أخرى؟
 أغمض عينيه ثواني ثم تابع:

- وصناديق غاز النيتروجين السائل التي يقوم وحده بتوفير سبل صلاحية
 لهم. هذا يرجح أنه بصدد اكتشاف مهم وكبير أيضاً.

- عشرات الصناديق لا يفك شفرتها سوى البروفيسور.

توماس وهو يفكر مع نفسه: ولكن ماذا لو حدث شيء ومات البروفيسور؟
 هذا الصناديق سينتهي بها المطاف متروكة إلى حد الزوال؛ فهي لن تستجيب
 سوى لبصمة وتحليل الحمض النووي للبروفيسور وسيدفن كل هذا العلم معه.
 تابعت عينيه باهتمام.. شاشة الحاسوب المضيئة أمامه لمس يديه كلمة
 أبحاث مرض نقص المناعة المكتسبة.

أظهرت الشاشة صورة كرات الدم البيضاء بحركة دوران دائرية.. ضغط بأنامله الأزرار أمامه وراقب باهتمام انتشار الكرات البيضاء. ثم ظهرت مساحات زرقاء قائمة تميل للون البنفسجي، تبعها ظهور أجسام بيضاوية.

تداخلت الصورة أمامه وتشابكت بحركات بطيئة، انقسمت مساحات الزرقاء تكاثرت ثم تشعبت. تجمدت حركات كرات الدم البيضاء، والتهمت المساحات الزرقاء الجسم البيضاوي.

ثم كسا الشاشة ضوء أحمر قبل أن تتلاشى صورة الكريات الدم البيضاء وتظهر عبارة: "فشل البحث".

تهالك على المقعد خلف الشاشة وأطلق زفرة حارة قبل أن تدمع عيناه وهمس بصوت مخنوق:

- حتى محاولة التداوي بزرع خلايا مضادة (مضادات تحفيزية لزيادة نشاط كرات الدم البيضاء).

لا إمكانية لنجاحها.

شعر بغصة مرار في حلقه، وإحساس العجز يمتلكه، وكل يوم يتلاشى خيط من أمل داخله بعد تشيئه به.

يقذفه في غياهب الظلام يحاول جاهدا أن يسابق ساعات الزمن ليبحث عن الحل قبل انتهاء الوقت..

فكر بألم: - ليت الزمن يعقد صفقته معي؛ فيقتص من حصتي ويضيفها له.
ليته لا يحرق أوراقه قبل أن أجد إجابة للسؤال، ليته يتوقف لحين نجد الدواء.
تألفت الشاشة الضوئية بالمعمل مصاحبا لصوت إلكتروني بنفس العبارة:
(على السيد روجر التوجه للمبنى الرئيسي اجتماع طارئ مع القيادة).

استمع روجر للعبارة دون أن ينظر الشاشة.
كان يعلم جيدا لأي غرض الاجتماع الطارئ.. التقط جهازًا صغيرًا يشبه
القلم، ثم اتخذ خطواته بضعف للمبنى الرئيسي ثم سار بالمر الطويل ليقف أمام
المكتب الرئيسي للبروفيسور.

منكس الرأس بحزن، ينتظر اتباع إجراءات الأمن.. ثوان وظهرت بصمة
روجر وصورته الشخصية على باب المكتب الدائري الزجاجي المصقول المعتم
خارجيا.

بينما ظهرت صورة كاملة لروجر أمام البروفيسور بداخل الغرفة وكأنه يقف
أمام مرآة بعدها.. انطلق ضوء أخضر عدة مرات ثم تم فتح الباب.
ليعبر روجر داخل المكتب.. أشار له البروفيسور بإبهامه للجلوس على
المقعد المقابل المكتب الذي اتخذ شكل زهرة وضع على وريقاتها بعض
الأسطوانات المضغوطة وكتبًا إلكترونية لمجموعة أبحاث وتقارير، بينما تألف
قلب الوردة بعدة أزهار متعددة الألوان.

تكلم البروفيسور بلهجة خافتة نوعا ما: كيف حالك روجر؟
تمتم روجر بصوت منهزم خفيض: ليس جيدًا، بل بعيدًا عن أن يكون جيدًا.
تجاهل البروفيسور الكلمات، بدا وكأنه لم يستمع لإجابته، ثم حرك إبهام يده
فظهر غبار ضوئي بمواجهتهم.

مثل حبات زجاج متناثرة ما لبثت أن تماسكت لتكون شاشة حمراء معلقة بالهواء كتب بمتصفها اسم روجر وصورته.

ثم أظهرت الشاشة كلمة اختراقات وتجاوزات ليظهر بعدها قائمة متسلسلة بعدد من الأخطاء.. بدأ البروفسير بقراءتها بصوت عال:

1/ الاستخدام الغير قانوني لهويته.

2/ الذهاب إلى عدة أماكن غير مرخص له الدخول بها.

3/ الولوج لنظم معلومات سرية والاطلاع على ملفات لا تخصه ولا تخص عمله.

4/ استخدام أدوات المهيئة للتجارب والأبحاث لإجراء تجارب خارج خطط المحمية.

5/ التأخير الطويل بتنفيذ المهام المسندة إليه.

أنهى البروفيسور القراءة ثم أشار بيديه فتلاشت الشاشة.. تابع البروفيسور بشيء من الأسف:

- يأتي هذا كله دفعة واحدة بعد التزام يشهد له الجميع من اكتشافات خدمية وتميز بأبحاث ناجحة وإثبات نظريات ظن العلماء أنها ضرب من الخيال. النقيضان أتوا من شخص نال أوسمة من عدة دول.. نقيضان الأفعال أتوا من شخص واحد.

ألقي نظر على روجر الذي لم تبد ملامحه أي اهتمام أو شعور بالخزي.. كان مرض ابنه فقط ما يطغى على تفكيره.. هتف روجر باستياء:

أعذر منك جدًا بروفيسور.. كيف تتوقع مني العمل بكفاءة، وابني يموت أمامي. قال توماس: أعلم أنك أردت منحي إجازة أكثر، ولكن ما الفائدة إذا

كنت تريد إعفائي من العمل بالمحمية، والاستغناء عن خدماتي؛ فليس لدي ما أقول.

- سأقدم الصغير للموت وأتجاهل أله؛ فأتركه ينازع الألم وحده. لا أحد يهتم كيف أحارب وحدي بمعركة غير متكافئة الأطراف.
- أكافح عاريا أنياب الموت لعل أفلح بانقاذ طفلي.
استمع البروفيسور جاك لروجر فيما يقوله ثم أجابه:
- سيد روجر، لا تتوقع مني أن أفهم موقفك وما تمر به.
البروفيسور وهو يلقي نظرة ثاقبة على وجه روجر النحيل الشاحب وعينه الغائرتين ثم تابع:

لأني لا أملك أولادًا، ولكنني متأكد أنه شعور مريع.
أشار بيديه لمجموعة أسطوانات إلكترونية أعلى مكتبه فقال له:
- انظر لتلك الملفات؛ إنها تقارير وضعها زملاؤك، وجدوا حرجًا بإبلاغي مباشرة بأنك الخل بتعطيل سير مجموعة الأبحاث.
الأمر هنا أشبه بالماكينة، بها مئات التروس الصغيرة، وجب على التروس أن تتابع حركاتها لدفع الحركة للأمام. وإذا توقف ترس عجز الآخر عن إكمال خط السير.
اتجه البروفيسور بخطواته ليقف خلف النافذة يطالع المحمية باهتمام ثم تساءل:

- هل تعلم أي ضرر سيحدث للمشروع، لو أن شخصين فقط اتبعوا نهجك؟
هز البروفيسور رأسه بعمق ثم تابع:
- كم من الأموال ستهدر؟ ومن الوقت سنخسر؟ كم ضرر للمشروع؟

استدار لينظر له ثم قال: مثل هذه التصرفات بإمكانها أن تهدد كل ما نحاول فعله كل الناس الذين نحاول أن ننقذهم سيكون مصيرهم الضياع.

وأردف البروفيسور بهدوء:

- نظرا لظروفك الخاصة سأعتبر ما حدث لم يحدث، وأتوقع منك كما اعتدنا المثابرة، والعودة لأبحاثك وأفكارك الفذة لخدمة البشرية.

جلس البروفيسور بهدوء على مقعده والتقط أحد الملفات، ثم تكلم بوضوح ليخبر روجر بحزم بانتهاء الاجتماع.

والآن هل لديك أي أسئلة قبل أن تنصرف سيد روجر؟

أخرج روجر الجهاز الضوئي من جيبه الخاص بابنه هاتفا باستسلام:
توماس، لدي سؤال قبل أن أرحل.

- أعلم أن هناك آلاف الرسائل التي تصلنا لنا عبر بريد المحمية الممغنط مئة رسالة أو أكثر يوميا يتوصلون لنا، بل منهم من يلحون بالطلب ولم يفقدوا الأمل بعد منا.

بعضها رسائل من أشخاص ليل نهار ما زال الأمل يداعب خيالهم..
يطلبون البحث عن علاج يطلبون العون أن ننجدهم من مرض نقص المناعة المكتسبة.

يستجدون بنا أن نقف معهم بحربهم مع الإيدز.. أنا هنا منذ ثماني سنوات ولم نحاول لمرة واحدة أن نجرى شيئاً بخصوص هذا الأمر لم نحاول الخوض في هذا.. لماذا؟

نظر روجر للبروفيسور بتوسل وحزن، وتساءل مرة ثانية بإصرار: لماذا؟

ألقي البروفيسور نظرة على الجهاز ثم أجابه:

- هناك دائما بالعالم السيئ.. نعم، أتفق معك، ولكن يجب أن تعترف بهذا؛ هناك الأسوأ والأسوأ، ونحن لا يمكننا أن نحل مشاكل العالم كلها، لا طبعاً، هذا مستحيل لسنا خارقين بل، بإمكاننا أن نركز على الأسوأ لنمنع حدوثه أو نقلل منه قدر المستطاع.

تكلم روجر باستنكار وصورة الطفل الصغير الشاحب الممتقع بصفرة المرض الراقد بفراش متصل بعدد من الأسلاك والأجهزة بعقله، ولكنه الإيدز.
- إنه الأقدم والأكثر انتشار في العالم.. إنه الأسوأ.

أسند البروفيسور ظهره بالمقعد الخاص به قبل أن يجيب بالنفي: كلا، ليس هو الأسوأ.

ضغط أحد أزرار المكتب أمامه فأضاءت شاشة على الجدار؛ فظهرت حقول ترتفع أعلاها حوامات مبيدات حشرية، ثم ظهرت صورة أخرى لحدائق فاكهة يقومون بنثر سوائل حمراء أعلاها.

ثم ظهرت على الشاشة تقارير مختلفة بأعداد الوفيات من شتى بقاع الأرض تابع البروفيسور بثقة.

- الأسوأ أن تجد نفسك مصاباً بأشخاص تملكهم الجشع، تغلب عليهم الطمع، يضعون النفايات بالطعام، يمزجون الموت مع وقود الحياة.

كل يوم هناك من يتحكم بمصير الناس هناك من يعطيهم الموت بلا اختيار منهم، بل هو قراره فقط يحقن السم بأجسادهم بحماية من السلطات تحت ظل الوقاية. لفرض سيطرتهم وزيادة ثرواتهم الفاسدة تتم جرائمهم وهم يوقنون أن لا رادع لهم ولا عقاب ينتظرهم؛ فنفذوا جرائمهم، وهم مطمئنون.

ضغط زرًا آخر ليظهر تقارير بتوقيت زمني من منظمة الصحة العالمية مظهرها

نسب وفاة الطعام الملوث حول العالم ثم صاح بسخط:
 - معدل النسب يقفز بين دقيقة وأخرى بشكل جنوني خيف.
 أما الايدز سيد روجر، من البدء لم يتدخل أحد حقاً لصنعه؛ هو موجود من
 تكوين الطبيعة، أغلب الأمر هو قرار الشخص نفسه وأفعالهم.
 الفرق هنا شاسع ما نعمل عليه ما نحاربه يحدث للناس غير طوعي بل هم
 مرغمون عليه ولا حيلة لهم به.

هتف روجر بأسى: ابني لم يَحْتَرِ هذا!
 نظر البروفسير بوجه روجر ثواني قبل أن يتابع.
 - سيد روجر ساعني على فظاظتي، هناك من اتخذ القرار بدلا عنه.
 اتخذ روجر خطواته للانصراف، التقط البروفسير الجهاز وضغط على زر
 جانبية فظهرت بالهواء الأشعة الخاصة بالطفل.

في العودة إلى الحاضر إلى بقعة فيكتور بالتحديد.
 سار فيكتور بضع خطوات بين الأشجار يتبعه كعبول.. يحاول أن يجد
 طريقا للخروج.

يرتب أفكاره ويصفي ذهنه، بدا المكان أشبه بعالم مغلق عليه.. مدينة
 متكاملة من مبانٍ.. تكنولوجيا متطورة بكل شيء.. معامل.. مختبرات.. غابات..
 أبحاث بشتى المجالات تتحدث عن نفسها، ولكنها صامتة مهجورة.
 توقفت خطواته أعلى الشاشة المعلقة التي أظهرت بوضوح مجموعة كبيرة
 من الأسماك الصغيرة يتفافزون داخل شباك بالبوصله مخصصة لتحديد تجمعات
 الأسماك.

تعطي إشارات، وتحدد موقعهم وعمقها وأعدادهم لتسهيل عملية الصيد التي لا تستغرق وقتاً، وتمتلئ السفن وسط صيحات إعجاب وفوز من الصيادين. تلا ذلك تحذيرات من الحكومة أن هذه الظاهرة تؤثر بشكل كبير في انخفاض للثروة السمكية وإنذارات عميقة يتبعها تحديد عقوبات.

تأمل فيكتور الإعلان ثم تتم بضيق:

- ولكن بعض الصيادين لا يعينهم إلا الثروات من وراء التجارة ولا يأبهون أن ذلك قد يقضي أيضاً على أنواع نادرة من الأسماك.

أو يحدث خللاً بمنظومة طعام كاملة تبقى دائماً العقوبات المفروضة تقابلها التجاوزات لتترك السؤال بلا إجابة من المسؤول عن كل هذه السلبيات.

من المستول عن إهدار الثروات التي تؤمن بقاء أجيال آمنة من الجوع أين هي الحلقة المفقودة؟

- هل هي أخطاء من السلطة التنفيذية؟ أم هي أساليب المراوغة من الصيادين تجعلهم يفلتون من العقاب؟

وضعت القواعد صحيحة لبناء منظومة متكاملة.. تحتاج دائماً المبادئ سليمة لضمان متيقظة لتنفيذها.

أطرق صامتاً لحظات لينظر لبعض الثمار التفاح غير ناضجة المتناثرة على الأرض نظر للدعوة التي بيده باهتمام:

ثم اقترب قليلاً من الشجرة المتكاثرة الغصون التي يحيط بها جدار دائري من السيراميك الزاهي الألوان.

انحنى ليلقط ثمرة تفاح ضئيلة الحجم.. قفز كعبول عدة قفزات اقترب قليل من فيكتور ثم ابتعد ودار حول نفسه وألصق قوائمه بالأرض.

نبتش بقوائمه الأمامية عدة مرات مخلفا هيلًا من التراب وزوبعة غبار.. يراقبه فيكتور بدهشة ثم صاح: كعبول ماذا تفعل هناك؟ استمر كعبول بالحفر بالتراب مما جعل فيكتور يسأل: صوفيا، هل لديك إجابة.. ما السبب وراء تصرفات كعبول؟".

استمع فيكتور للعدسة وهي تجيب:
- هناكذبذباتمنخفضةتجذبهأنه قادر على سماعها.
انحنى فيكتور بجوار كعبول ووضع يده بالأرض.. أراح بعض من التراب شعر بتدفقات هواء تلمس ذراعه لتظهر فتحة صغيرة الحجم للتهوية.. نهض فيكتور واقفا يتأمل الحفرة الصغيرة ثم قال بصوت منخفض:
- هل هذه فتحة تهوية؟ ما الذي تفعله هنا؟
نهض واقفا قبل أن يندفع كعبول مسرعا ليختفي داخل الحفرة.
شعر فيكتور بالارتباك والدهشة جراء قفزة كعبول المفاجئة في لحظة من الزمن.

مد يده محاولا أن يلتقطه، ولكن تباعدت المسافة لأنه ذهب عميقا.
صاح فيكتور بصوت عال يشوبه القلق: فيكتور، عد هنا!
مضت بضعة ثوان وفيكتور يراقب الفتحة الصغيرة باهتمام قبل أن يتذكر جهاز التتبع المثبت بظهر كعبول لسهولة العثور عليه في حالة الفقد.
بصوت أمر يشوبه الضيق نطق فيكتور للعدسة:
صوفيا هل يمكنك التقاط ذبذبات الجهاز المثبت بظهر كعبول وتتبع مكانه؟
أضاءت الشاشة أمام عين فيكتور ليظهر بوضوح مكان كعبول وهو يندفع بسرعه داخل النفق المظلم.

يتبع الذبذبات وانساب الصوت الإلكتروني: القط باتجاه الشمال على مسافة 30 متر.

راقب فيكتور كعبول وهو يجري مسرعا بالنفق المظلم، ثم همس ليث لذاته شعور بالاطمئنان: كثرة الخلايا العضوية بشبكة العين تتيح له الرؤية بوضوح بالظلام.

ثم تساءل بدهشة: ولكن إلى أين يتجه وما هو هدفه؟
أما الحياة أو الموقف من وجهة نظر كعبول فهي كانت حسنا.
التقطت أذناي تلك الذبذبة.. اسمعها بوضوح... يتردد صداها بداخلي فتبدو مثل الضوء الليزر البراق الذي يلهو به صديقي فيكتور معي.
تصاحبها رائحة شهية تتسلل لأنفي فتثير الجوع داخلي وحدها قادرة على إيقاظ شهيتي.

إنها رائحة أسماك أستطيع أن أحدد صوت الذبذبات يأتي بوضوح من أسفل الشجرة.. لا ريب أنها هنا تبدو الرائحة نفاذة قوية.
إنها أسفل الشجرة، سأزيح بعض التراب لأفوز بها عبث بـ قوائي الأمامية. أزحت قدرًا من التراب.. شعرت بهواء يهز شعري الأسود والرائحة تراقص.

تجتاح أنفي صوت صديقي يردد اسمي ويبدو مستاء أو مندهشًا مما أفعل.
انحنى فوقني يراقب باهتمام. مد يديه يتحسس الأرض شعرت بدفقات هواء متتالية قوية.. يلامس شعري.

ثم رأيت بوضوح فجوة صغيرة وصارت الذبذبات كقرع الطبول ورائحة كشواء لحم تداعب أنفي.

انزلقت مع الفجوة الصغيرة.. ركضت مسرعا والأضواء تلمع بآخر
 الفجوة. بوضوح رغم الظلام تلتقط أذناي الصوت الذبذبات تبدو قوية الآن.
 بدأت قريباً جداً.. لمست قوائمى أرض ملساء ناعمة تبدو كقعة قطن رأيت
 وجهي بوضوح بالأرض والذبذبات تضج هناك.

إنها تنبعث من جسم ساكن رابض بالأرض بين قوائم معدنية فضية اللون
 شاهقة الارتفاع، مثبتة بالأرض.. كل شيء يبدو هنا ضخماً ومرتفعاً.
 أنثيت جسدي لأعبر للجهة الأخرى الآن استطيع القفز نحو الرائحة التي
 تأتي من علو.

تبدو طازجة.. قفزت إلى الأعلى، ولكن قفزتي كانت ضئيلة أعادتني
 للأرض مرة ثانية.

أحتاج لوثبة أعلى.. سأفوز بالوجهة أكيد.. هي فقط وثبة أخرى أعلى قليلاً
 من الأخرى. يبدو الأمر كالكرة الأرجوانية التي التقطها دائماً من يد فيكتور.
 أفوز بها بعد محاولتين.. قفزت حتى ارتفع إلى الأعلى، ولمست بمخاليبي
 زاوية المقعد.

لا، لن أفلت أو أعود، هذه المرة، مددت قوائمى الأمامية، تشبثت بالقائم
 المعدني وأزحت جسدي لاستقر بقوة بمنتصف المقعد.. التقطت أذناي صوتاً
 بسيطاً.

قبل أن يرتفع طبق، وتستقر السمكة أمامي، لعقتها بلساني مرتين، وقضمت
 جزءاً بتلذذ.

التقطت أذني اسمي يتردد بإصرار.. إنه فيكتور صديقي!

صاح فيكتور عدة مرات ليجذب انتباه كعبول المستغرق بتناول السمك: كعبول.

توقف كعبول عن الأكل.. رفع أذنيه ثم أدار رأسه باتجاه الصوت، ثم قفز ليقف وراء الجدار، أطلق مواء عدة مرات.

صاح فيكتور وهو يحدث نفسه: كيف أستطيع الوصول إليه؟
تلقت العدسة السؤال ثم أجابت: هناك لوحة معدنية بمنتصف الحائط تحتوي على عدة أزرار.. على الأرجح هي بوابة الدخول.
ثم أضاءت العدسة ضوءاً أخضر لتحديد المكان.

طرق فيكتور المكان عدة مرات وهو ينادي باسم كعبول.. فقفز الأخير ليستقر فوق اللوحة، ويمشي على الأزرار ضغط بقائمه الأمامي، ثم عاد يضغط بقوة بقوائمه الاثنتين.

على الزر الأزرق ليفتح الباب لمح كعبول فيكتور قفز ليستقر على كتفه.
فيكتور: أنت مغامر متهور يا كعبول لقد كنت قلقاً عليك.
وضع فيكتور يده برفق يلمس ظهر كعبول ثم تابع: ولكن ذكائك طوق
نجاة لتفتح الأبواب المغلقة.

سار فيكتور بضع خطوات بحذر، ينظر للمختبر الذي احتوى على شاشات
طيفية معلقة بالهواء وحواشيب ضخمة.

ومناضد زجاجية يعلوها مجاهر إلكترونية، وقوارير وعبوات زجاجية كبيرة
وأنايبب مختلفة الحجم للخلط.

سار فيكتور بضع خطوات للأمام ليجد أربع غرف كل غرفتين متواجهتين
متوازيتين.

قفز كعبول ليعود ثانية إلى المقعد والتهام التونة.
لمح ضوء أحمر بالمكان ثم أغلق الباب من جديد.
اتجه فيكتور بخطوات حذرة لنهاية المختبر. توقف أمام عدد من الأبواب
المغلقة على الجانبين أدار مقبض إحدى الغرف. الغرفة بها مكتبتين متقابلتين
وشاشة دائرية الطيفية المعلقة وحاسوب كبير مثبت بالجدار.

بث الشاشة صور لأشجار Cinnabari Dracaena

ثم أظهرت الشاشة المعامل الطبية التابعة للمحمية، وطرق تصنيع الدواء
ومراحله المتعددة. وتطويرة لتعديل الجرعات بتقليل عدد الأقراص مع زيادة
فعالية الدواء دون آثار جانبية.
فيكتور وهو يتأمل ما حوله:

إنها عدد من مراحل تصنيع عقار لمرض العلاج. (مضاد التلوث) Anti-
pollution

ترأصت على المكاتب تقارير؛ بعضها أسبوعية، وأخرى شهرية بتطوير
العقار، ومؤشرات نسب الشفاء.

وتحديد عدد من الولايات تم تحديدها كأماكن آمنة صحيا من المرض بعد
تصنيفها من قبل كأعلى نسب بها هذا المرض.

نظر فيكتور باهتمام لأحد الألواح الإلكترونية: خطة العقاقير الطبية خلال
شهر بالمحمية.

الرجاء إخضاع وتذليل جميع المواد الطبية لإنتاج العقار بواقع طرح سبعة
الآف عبوة.. الجرعة الواقية شريط به خمسة أقراص فقط سعر الخمسة أقراص
عشرة من العملة الموحدة.

تتم فيكتور بهدوء:

- يبقى الطب منذ بدء الخليقة وهو رسالة عطاء رغم سعي الكثير لدجه بمنظمات تجارية شعارها الريح الوفير دون التماس شفقة.

يظل هناك بعض الأشخاص وإن كانوا أفرادًا مقارنة بجماعات كبيرة بين كل حين تتجلى معهم رسالة الطب. الإنسانية بأنقى وأجمل صورة. أعاد فيكتور اللوحة الإلكترونية لموضعها قبل أن يلمح تقرير مزيل بأحد أطباء وزارة الصحة العالمية يفيد:

يشيد بمدى أمن الدواء وخلوه من مادة الداويوكسين المسرطنة.. وعدم وجود أي مخاطر جانبية على البشر.

وجد فيكتور مجموعة من الرسائل مؤرخة بتواريخ يومية وتوقيت زمني بقلم البروفسير إلى أكبر جمعيات حقوق الحيوان، وبعضها يعتبر الممثل الرسمي للحكومة الأمريكية لحقوق الحيوان.

"انتهيت اليوم من صنع عقار الطبي بعد أبحاث استمرت لعدة أشهر تحتم خلالها إجراء بعض التجارب على الحيوانات لوضوح النتائج.. وتجنب الآثار الجانبية وسليبيات العقار وتلافي المساس بالإنسان.

قبل أن يتم طرحه وتداوله للبشر، استعنت مضطرا ببعض الحيوانات؛ أدى ذلك بكل أسف إلى وفاتهم ونأمل أن نجد حل بالقرب العاجل لتفادي هذه الأزمة".

جاك كونور.

تأمل فيكتور مجموعة الخطابات المرسلة عقب كل عقار طبي.. بنهاية كل رسالة، قد أرفقت بشيك به آلاف من العملة الموحدة. دعما للمنظمة.

هذه اللحظات عبر كعبول الغرفة ليدور بحركة متناقلة حول فيكتور.
فضحك فيكتور: لقد أنهى المتهور وجبته.

هز كعبول ذيله ثم مد قائمه على قدم فيكتور فأشار له فيكتور بإبهامه قائلاً:
هيا لنكمل رحلتنا.

أدار مقبض الغرفة الثانية التي احتوت على شاشتين دائرتين معلقتان بالهواء.
بمواجهة أحدهم الأخرى يتوسط الغرفة مكتب رخامي وبزوايا الغرفة منضدة
رخامية وضع أعلاها عبوات زجاجية بها عينات من تربات مختلفة.

تمالت كل اثنتين معا إحدهما تحمل عبارة قبل الثقب الأول والأخرى تحمل
عبارة بعد إطلاق ستار الأكسجين.

تابع فيكتور الشاشات باهتمام: أحدهم تعرض الغلاف الجوي وطبقة
الأوزون.

مع وجود تقرير بإحدى زوايا الشاشة تقرير موثق بتطورات الأمر.
بينما عرضت الشاشة الأخرى محاولة إنقاذ ثقب الأوزون الأولى بقيام العلماء
في الماضي بإطلاق حملات الحزام الأخضر بكل مكان لامتصاص ثاني أكسيد
الكربون وانتشار الأكسجين.

وتحذير المنظمات من استخدام مركبات الكلوروفلوروكربونات والبرومو
فلورو كربونات.

أدى هذا إلى تقليل نسبة الثقب وتدارك الأمر، ولكن الأوضاع زادت سوءاً
بظهور سحب ضبابية امتدت لأسابيع بمدن صناعية حجبت عنها أشعة الشمس
مما تسبب بأمراض لساكني تلك المناطق بأمراض جلدية خطيرة.

وأمرض بالعين؛ مما أدى لنزوحهم هرباً من الكارثة. قام بعدها علماء من المحمية بعمل تطوعي.. تم تسخير جهود العلمية والمادية لتدارك الأزمة الثانية. بإطلاق نوع من أنواع الأكسجين الثقيل.. كغلاف وستار بمقدار حجم الثقب الأوزوني فوق القارة القطبية الجنوبية.

ليمتص الأشعة البنفسجية. بحماية الأرض من الأشعة فوق البنفسجية تم إطلاق الغلاف باليوم الدولي للحفاظ على طبقة الأوزون ١٦ سبتمبر لحماية الأرض من الكارثة بعد أن وصل حجم الفجوة الثانية ضعفين القارة القطبية الجنوبية اننا ركتيكا 35 مليون كيلو متر مربع.

ظل الوضع آمناً لسنوات.. وتم استقرار المناخ والنظام الصحي، وحماية الأرض من الأجزاء الضارة من أشعة الشمس والأشعة فوق البنفسجية. كان الغلاف الواقى هو ستار وحماية للبشر من أمراض الأجهزة التنفسية والعصبية وحفاظاً على التربة والثروات الغذائية للبشر.

ثم ظهرت على الشاشة صور لتفاعلات نووية.. وتفاعلات مركبات الكلوروفلوروكربونات والبرومو فلورو كربون وقطع وحرقت جائر لغابات كاملة.

مما أدى إلى تمزق الغلاف الجديد وعدم اتحاد الأكسجين الثقيل. ثم عرضت الشاشة نسب الهيدروجين وكبريتيد الهيدروجين مرتفعة بالجو جراء التفاعلات النووية.

أوضحت الشاشات علامات تحذيرية قبل أن تظهر سحب طفيفة من غاز الميثان والإيثان بالجو.

تكلم فيكتور بسخط: الوضع الآن مأساوي حقًا؛ فنسب الغازات السامة ظهرت بالجو، ونحن بانتظار كارثة بشرية.

التقط فيكتور ورقة أعلى المكتب بتوقيع غرامة على المحمية والقائمين عليها لتعديها على أعمال تخص هيئة البيئة الدولية، وقيامهم بإطلاق ستارة من غازات الجلو دون إخطار وزارة البيئة مسبقاً. ودون وجود أي مسئول تابع لوزارة البيئة الدولية أو مراجعة استشارية من هيئة البيئة لضمان سلامة الأمر.

أعاد فيكتور القراءة مرة أخرى، ثم نظر لشعار البيئة الدولية أعلاه. ألقى فيكتور نظرة على الشاشة التي تبث وضع مباشر لثقب الأوزون وقد أظهرت عمق الثقب المرة الثانية.. تكلم فيكتور بخفوت:

- ببعض الأحيان قد نتجاهل كلمة الشكر لأشخاص والأمر أصبح عادياً، ولكن يكون الأمر كارثياً أن نوجه لهم عبارات لوم ونقد بدلاً من الشكر. فيكتور وهو يفكر مع نفسه بعد كل ما تعلمه في وقت قصير نسبياً. المحمية مثل المنظمة؛ تشكل هيئة صامدة للحفاظ على حقوق البشر بالحياة، بل هي تتولى مسؤولية إبقاء ركائز الحياة آمنة ومتوفرة لأجيال. تشكل درع أمان وسفينة تسير رغم تلاطم الأمواج.

ينظر للشاشة قبل أن يقرر أن يكمل استكشاف باقي الغرف. بدت الغرفة الثالثة كأرشيف بها تحتويه بوثائق فيلمية مسجلة بملفات إلكترونية. وضعت بدولاب زجاجي كوثيقة أولى. يوازيها بالحاسوب نفس الملفات موثقة. بينما احتوت الثلاثة مكاتب بالغرفة على عدة أدراج بداخلها وضعت كتب إلكترونية وبضع أوراق أفادت بسداد غرامات وتسديد ضرائب

مستحقة سنوية.

وأخرى نسب ضرائب مضاعفة لسنوات ماضية وبراءة من بعض المحاكم عن خلو المحمية من المواد المشعة.

وأخرى براءة معتمدة من منظمة الفاو بعدم وجود بعض المواد المسرطنة بالمواد الغذائية وصلاحية الموارد الغذائية التابعة للمحمية للاستهلاك الآدمي دون أي ضرر.

بعضها، تولى الدفاع عن الاتهامات الموجهة للمحمية محامين تابعين للمحمية وآخرين متطوعين من مختلف الجنسيات.. مؤمنين ومتضامنين.. مع علماء المحمية وأوراق أخرى مالية عن تبرعات من أثرياء مختلفين الجنسيات لمشاريع المحمية المختلفة.

دلف كعبول يتقدم فيكتور بالغرفة الأخيرة.. جلس فيكتور خلف المكتب الوحيد بالغرفة يتابع الشاشة المعلقة.

تألفت الشاشة الطيفية المعلقة بإعلانات من منظمة (معا) تبث فيه.. مجموعة من المدارس وقد تم بناء بعض الفصول الجديدة لمجموعة من المدارس بالإضافة لإنشاء مكتبة متكاملة.

مزودة بمراجع علمية متنوعة لخدمة الطلبة بأبحاثهم العلمية طوال أيام العام. شكر وتقدير لكل الأصوات التي تفضلت بالتصويت للحكومة المركزية لزيادة ميزانية لها بداخل الولاية للمساهمة في تطوير المدارس.

ثم تم بث نسب تصويت لأماكن متفرقة بمؤشر يرتفع يوميا بالزيادة؛ مما جعل فيكتور يتكلم بفرح:

- مضت سنوات وسنوات ولا أحد يهتم بتطوير المدارس أو تطوير

المكتبات. كل يوم تستجدي المنظمات الأشخاص أن يعطوا صوته فقط
 لنهوض بعجلة العلم ولكن الأمر أشبه بالتسول من بخلاء.
 الفكر لا يجدي ولا يضمن من جوع، سلبية الأشخاص، تهاونهم،
 وتقاعسهم عن دعم أي منظمة للعلم أو التأهيل أمر مؤسف خاصة وأن الأمر لا
 يكلف أموالاً طائلة.
 فالأمر هو ضغط زرع بعد الولوج لأحد المواقع الإلكترونية للدعم والمشاركة
 والتطوير.

حقاً هذا مؤشر مبشر بالتغيير ويعطى بعض من الأمل.
 قفز كعبول على مجموعة من الأوراق المكدسة أعلى المكتب فتبعثرت بعض
 الأوراق هتف فيكتور بلهجة تحذيرية ونبرة توبيخ: كعبول. كن هادئاً!
 هز كعبول ذيلة ثم قفز ليجلس بين قدمي فيكتور، والتقط فيكتور الأوراق
 ليعيد ترتيبها.

إنها أوراق مرسله للمحمية مرفق بها بيان يوضح التصويت لمنظمات تطوير
 المدارس. وطلب العقار والجرعة الطبية للشفاء من مرض **Dracaena**
Cinnabari.

جميع الأوراق تنتهي بعلامة الموافقات بإرسال العقاقير مجانية.
 ألقى فيكتور نظرة على الشاشة المعلقة. ليشاهد تاريخ ارتفاع مؤشر
 الاستجابة يتزامن مع إعلان البروفيسور لأحقية من يصوت لصالح أي منظمة
 بتطوير المدارس. بمجانبة العقار الطبي واستحقاقه لجرعة الشفاء كاملة دون أي
 تكلفة.

ارتسمت ابتسامة على وجه فيكتور وهو يقول:
 - إنه البروفسير.. لقد قايس الأشخاص على شفائهم بإعطائهم منحا
 أخرى.. مقايضة ربح بها من أعطى صوته، أخذ الصحة والعلم معا، وأعطى
 صوتاً ينير عتمة آخرين وعتمته أيضاً.

قبل وصول فيكتور وأصدقائه للمحمية بيومين.
 رفع روجر عينيه من المجهر، ثم وضع قطرات من الدم على جزء زجاجي
 متصل بالحاسوب؛ فأضاءت الشاشة أمامه بعلامة بحث، تلا ذلك ظهور بعض
 الصور أمامه ثم ظهرت كلمة ما.

لم يتم التعرفها، مجهولة.. تساءل روجر: ترى ما سر هذه المادة؟
 بهذة اللحظة فتح الباب وصاح توماس وهو يضع الكما أمام روجر:
 - لقد أحضرت لك قطعة منه؛ لا شك أنك جائع، مضت ساعات الليل
 وأنت لم تخرج من المعمل.

قال روجر وهو يبعد نظره عن المجهر: لقد استغرقت بالبحث فلم انتبه
 للساعات.

ألقي توماس نظرة على المجهر قبل أن يتساءل: هل الأمر محير لهذه الدرجة؟
 أوما روجر برأسه موافقا قبل أن يتابع بحيرة:
 - إنها عينات من دم ديفيد، أرغب بالوصول للمادة العجيبة، التي شفي بها
 ديفيد.. لا أستطيع الوصول لها.

شاشة الحاسوب الذي يقوم بتحليل أصل المواد وفحصها وتحليلها لا
 يتعرفها؛ تعطي دائما إشارات سلبية.

قال توماس باهتمام: هل بحثت بسجلات المحمية؟

أجاب روجر وهو يشعر بالأسى:
 - حتى للموسوعة العلوم الإحيائية بالمحمية لا يوجد بها أي إفادة عن هذه
 المادة.. لا شيء مسجل هنا عنها.

أكمل روجر بضيق: إنها تخرج من جسد ديفيد بطريقة منظمة جداً، وكأنها
 مترجمة لتخرج بنسب متوازنة بشكل آمن، ولكن المادة الرئيسية مجهولة وغامضة
 وعجيبة.

استغرق توماس بضع ثوانٍ بالتفكير وهو يتذكر رحلة البروفيسور الأخيرة
 لغابات الأمازون.

ثم تذكر بعض الملفات السرية التي يحتفظ بها ثم قال:
 - برحلة الأمازون الأخيرة، كتب جاك تقريراً مطوراً جداً عن مادة Nnrit
 الأليسين ربما كان هذا مفتاح اللغز.

أجابه روجر: هذا شيء لن تتيقن منه إلا بعد إجراء مشاهدات أولية،
 وبعض الاختبارات.

هز توماس رأسه موافقاً قبل أن يشير للكمأ ويصيح بقوة:
 - امنح ذاتك بضع ثوانٍ للراحة، والتهم اللحم الطازج.. إنها أشهى طعام
 في المحمية.

تناول روجر قطعة من الكمأ قبل أن يقول: لم أكن أظن أني جائع لهذه
 الدرجة.

توماس بثقة: سأعود لك مساء بالكثير منه.
 اتخذ توماس خطواته للخروج، بينما أنهى روجر الطعام ثم أخرج من أحد
 الأدراج الصغيرة بالمعمل مادة ليقوم بفحصها تحت المجهر.

قبل أن يضع بضع قطرات من الدم على لوح زجاجي المتصل بالشاشة الحاسوب أضاءت الشاشة؛ فضغط روجر بضع كلمات لرؤية مدى تطابقها ووجود مادة الاليسين بالدم.

سار بضع خطوات في المعمل ثم عاد ووقف أمام الشاشة المضيئة أمامه ببعض العبارات جعلته يستغرق بالتفكير لحظات ثم دون بعض عبارات على ملف إلكتروني.

بعد عدة ساعات دلف توماس المعمل الخاص بروجر ليقول: كيف جرت الأمور؟

قال روجر بحماس وهو يشير للشاشة المضيئة:

لقد كنت محقا يا صديقي.. انظر هناك قد تكون فعلا مادة Nnrit هي المادة الأصلية للعلاج مضاف لها مواد أخرى، أو البروفيسور استخلص جزءا منها.

كما تشاهد يا توماس أضاءت الشاشة بفيروس الإيدز بصورة مكبرة محاط بالغلاف البروتين ثم ظهر مادة ال Nerit الأليسين.

التي عطلت بشكل مع الفيروس Hiv مؤقت قصير.
أعقب روجر بعدها:

- هذا يرجح أنها المادة التي استخدمها البروفيسور ممزوجة بمواد أخرى معقدة قد تكون مثبطات انزيم استنساخ عكسي أو مجموعة متداخلة الميتوركسات مع مواد أخرى، ولكن تبقي الاليسين هي المادة الأم.
ولكنه يظل سر الدواء فقط مع جاك.

تبادل توماس وروجر نظرات قبل أن يتكلم روجر:
 - لقد ادعى جاك أنه تم علاج دايفيد بحقنه بالمضادات الحيوية وبعض العقاقير.. هذا غير منطقي.. لقد رفض أن يبوح بسر الدواء.. لا أجد لما فعل تبرير أو سبب ما.

لقد أثبت العقار نجاحه مع دايفيد فلماذا لا يعلن جاك عنه أن هناك الملايين بأوضاع متأخرة جدا، وكل دقيقة تمر يفنى كثيرين.

قال توماس وهو يتذكر ماضيه، بينما يتخذ خطواته للخروج من المعمل:
 - أستطيع إقناع جاك بالإعلان عن الدواء، سأتولى الأمر بنفسى، لا تقلق.
 ثم اتخذ طريقه للخروج وقد طغى شعور بالارتياح بكيان روجر.
 أنهى توماس جولته التفقدية المسائية، ثم اتجه بخطواته نحو المعمل السري الخاص البروفيسور جاك.

بعد الإجراءات الأمنية، كان البروفيسور يتصفح أحد الملفات الضوئية حين تكلم توماس:

كيف الحال، د. جاك؟

بروفيسور بصوت متحمس وهو يرفع رأسه عن الملف الضوئي

- بخير، شكرا لك. كيف حالك توماس؟

ابتسم توماس قبل أن يستطرد:

- لقد انتابتنى حالة من الذهول اليوم وأنا أرى وجه ديفيد الممتلئ بالحياة بعد أن كان شاحبًا كشحوب الموتى.

لم أكن أتخيل يوما أن أرى الطفل وهو ينضم لفريق كرة السلة ويعود معافى.
 أنت عبقرى فعلا يا جاك لقد صرعت الموت.

صمت توماس لحظات ولم يبد على وجهه أي انفعالات، بل صار وجهه مترقبًا باردا. تابع توماس:

- كفاك إنكار للذات صديقي.. بإمكانك أن تعلن عن هذا العقار بمؤتمر طبي عالمي.. أراهن أنك ستذهل الجميع كما تذهلنا دائم.

عقار مثل هذا سيحصد حتما جائزة نوبل غير آلاف الأوسمة والتقديرات العلمية.. هناك مؤتمر الأطباء العالم بغضون هذا الشهر بإمكاننا إنقاذ الكثير.

امتعض وجه البروفيسور بحمرة الغضب ثم صاح بقوة:

- سيد سميث عليك فقط الالتزام بعملك ولا داعي لخلق المشاكل والتدخل بأمور خارج حدود عملك.

ثم قام محذرا إياه:

- لا رغبة لي بخلق المشاكل ودجها بالعمل فلسنا بمجال عبثي هنا، ولا أتوقع منك بعد هذه اللحظة الخوض بهذا الأمر مرة أخرى.

رفع البروفيسور يده لإيقاف محاولة توماس الكلام وتكلم بقوة:

- أظن تفقدك اليومي للمحمية بحاجة لمراجعة ثانية.

التقط توماس شهيقًا عميقًا لكبح نوبات الغضب واستدار ليغادر الغرفة.

بصباح اليوم التالي بغرفة رئيس الأمن، كانت عين توماس تراقب شاشات

الأمن باهتمام وهو يفكر بالبروفيسور، وبرأسه تتصارع الأسئلة:

- ما سر هذه التغيرات بطباع البروفيسور؟ لماذا كف عن العطاء فجأة؟

وكيف يتجاهل الآلام هؤلاء المرضى؟ كان دائما يخضع كل إمكانيات المحمية

لايجاد ترياق بمختلف الأمراض والأوبئة أيضا.

كان يحرص دائما على إيجاد الحل قبل أن تتفاقم الأزمات.. الآن يترك الوضع

يزداد سوءاً.

لماذا ينتظر والأرواح تحصد بلا رافة وإلى متى الانتظار؟ إن جاك يبدو كشخص آخر مجهول لديه.

قطع أفكاره صوت روجر وهو يلقي تحية الصباح فhez رأسه بخفوت مجيباً:

صباحك طيب يا روجر.

اتخذ روجر مقعداً بجوار توماس تطلع ثواني لوجه توماس الغارق بالتفكير. تتمم بخفوت:

- أستطيع أن أعلم جيداً ماذا دار أمس بحديثك مع البروفيسور.. لو كان جاك وافق كنت هرعت لي بالمعمل ومعك أطنان الكما.

لكن عقلك متعب مثلي من الأسئلة بلا إجابات.

hez توماس رأسه بأسف ثم تذكر أمر العقار الآخر فاستطرد قائلاً:

- لا أعلم حقاً روجر؛ فهو في خضم إنتاج عقار آخر، ربما هذا ما يشغل تفكيره.

تساءل روجر بحيرة: هل نظن أنه يمر بأزمة نفسية؟

حين لم يجد جواباً من توماس هتف قائلاً:

- ما ضر هذا الرجل لو شفي الآخرين.. أعلم أن هناك آلاف دايفيد بهذا العالم بمراحل متأخرة ينتظرون أي بارقة أمل. وأعلم جيداً شعور ألف أب غيري يصلون للرب كل يوم أن يمنح ابنهم الحياة.

قال روجر: أعلم شعورهم جيد لأنني مررت به وأعلم أنهم لن يحبوا بعد رحيل الأبناء.. فأخر نظرة من الابن كانت تستجدي الأب أن يوقف الألم والأب مكتوف اليدين.

لا يستطيع أن يوقف الألم ولا يستطيع أن يوقف الموت. لقد حظي دايفيد بصك جديد للحياة لأنه بريء.

لماذا لا يحظى الآخرين بنفس الصك ما دام البروفيسور يملكه.. حتى المخطئ لا بد أن نكون عادلين ونعطيه فرصة النجاة؛ فنحن لسنا سلطة لتطبيق عقوبات على البشر على وجه الأرض.

شعر توماس بألم بين طيات قلبه وهو يتذكر ابنه الذي فقده بحادث مروري بعد أن قرر أحدهم التحويل للقيادة اليدوية والقيادة كالمجنون.

يتذكر ضحكاته.. بريق عينيه ووجهه النضر المشع ببريق الحياة، ثم صورته وقد همدت حركته، وجمدت نظراته وقد سلبت منه الحياة أغمض عينيه بألم ثم تابع بمرار:

- هناك لحظات يتمنى المرء أن يفعل أي شيء ليمنح الحياة للطفل.

تابع روجر:

- آخر تقرير من مصدر الصحة العالمي يفيد بوجود أكثر من عشرة ملايين من المرضى بالإيدز هذا العام بحالات متأخرة من المرض.

اختلفت أعمارهم ما بين طفل وشيخ وفتاة وامرأة.. البعض منهم نقل لهم المرض عنوة عن طريق الدم الملوث بالفيروس في ظل غياب ضماير مئة عفتة، وأطباء تجاهلوا إجراءات الأمن الوقائية لسلامة الدم المنقول لهم.

تقاعسوا عن إجراء تحاليل لضمان خلو الدم من الإصابة بأي عدوى أو ميكروب؛ فأنت تعلم يا صديقي أن أكياس الدم سلعة رائجة، وتجارة رابحة لبعض الأطباء بكم دولار تباع لتر الدم؟

تستقبل المستشفيات الخاصة كل شخص يعطي دمه مقابل بضعة دولارات.

بنوك الدم صارت بنوك موت تضاف على فواتير واجبة الدفع.. هناك متسولون يبيعون دمهم مقابل وجبات أو بضع لقيات.
وهناك مدمنون يبيعون دماءهم والمقابل بعض من المال ليشترون بها المزيد من المخدرات.

هناك عمليات تتم، يرقد هناك المريض يجاور من ينقل دمه له مباشرة دون إجراءات وقائية للدم.. يشكر المريض الطبيب على سرعة التصرف وإيجاد فصيلته النادرة وإنقاذه لحياته ولا يعلم أن الطبيب أسرى بارودته مرض سيفتك به.
غشيت أعين بعض الأطباء الأرباح الخيالية وماتت الإنسانية داخلهم.
قال روجر: لماذا نترك مثل هؤلاء الإيدز يقضي عليهم هم ضحايا أخطاء غيرهم.

لاحت صورة ديفيد أمام روجر:

وآخرون مثل ديفيد آخر تقرير صدر من منظمة الصحة العالمية عن هذا المرض اللعين يؤكد أن نسبة الأطفال تجاوزت ربع المصابين به.. الأمر كارثي الأطفال بعمر الزهور ويعانون ما لا يتحمله الشيوخ.
استطرد توماس:

- الأمر أشبه بالحروب قديما.. يفقد البشر حياتهم بالمعارك واليوم يسحقهم الإيدز، ومن يمتلك إيقاف الحرب وهزيمة هذا المرض الفتاك؟
صمت ثواني ثم قال وهو يفكر بالبروفسور: لا أدري ما خطب عقله؟
قال روجر:

- ربما يمكننا إيقاف الحرب يا صديقي.. لو لم نفعل سنظل دائما مجرمين حرب بمحاكمة ضمائنا.

إزهاق أرواح أطفال وقتلنا شباب ولم نرحم شيخًا.. نحن بسليبتنا هنا لا نختلف عن هؤلاء الأطباء ذوي الضمائر المنعدمة.

تساءل توماس وقد ظهرت علامات الاهتمام بوجهه:

وكيف نستطيع إيقاف الحرب وهزيمة الإيدز؟! الأمر بيد جاك فقط.

التقط روجر شهيقًا عميقًا قبل أن يقترب من توماس أكثر ويهمس له:

- بإمكاننا مواجهة جاك بالدليل على كذب مزاعمه بخصوص العلاج

الزائف، نواجه بها اكتشفه هناك بغابات الأمازون ويحتفظ به بين جدران صباء..

بعدها لن يستطيع الإنكار وعليه أن يعلن للجميع عن الدواء لا بديل أمامه.

الوقت يداهمنا والبشر يحصدهم الإيدز.. يجب أن نمديد العون لهم.

تابع توماس بهدوء:

- البروفيسور سيسافر بإحدى الرحلات غدا صباحا يجب أن يكون المكان

خاليًا لنحصل على الملفات السرية.

ساد صمت لحظات بينهم قبل أن يتكلم روجر بحزم:

- فليكن الصباح لبدء إيقاف مهزلة الصمت وإيقاف رحى الحرب.

بالعودة إلى وقت الحاضر إلى مكان فيكتور بالتحديد.

تقدم فيكتور إثر سماعه أزيزًا من أحد الجدران كالعادة إيذانًا أن زيارته

للمكان انتهت، لتبدأ زيارة مكان آخر حيث انفتح الباب ما إن واجهه.

ليجد ممرًا صغيرًا خافت الإضاءة، انفتح باب في آخره؛ ليجد مكانًا متسعًا

جدا الإضاءة هنا أيضًا مريحة للعين.

غرفة مستطيلة فسيحة للغاية.. تتراص أعداد هائلة من الصناديق الزجاجية.

على رفوف واسعة ملاصقة للحائط مكونة ما بينها ممرًا واسعًا حتى آخر الغرفة.

ما إن اقترب فيكتور من الصناديق وتبين محتواها حتى بهت وتراجع قليلا. العديد من الأعضاء البشرية في أطوار نمو مختلفة تسبح في سائل شفاف أحيانا أو شبه شفاف، بل إن هناك أعضاء تتحرك.

تسارعت الأسئلة في عقله من دون إجابة واضحة. تتنوع الأعضاء في كل صندوق ما بين أطراف أولى لجنين حتى تصل لذراع رجل كامل النمو أو قدم وساق.. آذان بشرية.. قلوب.. أكباد.. كلى.. عيون بشرية مختلفة.

ارتجف قلبه.. من أين الحصول على كل هذه الأعضاء. كأنه معرض للأعضاء البشرية. تذكر مشاهد من فيلم عن عالم سفاح يقتل ضحاياه ويقطعهم لأجزاء ويحتفظ بتلك الأجزاء في سوائل حافظة ليجري عليها تجاربه. نفص عن خياله ذكرى الفيلم.

تقدم أكثر من بعض الصناديق ليجد معلومات أولية.. تتغير كل فترة بشكل إلكتروني عن نوع النسيج أو العضو وعمره.. ودرجة الملائمة الجينية.. وعداد يعمل بشكل متناقص ربما ليدل على الفترة المتبقية لاكتمال عملية النمو.

وسط تلك الصناديق المخيفة وهذا الصمت المطبق.. وجد أمامه شاشة طيفية.. بدأت تعمل ما إن وقف أمامها.. جلس على كرسي أمام الشاشة ليلملم نفسه من هول ما رآه بالصناديق.. الأسئلة الحيرة تعصف بذهنه.

ظهر أولا عدد من الأفراد بإعاقات مختلفة.. مع إظهار نسبة تفشي الحالة في العالم.. وكانت حقا نسباً كبيرة ورهيبة.

مرضى القلب.. مرضي الكبد.. مرضي فشل كلوي.. مريض بجواره جهاز يدل على أن القلب متوقف، ويعيش بفضل الأجهزة الإلكترونية التي تتصل بجسده.

شخص آخر تدل التقارير أنه مصاب بعطوب وموت أجزاء من المخ.. مرضى بالزهايمر.. مرضي باركنسون.. طفل يحقن جسمه بالأنسولين.
عاد فيكتور بذاكرته لصور مشابهة لما يعرض أمامه واجهها في عمله التطوعي ملايين من المرضى ماتوا وهم أحياء واعتزلوا العالم أو بالأحرى اعتزلهم العالم لمرضهم.

آلاف من المشوهين إثر حرائق سنوياً ومحاولة دمجهم مرة أخرى في المجتمع الذي ينفر منهم ومن إصابتهم التي لا ذنب لهم بها.. والألم النفسي الرهيب للمريض وأهله.

انساب صوت رخيخ جفل له فيكتور لشقه جدار الصمت فجأة:
- مليارات المرضى بكل أشكال الأمراض أو الإعاقات المختلفة في كل أنحاء العالم.

والأمل في تقنيتنا الجديديتين: الخلايا الجذعية.. والأخلاف.. رغم اختلاف استعمال كل منهما ولكن تسير الأبحاث في كل منهما معاً:

ظهرت صور جديدة لنفس المرضى السابقين.. من كان بلا ساق.. أصبحت لديه واحدة يجري بها وكأنه ما فقدها.. وكذا الفتاة ذات الحروق البالغة.. عاد جسدها وجلدها طبيعياً، من فقد بصره لديه عين سليمة.. تظهر التحليلات أن قوة النظر بها طبيعية جداً.. قلب جديد لمن مات قلبه.. كبد جديد.. كلى جديدة..

شفاء تام لمريض الزهايمر.. حركة عادية جدا ومتحركة لمريض الباركنسون... إلى آخره.

وسط ذهول فيكتور.. كان يراقب الشاشة.. كل التقدم أحدثه علماء المحمية في طب الخلايا الجذعية والأبحاث عن ظاهرة الأخلاف بالمحمية؟

استمر الصوت يشرح ما يث على الشاشة:

-الخلايا الجذعية هي خلايا غير متخصصة يمكنها أن تعيد إنتاج خلايا الجسم المعروفة (جلد / أعصاب، كبد، قلب، كلى، عيون، بعض أجزاء المخ) هذه الخلايا تعتمد على العمر الجنيني للجسم؛ فالجنين (العلاقة والمضغة وما بعدها بقليل) كل خلاياه كأنها خلايا جذعية أولية نشطة تستطيع أن تتشكل دون قيود. وكلما تقدم العمر بالجنين تقل قدرة هذه الخلايا تتحول لخلايا متخصصة.

هناك ثلاث طرق للحصول على الخلايا الجذعية:

(إما من جنين ناتج من عملية اجهاض وإما جنين مخصب) وهذا غير قانوني وغير أخلاقي).

وأما من نخاع العظام والدم.. وهذا مسموح به أخلاقيا وقانونيا.

أما الطريق الثالث فعن طريق الجلد أو لب الأسنان اللبنية أو من الخلايا الدهنية.

أي من هذه المصادر تقوم بأي وظيفة إذا تم توجيهها للتمايز فمن الممكن توجيه الخلايا من نخاع العظام لإنتاج قلب أو أي نسيج آخر.

مع رفض الأولى، ظلت معضلة في النوعين الأخيرين موجودة، وهي أن تعرف الخلايا الجذعية يحتاج لبراعة وحذر، ومعرفة هل الخلايا المتوفرة تمتلك

القدرة على أن تكون مصدر أو جزع لأنماط مختلفة من الخلايا؛ فهي عادة في حالة كامنة.

ولا يمكن تمييزها من حيث المظهر.. بل يجب التجريب والتجريب لنعرف سلوكها.. وهذا طبعا إهدار للوقت وإهدار لأعمار تتناقص ومرضى يموتون بالآلاف يوميا.. أو يعيشون كالأموات.

صور تظهر أمام فيكتور لمعامل. حيث تظهر تحت أفضل المجاهر الإلكترونية الحديثة.. مواد مصنعة من خلايا بشرية عادية سواء من متطوعين أو من أصحاب المرض نفسه ويتم مطابقتها على خلايا (المضغ والعلاقات وأشباه الأجنة).

- تسأل الكثير من العلماء كيف ينمو الجنين من مجرد مجموعة من الخلايا وكل نمو يحدث له يتخصص ليكون عضواً. لماذا لا تتمكن خلايا الإنسان الناضج أن تتم تلك العملية التي تحدث للجنين؟ بحيث تعيد نمو الأطراف المقطوعة بشكل مائل.

أقيمت تجارب على مختلف أنواع الأجنة وأظهرت أنها قادرة على خلق الأعضاء أو الأطراف المقطوعة، وتكون تلك القدرة في أوج قوتها في الأسابيع والشهور الأولى، ثم تقل حتى تختفي.

استطاعت معاملنا أن تجعل الخلايا العادية في أي شخص في أي عمر أن تستعيد نشاط العمر الجنيني؛ فيتم أخذ خلايا من الجسم وحقنها بما يعيدها للعمر الجنيني.. وتعطي الأمر لتتحول إلى ساق أو يد أو عين أو أجزاء من الجلد أو الأعصاب، أو حتى تعمل كمحفز لخلايا بيتا في البنكرياس ليشفي مريض السكر.

انتهت مشاهدات الشاشة وساد الصمت مع انغلاقها.

أطلق فيكتور نفساً عميقاً.. وكأنها كان يحبس أنفاسه طوال عرض المشاهد.
أتاه صوت من شاشة مجاورة.. فانتقل بكرسيه ذي العجلات دون أن يقوم
من عليه ليواجه الشاشة.

-هناك من تمنعه عقيدته أو أفكار معينة من قبول التبرع.. وهناك من
وصلت حالته لدرجة تصعب معها أخذ خلايا منه.
لذا يتم اللجوء إلى ما يسمى بالأخلاف.

عرضت الشاشة صور لبعض الحيوانات الزاحفة وبعض العناكب التي تفقد
أطراف لها.. وسرعان ما تبدأ تلك الأطراف بالنمو من جديد. ومشاهد لنجمة
بحر فقدت أحد أطرافها ومع تسريع الصور ظهر طرف جديد بدأ بالنمو مكان
الطرف المقطوع.

كما أن الطرف المقطوع نمت منه نجمة بحر جديدة.. وظهرت صورة لحيوان
السلمندر الذي يمكنه إعادة نمو ذيله أو أحد أطرافه المقطوعة.. بل تنمية بعض
عضلات القلب لديه.. ومشاهد أخرى عديدة لمثل ذلك.

تلا ذلك ظهور طفل مقطوع الساق إثر حادث واستعراض لطبيعة القطع
وإصابة لرجل فقد يده حتى منطقة الكوع، وكذا لرجل مشوه الوجه والجزء
العلوي من جسمه بحروق من الدرجة الثانية والثالثة.

استمر الصوت المرافق للمشاهد بالشرح:

عندما يجرح الإنسان أو يفقد أحد أطرافه يقوم الجسم عادة بإنتاج بروتين
بشكل سريع؛ ليسد هذه الثغرة ويوقف النزيف مؤقتاً. بعد ذلك تتمدد الأنسجة
القرية من الجرح لتغطي عليه، وتحميه وتأتي كريات الدم البيضاء لتحارب
الجراثيم والبكتيريا.

وفي الأخير تأتي خلايا الألياف المسطحة لملء الثغرة وتسدها نهائيا وتمتلئ المنطقة بهادة الكولاجين البروتينية.. وبذلك يفقد الإنسان العضو.. أو يظل الجلد على تشوهه.

أي أن المشكلة الأساسية لعدم استكمال نمو الطرف المقطوع أو الجلد الجديد السليم.

هو عملية الالتحام وآلية عمل الألياف المسطحة، والتي تشبه في عملها المايسترو الموجه؛ فهي في الحيوانات التي تعوض الأطراف تنظم عمل كل الخلايا التي ستدخل في عملية استعادة العضو المفقود. حتى إنها قادرة على أمر الخلايا الأخرى بأنها ستبني إصبعًا وليس ذراعًا مثلاً.

أما عند الإنسان والثدييات ففتقر هذه الخلايا إلى دورها المسيطر المطلق ذاك على الخلايا، وتكتفي فقط بغلق الجرح.

استطعنا أن نحصل على بروتين يسمى (ام اس اكس 1) وهو موجود فقط في الأقسام العليا من أصابع اليد والقدم للإنسان وغير موجود في أي من خلايا الجسم الأخرى.

حيث يبدو منطقيًا في جميع خلايا الجسم ما عدا أطراف الأصابع.. هذا البروتين وظيفته كبح الجينات المميزة للخلايا؛ فلا تجعلها متخصصة تنتج ذراعًا فقط أو جلدًا فقط أو... فيتهي بها الحال كخلايا بدائية تقوم بعمل بعض التفاعلات الكيميائية الحيوية ل يتم تعويض العضو المفقود بشكل صحيح.. تتالت الصور تعرض حالة الطفل والرجل.. مع توالي شرح ما بالصور:

-نترك الجرح مفتوحاً، ونحقق الجزء المراد بالمواد المستخلصة من أطراف الأصابع أو مواد مخلقة كيميائياً تشبهها فتحفز تلك المادة الخلايا المسطحة لعملها الأصلي لتكوين طرف كامل بدلاً من المقطوع.

فيركز الجزء المجروح أو المقطوع أو الجلد المحروق على استدعاء الخلايا الجذعية وإرجاعها لحالتها الأولية غير المتخصصة.

رافق ذلك صور حية مسرعة.. توضح الساق واليد وهما ينموان في الجسم كأطراف جنين تنمو وتتمايز بعد فترة زمنية، تصل لعام حتى أصبحت طرفاً كاملاً يشبه العضو السابق.

يتضح تكاتف كل من أبحاث الخلايا الجذعية وأبحاث تعويض الأعضاء "الأخلاف" لعلاج أي عطب أو فقد يحدث لأي جزء من جسد الإنسان.

انطفأت الشاشة. وعم السكون التام المكان.

لم يقم فيكتور من مكانه، بل استرخى وأغمض عينيه كما لم يستجب لتمسح كعبول بساقه.

كان يحتاج لفترة حتى يهضم عقله هذا التطور الهائل والذي ما زال يظنه البعض من الخيال العلمي.. ولكن أيقن فيكتور بعد تلك الفترة بالمحمية أن كل المعجزات تتحقق هنا.

- انتظر يا كعبول.. احتاج لوقت.. فيبدو أننا كلما توغلنا بالمكان يظهر لنا جديد ولن تنتهي دهشتنا أبداً.

بعد مرور دقائق.. تخيل فيها فيكتور.. رحلاته القادمة في العمل الخيري لن يعتمر الألم قلبه.. لن يحس بالعجز وهو يرى الموت واليأس يأكل أعمار المرضى. أحس قلبه بالانشراح أن أغلب آلام البشرية على وشك الذهاب.

قام فيكتور متوجها لآخر القاعة.. حيث ظهر باب ما إن واجه الحائط كالمعتاد.

انغلق الباب، وإذ به في ممر تتراص الغرف على جانبيه.. وأيضا يسود الصمت والهدوء المكان.

جذب نظره لافتة كتب عليها (معامل الفضاء).

دلف لغرفة صغيرة جدا.. تبين بعد حركتها أنها مصعد.. سرعان ما انفتح الباب؛ ليجد نفسه في مكان واسع ذي قبة شفافة تظهر منها السماء وقد بدت أمامه غريبة بتكوينات نجمية لم يرها من قبل حتى في الكتب الفلكية.. لا يوجد في الغرفة إلا بعض المقاعد ذات المساند المرتخية للوراء.. ليستلقي عليها المرء وينظر لما فوقه.

استلقى فيكتور في انتظار ما ستخبره به الغرفة.

لاحظ أن المشهد أمامه يتغير ويتسارع وكأنه يركب سفينة تمخر عباب السماء. ليظهر أمامه المريخ.. ويقرب حتى يرى عليه تكوينات هندسية تشبه المباني ومسابير للفضاء مختلفة الأشكال، ويجوارها قباب شفافة عملاقة تحتها معامل بها أدوات وأجهزة مختلفة.

-معامل كونور بالمريخ.

هكذا تصاعد صوت كأنه ينبعث من كل مكان شارحا:

- تتنوع معاملنا المرخصة والقانونية على المريخ.

تغير المكان لدخل أحد الكهوف حيث ظهر بعد فترة مكان واسع مجهز

كمعمل:

- معامل طبية بالكهوف وتحت سطح المريخ لدراسة مستقبل حياة الإنسان والحيوانات المختلفة في حال امتدت الحياة البشرية بشكل مكثف على الكوكب كما هو متوقع خلال العشر سنوات القادمة.. ومدن تؤسس بالكهوف حيث تقل نسبة الأشعة المضرة.

غيرت الصورة ليشرح الصوت الانتقال لقطب من أقطاب الكوكب حيث قبة جليدية كثيفة تغلفه.

-معامل أخرى للاستفادة من الجليد الموجود بالمريخ.. وتفكيك أجزائه وإجراء العمليات الكيميائية عليه.. لينساب كما المياه الصالحة للحياة.

أظهرت الشاشات بيانات كمية ثاني أكسيد الكربون والذي يمثل النسبة العظمى من جو المريخ.. ومحاولات العلماء لتقليل نسبته وزيادة نسب الغازات الأخرى كمحاولة لتمثيل جو الأرض على المريخ تحت أسقف معدة خصيصا لذلك.

سرح بصر فيكتور مع تلك المجهودات لإتاحة حياة للإنسان على الكوكب الأحمر.

- عملنا ليس فقط لتمكين استيطان الإنسان بالمريخ.. بل أن نعيد الأرض ككوكب صالح للحياة كما وهبه الله لنا.

إثر ذلك تباعدت الصورة. لتظهر مجموعة الكويكبات حول المريخ.. ثم تبتعد أكثر لتظهر ما بعد المريخ.

حيث تشير الأسهم لاتصال ما بينهم وبين الأرض.

مشكلة الإنسان على الأرض حاليا هي تآكل طبقة الأوزون. نعمل على توفير إمداد للأرض بالأوزون حيث تتركز معظم أبحاثنا بالتعاون مع معاملنا

الأرضية على إيجاد صيغ كيميائية.
تجعله يتكاثف مرة أخرى وأن لا يتأكل.. وتمتد معاملنا كشبكة متكاملة
ومتجانسة فتضم بالإضافة لمعامل المريخ.. معامل بحزام الكويكبات وكوكب
زحل وكوكب عطارد.

ظهرت صور سريعة لجميع المعامل المشار إليها.
يحتشد عدد كبير من رجال الأعمال وراء هذا المشروع لإنقاذ الكوكب من
مخاطر ترقق أو ثقب طبقة الأوزون.. نجح فريق علمائنا على مدار سنوات من رتق
هذا الفتق عدد من المرات.. ولكن ما زال الخطر يهدد الأرض نتيجة عدم وعي أو
اهتمام أغلب البشر بتجنب مسببات الترقق تلك.

واجهنا جيشًا آخر يحاول تعطيل أبحاثنا. لأنها تضر بمصالحه الشخصية.
وتسبب لكثير من المؤسسات غير الآمنة على الكوكب بخسائر فادحة.
كما أنه يوجد الكثير من الذين يرغبون في إصلاح ما فسد من الغلاف الجوي
الأرضي، ولكن ليكسبوا من ورائه المليارات والمناصب.. مؤسستنا ومن ورائها
ليس لهم هدف إلا الصالح العام للأرض دون النصر للربح المادي أو النصر
الدعائي.. وهذا لا يعجب الكثيرين.

تتالت أمام فيكتور المبهور صور لمعامل وعالم آخر على كواكب غير
الأرض.. كل الهدف من ورائها الحياة الأفضل لإنسان الأرض.
فعلى القمر توجد محميات طبيعية للعمل على إيجاد بدائل طبيعية للغذاء
سواء من اصل نباتي أو حيواني. بعدما قضت الزيادة السكانية ومشاكل المياه
والتلوث على الأرض على أغلب مصادر الغذاء الطبيعي.

فزاد تنافس الشركات لإنتاج أغذية مصنعة كان الضرر منها على صحة الإنسان ويبيته أكثر من فائدها.

في هذه المستعمرات القمرية يتم تخليق وتجنيس نباتات خاصة تقاوم الحشرات والميكروبات والتلوث. تستطيع أن تقاوم على الأرض. بل وتعطي إنتاجيات عالية في مساحات صغيرة.

كما توجد أيضا مزارع حيوانية ذات سلالات مقاومة للأمراض. يتم إنتاجها. وكذا إجراء التجارب في ظروف قاسية عليها.

بالتعاون مع معامل المحمية ومزارعها سواء التي بداخل المحمية أو خارجها. يتم توفير ما يقارب من ربع احتياجات كوكب الأرض من الغذاء النباتي والحيواني والسمكي.

انتهت المعلومات المتاحة له في هذه الغرفة. بالصمت الذي ساد المكان. وبعودة القبة لشكلها الأصلي تعكس النجوم المعتادة فوق هذا الجزء من المحمية. أدرك فيكتور ذلك؛ فقام عن كرسيه.. وتبعه كعبول الذي كان نائما.. واستيقظ مجرد أن ساد الهدوء المكان.

- ترى أين سنذهب هذه المرة يا كعبول؟

ماء كعبول بعدما أنزل قدمه التي رفعها ليلعقها وينظفها.. وظهر عليه الحيرة وكأنها يشارك صاحبه أفكاره.

انفتح باب في آخر القاعة.. وبهت فيكتور؛ فهو لم يقترب من مكانه كالعادة ليفتح، بل انفتح تلقائيا.. توجه يتبعه كعبول.. ليجد غرفة مستطيلة صغيرة أدرك من سابقتها أنها مصعد آخر.

استقله وأحس بالمصعد ينزل لطبقات عدة. دله على ذلك تناقص الارقام في شاشة أمامه وكذا توالي أسماء المناطق. توقف المصعد. فصعد أزيز خفيف تلاه صوت:

-الغرف الأمنية.

انفتح باب المصعد فخرج منه ليجد أمامه عددًا كبيرًا من الشاشات المقسمة. وأسفلها أعداد مماثلة من الحواسيب.. وأمام كل منهم مقعد مما يدل على أن هذا المكان محكوم بشريا وأليا. ولكن لا يوجد أحد هنا. ما إن أغلق الباب وراءه إلا وأحس بجسده يتصلب وكأن صاعقة قد أصابته وانبعث وميض شمله ثم تلاشى تركه فاقدًا الوعي لثوانٍ.

فتح عينيه ليرى ضوءًا ساطعًا يكاد يعمي عينيه.. أحس بالجو حوله كمكان مفتوح يجري به الهواء، وتصاعدت إلى أنفه روائح أشجار وأعشاب. لا تلوح أي مبانٍ حوله.

وضع يده أمام عينيه محاولا صد الضوء الباهر ليتبين ما أمامه.. يلمح خيال شخصين يتحدثان.. لا يسمع صوتهما لبعدهما عنه.. يحاول أن يقترب وهو ما بين الارتقاء والكسل.

رغم غرابة المكان والانتقال المفاجئ ولكنه لا يشعر بالخوف أو الخطر. اقترب أكثر فرأى من يوليه ظهره يرتدي ملابس وكأنها ملابس رياضية شتوية غريبة وقديمة الطراز رمادية اللون مع خطوط سوداء.

أما الآخر ورغم أنه يواجه فيكتور فملاحه غير واضحة ولكنه يبدو من مظهره العام كشاب صغير في مقتبل العشرينيات.. نظر الشاب لفكتور.. ثم

توجه بالحديث مرة أخرى لصاحب الملابس الرياضية متسائلاً بصوت سمعه
فيكتور رغم البعد:

- ما أمره؟

ليجيبه الآخر مبتسماً:

- إنه روح من الماضي.

ساءت الرؤيا أمام فيكتور ليفيق على لعق لسان كعبول لوجهه.

وإذ به على أرضية الغرفة الأمنية مرة أخرى وسط الشاشات والحواسيب.

حاول فيكتور أن يستوعب ما حدث له. لا يذكر إلا أن الشخص الثاني ترك
المكان ورحل واستدار صاحب الملابس الرياضية متوجهاً مقرباً من فيكتور.. ثم
استيقظ ولا شيء بعد ذلك.

قام ليتفاجأ بأن كل الشاشات توقفت عن بث الصور السابقة.. والحواسيب
توقفت عن العمل.

استرعت أنظاره شاشة صغيرة واحدة وسط هذا الكم من الشاشات
العملاقة تظهر عليها نقطة تومض في مكان معين بخريطة المبنى.

يتفقد فيكتور الخريطة المخزنة لدي صوفيا ليكتشف أن المكان الذي تومض
به النقطة هو المكتب الرئيسي للبروفيسور.

حاول أن يستكشف أكثر عن طريق صوفيا ليتفاجأ بتعطل العقل الإلكتروني
بها.. وعدم استجابتها لصوته وأسئلته.. فقط أظهرت بعض الصور والخرائط
التي التقطتها سابقاً.. من دون البيانات والتوضيحات.. أو التحليلات المعتادة
منها.

(إلى الغرب.. حيث الماضي.. تتجلى الأم.. المس نور الحقيقة).

تكرر هذه الكلمات في ذهن فيكتور.. منذ أن استطاع قراءتها وحده في الدعوة بواسطة عدسة عينه البايونية.. لقد اتجه في أول طريق نحو الغرب بمجرد دخولهم للمحمية.. ترى ما حل باقي الكلمات.. وكيف سترشده للغرض من مجيئه إلى هنا.

لن يشغل ذهنه.. فكلما مضى في الطريق ستتضح الخطوة القادمة من تلقاء نفسه.. عليه فقط أن يكون حاضر الذهن.. ليربط الكلمات بما يراه.

هو واثق أنه سيعرف؛ فكما يقول انديرس اريكسون:

* العبقريّة تظهر عندما يقوم شخص له مواصفات ذكاء معينة حاصل على تعليم جيد بتركيز كل قدراته في حقل معين*
كل ما مر به من أماكن لا يحمل إلا التقدم وتكنولوجيا مستقبلية.. عليه أن يكمل المسير نحو طريق الغرب كلما ظهرت له طرق متعددة.. ليصل حيث الماضي.

أفاق على صوت أزيز خفيف منذرا إياه كالعادة أن بابا على وشك الانفتاح. ولكن لم يحدث هذا بل شمله ضوء هادئ بدا كدخان أخضر خفيف.. غامت رؤيته قليلا ثم عادت ليهتف بداخله:

- ها هو الماضي.. ظهر أمامه.. جبل تحت قمته نحت لمعبد فرعوني ضخّم من صخور الجبل حيث تشكل مدرج طبيعي من حوله.

ليصل عليه عبر جسر واسع بامتداد مائة وعشرين قدما وتصطف حوله الأشجار مؤدية للبناء المكون من ثلاثة مستويات من المدرجات حيث يصل إليه اثنان من السلالم الواسعة في وسطه للانضمام إلى المستويات معا.

نموذج لمعبد الملكة حتشبسوت.

سمعها في ذهنه ولم يعرف مصدر الصوت.

شاهد نفسه يحمل كعبول بين يديه ويتقدم بخطوات نشطة.. حيث المستوى الأول من المبنى تجول مستطلعا، حتى وصل لحائط صخري.

ما إن استوى أمامه فاحصا حتى تحركت الصخرة بنعومة جانبا مظهرة فتحة تكفي لفرد واحد.

دخل عبر الفتحة.

أغلقت البوابة خلفها بنفس النعومة.

انتهى المشهد الناظر فيه لنفسه ليجد أنه يحمل كعبول بين يديه وهو واقف في الممر السابق.. ترك كعبول إثر موائه يسير بجواره.

امتد الممر بدت جدراناه وسقفه كأنها منحوتة أيضا من الصخر ولكنها ليست كذلك.. بل صنعت من أحدث ما توصلت له علوم هندسة الديكور من مواد وخامات.

الإضاءة كأنها وضح النهار وإن كانت مريحة للعين غير قاسية.. وبرودة منعشة تسود المكان.. سار في الممر حيث الصمت المطبق.

انفتح في آخره باب ما إن دنى منه، وجد أمامه استراحة بأثاث يحمل الطراز المصري القديم بكامل فخامته وإن كان وثيرا ومريحا.. جلس يتأمل المكان من حوله.. حتى يعرف الخطوة القادمة. انفتحت فتحة في المائدة أمامه وخرجت عدد من المشروبات المنعشة وأطباق من أطعمة خفيفة وفاكهة شهية.. اكتفى بتناول مشروب من البرتقال.

وفي نفس الوقت خرج من فتحة جانبية بأسفل المائدة طبق من السائل
المغذي لكعبول.. شرب هو متمتعا بالطعم الطازج اللذيذ.
لم يحدث أي شيء.. فقام من جلسته يتأمل ما حوله.
فانزلقت بقية المشروبات في الفتحة مرة أخرى وعادت المائدة كما كانت
خالية.

لم يكن بالمكان إلا ثلاثة أطقم كل منها مكون من مائدة وأرائك للجلوس
فقط. لا شيء يجذب النظر.. ولا شيء يدل على ما تبقى في الدعوة من كلمات.
هذا المكان يدعوا للاسترخاء حتما، ولكن لا وقت لذلك.. عليه أن يعرف
باقي اللغز.

- هيا يا كعبول نستكشف المكان.

رفع كعبول رأسه تاركا الطبق شبه فارغ.. والذي سرعان ما دخل مختفيا
بنفس مكان خروجه السابق بالمائدة.
صوت خفيف وعلى أثره ظهرت فتحة باب في آخر الاستراحة ما أن وقف
أمامه.

ممر قصير عريض على جانبيه بابان، يواجه أحدهما الآخر.

- أيهما نفتح أولا؟

في اللعب.. في الحياة.. في الفن.. وفي قوانين الفيزياء، الاحتمالات عامل مهم
للغاية يا كعبول.. ولكن ما دام لا مميزات أو معلومة جديدة فكلا البابين يحملان
نفس الاحتمالات.

ماء كعبول واتجه لأحد الأبواب.

تبعه فيكتور وفتح الباب تلقائيا ما إن واجهه.

قاعة فسيحة حيث تلاشى الديكور الفرعوني تتراوح ألوانها ما بين الأصفر المحفز لنشاط الدماغ.. والازرق الموحى بالهدوء الشديد والمساعد على التركيز. تتراص شاشات عملاقة على الجدر الأربع للمكان.. مع موائد معملية متفرقة عليها وحدات من الحاسوب الكوانتي.. تعمل جميعها بشكل هادئ. فيعرض أحدها فيلمًا ما.. وآخر عينات.. وآخر رموزًا مختلفة... تقدم فيكتور مجتاحه الفضول فجلس على المقعد لفحص أحد الحواسيب عن قرب.

- مرحبا فيكتور.

ارتفع حاجبه تعجبًا.. بينما ماء كعبول، وقفز متخذًا مكانًا على المائدة ناظرا لشاشة الحاسوب مع فيكتور. بعد عدد من الضغوطات على الأزرار أمامه تعرف على الجهاز الذي أمامه فإذا هو تفاعل بين الحاسوب والبيولوجي.

- لم أر قط مثل هذا الحاسوب البيولوجي.. يمكنه دراسة أنواع أدوية معينة وآثارها كاملة بالاعتماد على خلايا سليكونية بدلا من استخدام خلايا حية ودون الحاجة إلى تجربة عقارات جديدة على الحيوانات.

انتقل فيكتور إلى حاسوب آخر وبعد فترة همس متحمسا:

-تم هنا استبدال بالمعالجات المعتمدة على السليكون أخرى تعتمد على الخلايا الحية؛ فالحاسوب والخلايا الحية بينهما العديد من الصفات المتماثلة. فكما هو الحال مع البرمجيات فالخلايا تقوم بالتفاعل والتدخل في عمليات محددة.. وهذا مكن من دراسة أنظمة بيولوجية باستخدام نماذج كمبيوترية. وأيضا لن يحتاج العلماء إلى التجريب على الحيوان.

هل تعرف قيمة هذا الاكتشاف يا كعبول.. إنه ثورة هائلة.. ستسر مني كثيرا لهذا الاكتشاف.

توالى جلوس فيكتور على عدد من الحواسيب ومراقبة ما يدون على الشاشات.

هذه الحواسيب تعمل وكأن بشرا يتحكم بها.

هل تم دمج خلايا من الدماغ البشري بها أو تصنيع ما يطابق النواقل العصبية في الدماغ البشري للحواسيب؟

- إن التقدم في المحمية على درجات عالية كنت أظنها من الخيال العلمي حتى قبل ساعات فقط.. وإذ بها حقيقة هنا.

أتعرف يا كعبول عامل تأثير الفراشة؟

قال العالم فيليب ميرليز (رفرفة جناحي فراشة في البرازيل يمكنها أن تسبب بعاصفة في تكساس).

فلقد حدثت كارثة ايكولوجية في استراليا بسبب مستوطن انجليزي أراد دعم ألعاب الصيد البرية في أستراليا.. لهذا قام بجلب 24 أرنباً من بريطانيا لأستراليا وفي وقت قصير جدا تكاثرت الأرانب مما أحدث أضراراً بالمحاصيل الزراعية.. ولتطويق الأرانب تم جلب الثعالب التي بدورها قامت بارتكاب مجازر في حيوانات الكوالا.. وكانت النتيجة النهائية أضراراً مادية بملايين الدولارات سنوياً.

تأثير الفراشة حيث تحدث تغيرات متناهية في الصغر للحصول على اختلافات كبيرة في المحصلة النهائية وعلى المدى الطويل.

هذا ما يحاول العلم النظيف وما تمثله المحمية بقيادة البروفيسور وفريقه أن يفعلوه.. وضع صورة عامة عن الأحداث التي من الممكن أن تكون لها مسببات بعيدة زمنيا ومكانيا ومختلفة تماما في إبعادها.

إن إعادة بناء سلسلة المسببات الخفية وراء حدث ما هي عملية صعبة للغاية إلا أن العلم بدأ في توسيع آفاقه وذلك عن طريق اكتشاف فراشات جديدة على الدوام يتم محاولة عكس آثارها بالتدرج، أو خلق أثر فراشات جديد حيث يترتب عليها إحداث تؤدي لعلاج أزمات طاحنة.

لقد اعتقد الإنسان قديما أن بالتقدم العلمي والتكنولوجيا سيتقدم الإنسان وتتطور وتتقدم حياته بالتالي ولكن، مع تقدم العلم والحضارة انهارت القيم والأخلاق. وزادت غريزة البشر في تدمير الذات.

انتشرت الأوبئة وزاد الفقر في جهات عدة. هناك شعوب تندثر مرضا وفقرا.. أو تناحرا من أجل لا شيء.. وكأن الزمان عاد بأغلب البشر إلى حياة الغاب حيث البقاء للأقوى وليس للأصلح.

انتشرت الحروب لأسباب تافهة، بل لقد اختلقت حروب وأوبئة فقط لتقليل أعداد سكان الكرة الأرضية.. انتشرت الجريمة بكل أنواعها.. زادت حالات الانتحار.. وظهر توحّد جديد لجأ إليه البشر اختياريا.

حيث الحياة الافتراضية وهي أحد ابتكارات وتطبيقات التواصل الإلكتروني.. ولكن هذه الحياة الافتراضية لم تستطع أن تحقق الحياة المثالية السعيدة التي هرب إليها ملايين البشر هربا من الواقع المؤلم.

فقد امتدت الجرائم لهذا العالم الافتراضي وظهرت كل قساوة البشر ودناءة النفوس.. لم تخل الحياة الثانية من مختلف أشكال الجريمة، بل إن العصابات

القاتلة استخدموا الواقع الافتراضي لتطوير مهاراتهم في الاستطلاع والمراقبة وفي التسلط على العقول وتدميرها وتسخيرها.

تجلت الانانية في أبشع صورها.. لا أحد يمد يده بالمساعدة إلا إن كانت له مصلحة في ذلك.. وإلا فلا مساعدة أبدا.

إن الضغط على الشرفاء زاد يا كعبول في محاولاتهم لحفظ كرامة وإنسانية الإنسان.

قام من مقعده.. حاملا كعبول.. متوجها نحو الباب.

- هذا هو معمل البيولوجي هنا في المحمية.. إن العمل به هائل ومتطور عما توصلنا إليه خارجها.

لو جلسنا هنا ستمر علينا أيام عدة لفحص كل تلك الحواسيب أو معرفة عمل كل منها.. لا اعتقد أن هنا إجابات عن أسئلتي أو حلاً لكلمات الدعوة المبهمة.

سنرى ما يوجد بالغرفة الأخرى.

وتوجها إليها حيث انفتح الباب بمجرد وجود فيكتور أمامه وأغلق ذاتيا خلفهم.. وإذ بهم في غرفة صغيرة.. كأنها غرفة عمليات مصغرة.

بها حاسوب كالعادة أيضا.. تصاعد صوت معدني هادئ.

- مرحبا فيكتور.. اجلس واتبع التعليمات.

امتدت أمامه طاولة مساعدة طيب.. حيث أدوات تعقيم.. وعدد من الإبر ومسدس صغير غريب الشكل.

تتابع الصوت المعدني على فترات:

- طهر يدك.

- خذ المسدس.. وضع فيه من الخلف العلبة الصغيرة رقم 6.
 - ضع فوهة المسدس فوق إصبع السبابة من يدك اليمنى.. بعيدا عن العظام.. كما ترى على شاشة الحاسوب أمامك.

تفكر فيكتور قليلا وفحص العلبة رقم 6 والمسدس. أتاها صوت مطمئن:
 - هذا المسدس يطلق رقاقة إلكترونية تحت الجلد تعمل بواسطة الاشعة الكونية والراديوية.. مبرجة سابقا.. في أول صنعها كانت أقل من حجم حبة أرز.
 لقد صنعت قديما من خمسة أجيال لأصحاب الذاكرة الضعيفة والذين ينسون كلمات المرور للحاسوب أو الأرقام السرية أو غيره.. وهي تتفاعل مع قارئ الإلكتروني ويتم حقن الرقاقة بواسطة ابرة دقيقة تشبه المسدس. في العلبة 6 رقاقة أصغر وأكثر تطورا.

صمت الصوت هنيهة. ليعطي فيكتور فرصة للتفكير ثم أكمل:
 - هذه الرقاقة أكثر تطورا وبأقل من حجم حبة الخردل.. وتقنياتها أعلى.
 بحركة من يدك تفتح الأبواب لك فقط.. وتدخل على أي كمبيوتر مهما تعقدت كلمة سره.. وهناك مميزات أخرى ستعرفها في حينها.
 - سيد فيكتور، إنها من مستلزمات الدخول للمرحلة القادمة في رحلتك الآن لمقابلة البروفيسور جاك كونور.

مد يده للمسدس وأطلق منه الطلقة.. لم يحس بأدنى ألم فعرف أن مع المادة المعقمة تخدير مؤقت خفيف.

- انطلق لتكمل مهمتك؟

خرج فيكتور وكعبول من الغرفة.. وسرعان ما تلاشى أثر الأبواب في الممر.. وتبدل لون الجدران للون الأصفر المموج.

- لا بد وأنه يوجد مخرج ما يا كعبول.
 ماء كعبول.. ناظرا لفيكتر كمن يسأله عن حل.
 لم تظهر على عدسته أي معلومات.. يبدو أن لا إشارة تدل على فتحات.. أو
 ربما هناك ما هو أكبر من قدرة أجهزة الاستشعار التي بها.
 خاطبها فيكتور:

- هذا المكان بتقنياته العالية يجعلك في حاجة الي تطوير يا صوفيا.. لا
 تقلقي.. في أقرب فرصة سنعمل معا على تزويدك بأجهزة استشعارية أحدث.. لا
 أرضى أبدا أن تكوني أقل من المستوى الفائق الذي تعودناه معا.
 قال فيكتور: صوفيا، سأفقد ما الخل بك بأقرب وقت.. اصمدي!
 هذا المكان متقدم عما ألفناه بمئات السنين.. في أقرب وقت سأمدك بتقنيات
 أحدث.

مد فيكتور إصبع السبابة فأحصى الجدران الصماء أمامه بطولها وعرضها.
 فمن المؤكد أنها لم تزرع بيده اعتبارا.
 لم يحدث شيء.. فحص فيكتور مكان الرقاقة.. فرن صوت في أذنه:
 -جاري التحميل.

كان يتحرك ببطء متأنيا بعض الوقت في انتقاله من متر إلى المتر الذي يليه.
 وسرعان ما سمع تكة بسيطة.. ظهرت على أثرها فتحة مصعد.. لم تظهر قط
 للعيان ولم يكن لها أثر ولو بسيط قبل أن تفتح.
 دخله مع كعبول بعدما فحصه بعينه جيدا، واستطاع أن يحلل بيانات أولية
 من دون إشارة من صوفيا.

انغلق الباب ولدهشته توجه المصعد هبوطا لا صعودا.

- نحن نتجه لتحت الأرض يا كعبول.. طابق.. اثنان.... 6 طوابق تحت الأرض؟

انفتح باب المصعد.. فإذا بالديكور المصري القديم يطغى على المكان.. بهو طويل لا يظهر للعين آخره وعرضه يربو على العشر أمتار.. بأضواء خافتة الإضاءة مصدرها غير معروف.
يمضي بانحدار خفيف نازل بزاوية بسيطة.. غير متعبة عند السير.. أرضيته من الصخر المنحوت والمصقول.

المكان فارغ إلا من بعض الأرائك المتفرقة مثبتة على جانبي الطريق، بينما الرسم المصري القديم بألوانه الجذابة يملأ كامل الجدران.
حللت عدسته بذكرتها المحدودة المعلومات الآن على شكل كتابة مريئة ليفيكتور فقط:

- هذه الرسومات مطابقة لجزء من *كتاب الموتى* كما يسميه علماء المصريين. ولكن اسمه الذي سماه به قدماء المصريين هو *الخروج في ضوء النهار*.

حيث كانت تنقش نصوصه على جدران المقابر والأهرامات أو على التابوت الحجري أو ترسم بأوراق البردي وتوضع بجوار المومياء لتكون دليل الميت في رحلته للعالم الآخر.. وإرشاده لتخطي العقبات التي ستصادفه في أثناء رحلته إلى الحياة الأخرى وتدله على الوسائل التي يستخدمها ليتم هذه الرحلة بنجاح ودون أن يتعرض لأي سوء.

هذا العمل الفكري شهادة حية على الفكر الإنساني الذي حاول الوصل بين الأرض والسماء.. حيث وقر لدى المصريين القدماء أن هناك حياة أبدية بعد

الموت تتجاوز عالمنا الأرضي.. وأن الموت ليس النهاية.

توقف فيكتور أمام رسم لشعبان ذي أجنحة ولديه قدمان كالإنسان.

هذا هو *نحب - كاو* الذي يقوم بحماية أرواح الموتى ويقدم لهم الطعام والشراب.. وكان الشراب الذي يقدمه لأرواح الموتى هو سائل يطلق عليه *حليب النور*

وهو عبارة عن طاقة حيوية يعيد للميت روحه وطاقته وقدرته على الحياة ويشفيه من كل مرض ومن سم الزواحف في العالم الآخر.

وهناك أبيات من الشعر الفرعوني.. وصور للحياة اليومية.

مضي قدما في الممر يتبعه كعبول.

ومضت في ذهنه إثر رؤيته تمثال منفرد يماثل حجما جملة (تتجلى الأم) ها هي إيزيس رمز الأمومة عند الفراعنة.

كان التمثال يكاد ينطق من فرط إتقانه.. بألوان الملابس الأخاذة والحلي حول يديها وعنقها.. تحمل بيد مفتاح الحياة وباليدي الأخرى عصا قماتها زهرة اللوتس.

وعلى رأسها تاج النسر ومن فوقه يتفرع قرني بقرة بينهما قرص الشمس.

(المس نور الحقيقة).

مد يده ليمسك الشمس فوق رأس إيزيس.. ما إن لامست كفه قرص الشمس حتى نبعت منه أنوار عدة غشت بصره لثواني قليلة.

بعدها غشيته غاشية للحظة وجد نفسه في مدخل مكتب متسع الأرجاء.

اجتاز فيكتور بضع خطوات داخل المكتب ليغلق الباب خلفه مباشرة ثم لمع ضوء شفاف من أعلى ومن زوايا المكتب.

واستمع فيكتور لصوت أزيز منخفض جدا.. شعر فيكتور بعدم اتزان ودوار أعقبه صوت أنثوي هادئ يهتف بثقة ووضوح: تم إزالة المتعقب.

شعر فيكتور بالقلق قبل أن يتساءل: صوفيا هل أنت بخير؟

حين ساد الصمت ولم يتلق إجابة من صوفيا أدرك فيكتور.. ما حدث.

المكتب مزود بمتفحصات لكشف التجسس.

ألقي نظرة على الجدران البيضاء اللون العازلة للصوت وقد عُلق عليها بعض شهادات منحت للبروفيسور خلال مسيرته العلمية.. منها أول شهادة علمية حصل عليها.

وجائزة المستكشف الصغير.. شهادة شكر وتقدير من جامعة بألمانيا لموافقة البروفيسور أن يطلق على جامعة الجيولوجين اسمه.

وسام العلم من الدرجة الأولى من مؤسسة علماء الكون، وجائزة شبيهة اينشتاين وسام العلم من مؤسسة الصليب الأحمر وجائزة نوبل للسلام.

بينما احتوى أحد الجدران على البوم صور ضوئي هولوغرافي ثلاثي الأبعاد يحتوى على صور لوالدي البروفيسور بمرحلة الشباب يتوسطهم جاك بأماكن مختلفة وصورة واحدة فقط ضمت البروفيسور وهو صغير مع معلمته.

بجوارهم ساعات تناثرت على هيكل ضخم بشكل كف يد احتوى على توقيت عواصم المدن المختلفة تتوسطهم العاصمة جاكرتا.

يأحدي الزوايا، شجرة ضوئية تناثرت غصونها تحمل صور لعلماء قدماء وعلماء حديثين ما زالوا على قيد الحياة.

ظلت الشاشات الطيفية المعلقة بالهواء مغلقة وتناثرت بزوايا المكتب أصيصات زجاجية مغلقة لزهور الهيليكونيا النادرة بجوار الأصيصات على

طاولة خشبية صغيرة.

استقر حجر الزولتانيست النادر المتعدد والمتجدد الألوان دائما وقد جاور الحجر النادر الضفدع الشفاف، وقد تم تخنيطه بحرفية ومهارة لتظهر جميع أعضائه الداخلية كالكبِد والقلب والرئة والجهاز الهضمي ظاهرة للعيان. انطلق كعبول نحو مستطيل زجاجي بإحدى الزوايا فتبعه فيكتور.. احتوى المستطيل على مادة حمراء معلقة.

اقرب فيكتور من المستطيل تأمل فيكتور المادة الحمراء وهي تطفو بداخله قبل أن يقول: إنها شبيهة لتلك المادة الحمراء على الدعوة.

المكتب الذي يتوسط الغرفة مرتفع عن سطح مثبت على ثلاث دوائر معدنية ذات ألوان مختلفة مزيج من الخشب والزجاج معا. المكتب على هيئة قرص الشمس.. تفرعت أشعتها على شكل أدراج أفقية متعددة.

بمنتصف المكتب وضع حاسوب ساميت الذي يحتوي على 4608 خوادم وما يزيد 10 بابتس وسعة حساب بيانات 30 عام مخزنة خلال ساعة واحدة وإجراء 200 ألف تريليون عملية حسابية بالثانية ما يعادل 200 بيتا فلويس.

وعلى أحد جوانب المكتب وضع مجسماً صغيراً للجامعة الذي كتب عليها اسم البروفيسور جاك كونور وعلى الجانب الآخر خريطة كاملة للمحمية داخل مكعب صغير الحجم وفواحة عطرية على هيئة فراشة زاهية الألوان.

تصدر نغمة هادئة ومجسم ثلاثي الأبعاد لطفل إفريقي صغير عاري الصدر تشققت قدماه يحمل الكرة الأرضية على كتفيه.

و ملف وثائقي يحتوي على اكتشافات واختراعات منذ بداية الكون للحظة الراهنة بقلم البروفيسور جاك كونور.

التقط فيكتور الملف الضوئي الذي وضع أعلى الأدراج العلوية ليقرأ باهتمام، ملف ضوئي يحمل صور مجسمة هولوغرافية كتب على الملف: غابات الأمازون.

ثم تابع فيكتور التاريخ المثبت أعلاه قبل أن يهمس:

- التاريخ المؤرخ هنا يوحي انها تمت منذ وقت قريب.

تضمن الملف صور ثلاثية الأبعاد لنهر الأمازون الامتداد 0046 متر فبدا بالصورة وكأنه حقيقي بانسياب المياه مرورا على الدول المختلفة البرازيل، بوليفيا، البيرو، الإكوادور، كولومبيا، فنزويلا، غيانا، سوريتا، جزء من فرنسا. ابتسم فيكتور وهو يشاهد صور قبائل غابات الأمازون وعاداتهم وطريقة معيشتهم البدائية.

وبعض الطقوس الخاصة بهم المختلفة بين قبائل وأخرى التي يبلغ عدد القبائل خمسين ألف قبيلة.

شاهد صورًا مجسمة بدت حقيقة لعجائز وأطفال بوجوه سمراء تزينت بخطوط ألوان مختلفة، تزينت صدورهم بأنياب حيوانات مختلفة.. وزينت منازلهم برؤوس بعض الحيوانات المحنطة.

ملابسهم الجلدية ورماحهم وسهام بعضهم لصيد الحيوانات.

فيما اختارت قبائل أخرى البنادق الحديثة الصيد، وقبائل أخرى اعتمدت على زراعة المحاصيل وصيد الأسماك والفاكهة البرية والمكسرات.

واكتفت مجموعات أخرى بعزلة تامة عن البشر والاتصال بالعالم، ثم تلا ذلك صور ومرتفعات الأمازون والأنهار والشلالات والمستنقعات وأوراق الشجر العريضة الكثيفة التي تظهر بعض الأماكن مظلمة.

التقط فيكتور بعض الصور المرقمة التوقيت زمني لحظة سقوط المطر أعلى الأوراق يليها صور توضح وصوله للأرض بفارق 15 دقيقة.

وبعض الصور محمية مانو المعتمدة من اليونسكو بأشجارها الخلابه وقد تناثرت فوقها الببغاوات بألوانها الطبيعية وصور لبعض الطيور النادرة.

طائر مالك الحزين وبعض الفراشات النادرة المختلفة الألوان والأنواع وصور متعددة لحيوانات مفترسة كالنمور والثعالب والحيوانات البرية والثعابين الضخمة الأحجام مثل الاناكوندا.

وأنواع مختلفة من الحشرات والخفافيش الخاصة الدماء والضفادع السامة وصور مجسمة الأسماك البراروكود الذي يبلغ طولها مترين.

وصور النبات فيكتوريا دامازتيكا ونباتات الغوانا العيون السرية، وأشجار جرافيوولا وصور عديدة لبعض النباتات المائية الطافية فوق المستنقعات بأحجام كبيرة.

فيكتور مع نفسه: غابات شيقة حقاً؛ بها من العلم والبحث والاستكشاف ما يكفي العلماء سنوات للبحث والتأمل.. بجميع المجالات.

أغلق الملف لينظر للملف الآخر ليقراً بصوت منخفض ما بداخله:

ملف الإيدز Hiv

الاسم ديفيد. العمر 8 سنوات.

كيفية انتقال المرض إليه: الأم.

طرق العلاج التي استخدمها...

نوع العقاقير المستخدمة...

فترة بقائه بالمستشفى وأيام غياب عن الوعي وخضوعه للعناية المركزة.

تطلع فيكتور للملف الضوئي الذي يحتوي على كل بيانات ومراحل الشفاء وجرعات الكبسولات من مرض الإيدز Hiv.

بدأ الملف بظهور فيروس ضئيل، تم تكبيره عشرات المرات وظهوره بالجسم وبدأ يتحد مع الخلايا الثنائية البروتينات.. أحد أنواع كرات الدم البيضاء بالجسم (5ccR,4cd) مكونا حمض نواة RNA وإحاطة ذاته بغلاف خارجي من البروتين من نوع 120 gy لاخترق خلايا الدم المناعية cell T.

شاهد فيكتور بعض ملاحظات البروفيسور على نسب تغلغل الفيروس Hiv ووصفه له بكلمة خطر عالٍ.

ثم ظهرت صور عديدة لكرات الدم البيضاء وإخفاؤها في صد أي هجوم فيروسي أو التهاب أو مقاومة ميكروب.

ثم بدأت مجموعة من المركبات الكيميائية. Acetogning بإحاطة جدار البروتين الخاص بالفيروس القهقري Hiv إثباط البروتين الخاص به وإحاطته.

ثم جاءت مرحلة دعم جهاز المناعة من خلال إعطاء مجموعة من الفيتامينات الطبيعية مركزة من الثوم والصبار والبرديكية.

لاحظ بعدها بدء مقاومة لجزء ضئيل من الطفيليات والبكتيريا سرعان ما نشط تدريجيا بعد عدة أيام.

صاح فيكتور باعجاب: مهلا هل نجح هذا الدواء فعلا؟ مدهش تم تنشيط خلايا الدم البيضاء والخلايا المتعادلة.

ثم قرأ ملاحظات البروفيسور: الخلايا تستعيد توازنها Neutrophils.

تزامن بعدها نشاط ضئيل لخلايا Lymphocytes.

لمقاومة عدوى فيروسية التي تصاحب مرض الإيدز (العدوى الانتهازية).

ابتسم فيكتور وهو يقرأ ملاحظة البروفيسور: خطة هجومية مباغثة للفيروس.

ثم تم دمج المركبات الكيميائية مع الفيتامينات الداعمة بجهاز المناعة. لتنشيط الخلايا القاعدية Basophils والخلايا الحمضية monocytes. تفاعلات الاستروجين acetogenins مع مركب قلويدي بمحاربة الفيروس Hiv بعد عزله وإحاطته بما يشبه الشرنقة حتى لا يتم انتشاره وإصابة باقي الخلايا.

مع كرات الدم البيضاء التي عادت لهجومها وكأنها تثبت أحقيتها بالدفاع لينكمش الفيروس Hiv متحورا حول ذاته يتضائل شيئا فشيئا ليتم القضاء عليه بعد مدة شهرين من العلاج.

ابتسم فيكتور بإعجاب، وهو يقرأ كلمة البروفيسور: تم شفاء الطفل بالكامل.

ثم نظر ثانية للملف وهو يظهر بالصفحات الأخيرة.. أشجار حرشفية يتراوح حجمها بين 5-6 متر ذات أوراق خضراء شديدة اللعان كتب بوضوح على الصفحات:

- أشجار الجرافيو لا غابات الأمازون.

ثم تلا ذلك صور بمعمل يظهر به البروفيسور فقط وهو يتابع كل المراحل بدءا من تنظيف أوراق أشجار الجرافيو لا بماكينات بخار، ثم وضع للأوراق وهي تذاب بدرجة حرارة عالية.

لاستخراج acetogenins على دوائر معدنية ضخمة مثقوبة ذات إطارات معدنية تحيط بها يتم غمس الدوائر الشبيهة بالغربال بالماء المغلي، ثم تليها مرحلة

التبريد والدخول لما يشبه سرائر هوائية ذات تيارات باردة.

تتكون كتل يابسة، ثم توضع ببراميل زجاجية ضخمة تنتهي بأنابيب مفلطحة تخرج منها الأجزاء مطحونة.. أخذ البروفيسور بعض العينات ثم وضعها تحت مجهر وأضاف بعض المواد الأخرى لتعطي إشارات بصلاحية الدواء.

ثم تم وضعها على الآلات دقيقة صغيرة تشبه العصا المعدنية مزودة بنقاط حمراء تظهر حجم ومقدار كل كبسولة لتبدأ مرحلة الكبس وتحول إلى مضغوطات.

أطرق فيكتور يفكر وقد تملكته الأخيرة وهو يراجع بعض ملاحظات جاك على الملف:

- لماذا يخفي البروفيسور هذا الدواء بعد أن توصل له وأثبت نجاحه؟ إن هذا الدواء الذي اكتشفه هو طفرة علمية وقفزة بعالم الطب؟ لقد حصد هذا المرض أكثر من 100 مليون شخص، ولا يزال يحصد.

لماذا اختص البروفيسور ذاته بسر الشفاء؟ لماذا لم يتم طرحه وتداوله مثل كل عقار توصل له؟

لقد قام البروفيسور بمراحل تصنيع الدواء بالمختبر الشخصي الخاص به بنفسه؛ فلا أحد يمكنه الدخول لهذا المعمل سواه فقط ليبقى سر الشفاء مجهولاً للجميع؟

أخرج من أحد الأدراج ملفات تحمل رقم 8 وتذكر الرقم بالدعوة الخاص بنفس الرقم.

تفحصها بروية.

شعر فيكتور بالدهشة والفرح المشوب بعلامات الاستفهام وهو يرى نظريته مكتملة ومرفق معها دراسة جدوى كاملة توضح نسب نجاحها وإمكانية تطبيقها والأبحاث التي أقيمت عليها.

ودراسة الجدوى لها لنهاية الملف وضعت ورقة أخرى تبدو كعقد أو اتفاق. قرأها فيكتور بصوت منخفض:

- سيد فيكتور هذه نظريتك قد تم تكملتها مع إجراء جميع البحوث ودراسات الجدوى التي أثبتت نجاحها.. هناك خياران أمامك الآن:

- توقيع العقد يترتب عليه ظهورها للعلن كاملة باسمك.

- عدم توقيع العقد تعود نظريتك غير مكتملة.

استغرق الأمر ثواني فقط بعقل فيكتور:

- لقد أكمل البروفيسور النظرية، وذلّل لها كل السبل للاكتمال، وأثبت نجاحها.. وحفظ حقي فيها وإخفاء دوره لأمر ما؟ ظل يفكر لحظات لو اختار عدم التوقيع ستظل النظرية بحاجة لدعم وأبحاث لتثبت نجاحها.. قد يطول الأمر لعام على الأقل.

ليجد معامل كاملة مختصة توازي إمكانيات المحمية تتكفل بها.

إذن فلقد اختار البروفيسور تبني الفكرة ودعمها وتبقى على فيكتور إخراجها للنور فقط.

التقط فيكتور القلم ووقع العقد.

شعر فيكتور بحركة خلفه استدار لينظر لفتاة عشرينية متوسطة الطول ذات بشرة بيضاء وشعر أصفر قصير يحيط بوجهها تملك عينين زرقاء تشع ذكاء، وأنف دقيق صغير وجبهة عريضة وذقن صغير.

ترتدي بنطال أسود وبلوزة زرقاء وحذاء رياضي أسود اللون ذا خطوط زرقاء على جوانبه.

نظرت له بهدوء وابتسمت ترحيباً به قبل أن تعيد خصلة شعر إلى الوراء كانت قد لمست عينيها؛ فظهرت سلسلة ذهبية تحيط بعنقها تحمل اسم ريسل resel عدلت قرطها الذهبي الذي اتخذ شكل نجمتين وأحكمت ساعة اليد بمعصمها.

قال فيكتور للفتاة: مرحباً بك.

ظلت الفتاة تنظر له بهدوء وقف كعبول بجوار فيكتور ثم هز ذيله ترحيباً بالفتاة التي تأملت كعبول بضعة لحظات، ثم تحركت شفتها قليل بما يشبه ابتسامة صغيرة.

ران صمت ثواني بينهم ثم قال فيكتور:

- لا يزال العلم يذهلنا بكل جديد بين كل لحظة وأخرى، ويوم بعد يوم وإلى أي مدى سنصل؟ هل للعلم حدود سنتوقف عندها؟ أم هي ألغاز متتالية والعلماء لا يملون من حل أصعب الألغاز؟

- نعم العلماء لا ينتهي ولا يرتون من علم.. هم دائماً عطشى لكل ما هو مستحيل يخضعونه بالبحث والإصرار فيحققونه.

الأمر أشبه بقطار سريع يقوده أحدهم لمحطة ما.. وما إن يقترب من محطة الوصول ويخلق محطة أخرى.

فيبقى دائماً القطار بسيره السريع ولا يتوقف بمحطة وتعرف أنها النهاية يبقى العلماء دائماً قبس نور يضيئون دياجير العتم وسنبلات خضراء أعطت أرض جذباء سرها لتزهر.

ألقى نظرة إعجاب للفتاه ثم تابع:

- تبدين للوهلة الأولى بشرية حتى التصرفات وتعبيرات الوجه.. هذا نوع متطور جدا.. تكنولوجيا راقية أن تجعل للآلي يمتلك رد فعل بشرياً.

ألقى نظرة أخرى عليها قبل أن يواصل عملية البحث بين الأدراج.. رفع رأسه لأعلى حين بدأت الشاشات تفتح وتقوم بالبحث؛ لتظهر غرفة رئيس الأمن ويظهر بالبحث رجلان يتصافحان ويتحاوران وعلم فيكتور أسماءهم بسرعة: توماس وروجر.

جذبت هذه المشاهد والمحادثة أنظار فيكتور.. مع توضيح في أسفل الشاشة بالمكان وإحداثياته وشخصيات من المشهد.

وكان هناك جهاز تتبع على الأشخاص.. يتعقبهم داخل المحمية.

العالم روجر الكسندر ورئيس الحرس توماس منصور

* غرفة توماس منصور*.

غرفة نوم صغيرة تحتوي على سرير ومكتب صغير ومقعدين مريحين، وبعد فاصل زخرفي قصير يقبع مطبخ صغير بأجهزة إلكترونية بسيطة يوفر الطعام والأشربة المختلفة بمجرد لمس القائمة على الحائط.

روجر يجلس أمام توماس وقد حنى ظهره ممسكا رأسه بكليتا يديه. وجسده ينتفض انتفاضات بسيطة تدل على أنه يبكي.

توماس وقد ظهر التأثير عليه وإن لم يحاول أن يقترب من روجر.. تاركا إياه يخرج آلامه وضيقه عبر البكاء.

خرج صوت روجر محشرج:

- لا أستطيع تمالك نفسي.. كنت سأفقد ابني.. والآن كما رأيته أنت..

عاد طبيعى.. كلما تذكرت استعدادي لوداعه.. يكاد قلبي يتوقف.

هز توماس رأسه وبعينه نظرة عزم أكيد:

- حمدا لله.. انتهت معاناتك وواجبنا أن ننهي آلام الملايين.

اعتدل روجر في جلسته وهو يمسح وجهه ودموعه:

- بعدما تأكدنا وجود علاج الإيدز. وما حدث لابني ديفيد من شفاء مذهل.. لا يمر يوم إلا وأتقن أن وراء هذا الشفاء البروفيسور وعلاجه الجديد رغم إنكاره.

- أنا أيضا أكيد من هذا.. سنحصل على الحقبة ونواجه بها البروفيسور كدليل لإجباره على إعلان التوصل لعلاج.

- لقد أعددت كل شيء.. ولكنني لن أطلق أي جرثومة.. لن أجازف بحدوث أي ضرر ولو بسيط لأي كائن.. فقط أريد إنقاذ ابني.

انفض توماس معترضا قائلا:

- ولكن الإنذار يجب أن يكون حقيقيا.. ألم نتفق على إطلاق جرثومة إنفلونزا خفيفة.

إن استطعت خداع الأمن الإنساني لن تستطيع خداع الأمن الإلكتروني.

نظر روجر لساعته المؤقتة وأعدادها تتناقص:

- لا تقلق.. تعرف أنى بارع في برمجة الحاسوب واختراقه.. سينطلق بعد ثلاث دقائق الإنذار في كل المحمية بانكسار عبوة جراثيم خطيرة ووجوب الإخلاء والتوجه للأقبية الآمنة تحت الأرض.

تجول توماس بالغرفة قلقا ثم استدار ليجلس وقد ظهر اليأس على ملامحه:

- سيكشف الأمر.. لم نتفق على ذلك.. أنت لا تعرف كم أجازف.. ويكاد

عقلي ينفجر. إلا تدرك أنني هكذا أخون ثقة صديقي البروفيسور بي؟
أشار له روجر مطمئناً:

- توجد عبوة جراثيم خطيرة فعلاً.. سوف تكسر في خزانة مشفرة وآمنة.
بمجرد أن تنكسر سيلتقط ذلك أحد استشعاريات الخطر بداخل تلك الخزانة
ولكنني تلاعبت ببرمجة الحاسوب.

فبدلاً أن يطلق إنذاراً بخطر محدود آمن، سيطلق إنذاراً بخطر شامل وكأن
العبوة كسرت في الجو العادي.. ولن يشك أي أحد بما حدث بعدما ينطلق الأمان
وبعد التحقيقات لن يظهر إلا أنه كان خطأً آلياً.
لا أرغب في أن أسبب الأذى أبداً.

ظهر بعض الاطمئنان على توماس وإن كان يخفي آلامه والتي ظهرت بعينه
القلقتين:

-أحسن صنعاً، ما دمت أكيد أن الإنذار سينطلق.. بالإخلاء الشامل
فلنستعد.. يجب أن ننتهز عدم وجود البروفيسور بالمحمية وفوضى الإخلاء.
جلسا مترقبين الوقت بقلق.

ما إن انطلق الإنذار حتى خرج كل من روجر وتوماس من الغرفة..
متهزئين زحام المنطقة التي تحيط بهم.. انخرط روجر مع المتجهين نحو الأقبية،
بينما اتخذ توماس طريقه مخترباً الجموع لمنطقة البنوك السرية.

حيث يستخدم توماس بطاقات تعريفه وبصمته ليتجاوز الأماكن المحظورة
على الجميع.

تغيرت لقطات الشاشة أمام فيكتور لتظهر أماكن عدة متتالية من المحمية. يخرج منها الناس، وتوالت البيانات على الشاشات؛ معامل.. أماكن نوم.. المطاعم.. المختبرات.. المزارع بمختلف أنواعها.. مستشفى العاملين بالمحمية. ارتسمت بالجو وعلى الأرض وكل الجدران إشارات ضوئية خضراء في كل الأمكنة لتدل قاطني المحمية لأقرب مدخل للأقبية الآمنة تحت الأرض. وما زال صوت الإنذار يدوي في كل الأرجاء.

تعجب فيكتور من كم الناس في المحمية وأدرك الآن وهو يشاهد اللقطات المتتالية اتساعها الشاسع والذي أذهله رغم تجوله في عدد كبير من الأماكن بها سابقا.

تبدو المحمية الآن وكأنها مدينة مليونية كبيرة.. متعددة الطبقات فوق الأرض وتحتها.

بل إن هناك حياة كاملة في بحيراتها العذبة والمالحة.. والتي تتكون من طبقات عدة للأبحاث وتنمية الأسماك.. أظهرت الشاشات إخلاءها أيضا من العلماء والعاملين.

توالت البيانات.

تغيرت اللقطات أمامه لتظهر انطلاق سرب من الطائرات الآلية الصغيرة تطير بشكل هندسي منتظم ثم تتفرق مكونة ما يشبه الشبكة والتي ظهرت إحداثياتها أسفل الشاشة.

متخذة الإجراءات بعمل غطاء حماية شامل كي لا يتسلل أي خطر محتمل إلى خارج المحمية.

وفي نفس الوقت استعدت أجهزة آلية تشبه الكرات الصغيرة؛ بعضها يتدحرج أرضاً، والبعض يطير لمسافات متغيرة لإطلاق منظف للجو والأرض والماء على جميع المحمية بمجرد أن تم تحديد نوع الجراثومة بعد نصف دقيقة من انطلاق الخطر.

وظهرت ملاحظة:

تم الانتظار هذه الفترة البسيطة لتحديد مكان الخطر واتساع مناطقه وتقدير مدى الانتشار.. لتحديد نوعية الوقاية وعلاج هذا التسرب
مرة أخرى تغيرت لقطات الشاشة أمام فيكتور.

ظهرت الأقبية الآمنة تحت الأرض وقد بدت تتوافد عليها الجموع من كل مكان حيث توجد ساحات العزل.. والتي تعمل بها أجهزة طبية لفحص الداخل إليها بشكل فردي والاطمئنان أنه لم يصب بالجراثومة.

وتعقيم ملابسه وكل جسده حتى وإن كان خالياً من أي جراثيم.. ومن ثم يتوجه من تتأكد نظافته.. لأجزاء الأقبية الخاصة بالمعيشة حيث أماكن للنوم وأماكن للترفيه والتسلية مع توافر ماكينات الأطعمة في كل مكان.

أظهرت البيانات توافر أشعة تماماً لأشعة الشمس حالياً.. تم برمجتها للتعاقب مع أطوار القمر المختلفة حتى يتم الحفاظ على الساعة البيولوجية لدى المقيمين بالأقبية سليمة.. مع إيضاح لفتح أبواب سراديب عدة.. تصل أماكن المعيشة بباقي المعامل تحت الأرض.. حتى لا يتعطل العمل بالمحمية.

ظهر كل هذا أمام أعين فيكتور المندهشة من عظم التجهيزات.. أحس فيكتور بالمتعة وهو يرى إجراءات الأمن والسلامة المتوفرة بالمحمية وكأنه يشاهد

أحد أفلام الخيال العلمي المذهلة.. ولكن ما زاد دهشته أن هذا واقع فعلا وليس خيالاً.

ومن دون أن يشعر همس:

-ليتك ترين هذا معي يا صوفيا.

عبست ريسل في الخلف.. وإن لم تصدر أي صوت.

وظهرت على الشاشات بيان أن المكان يستطيع إعاشة وإعالة نصف مليون شخص لمدة 10 سنوات على الأقل.

على سطح الأرض كانت جنود الأمن (بشرية وآلية) تمارس عملها في الإخلاء وتمشيط المكان خاصة في مهاجع النوم وأجزاء العناية بالمشفى.

في خلال 5 دقائق كان ما فوق الأرض بالمحمية خال من أي إنسان ما عدا رجال الامن.. وإن كان النشاط تحت الأرض في أقصى حالاته.

ظهر مشهد جانبي لتوماس يتجول بحذر، وظهرت بيانات المكان.

البنوك الحيوية السرية.

تابع فيكتور وكأنه يشاهد فيلم مغامرات مثير.. تحركات توماس التي

أصبحت حذرة جدا في هذه المنطقة الخالية من الناس.

تم تكبير الصوت آليا لسمع صوت توماس الهامس أثر تصلب جسده وتوقفه فجأة:

- هناك أمر مريب.. ما الذي أوقف الرجال الآليين عن عملهم الآن.

تجولت عيناه بالمكان متعجبا لمشهد الرجال الآليين قد توقف كل منهم في نصف حركاته فجأة، وكأن هناك من ضغط على زر واحد لتوقيفهم.

وكانها يطمئن نفسه بالتحدث معها:

-أمامنا ربع ساعة حتى ينطلق الإنذار الأولي بالأمان.. لن نتفتح الأقبية إلا بالإنذار الثالث والأخير بالأمان.. ولكن يجب أن أسرع تحسباً لأي شيء..

صوت متقطع تجاور مع صوت إنذار الخطر الأول.

امتقع وجهه.. وسجلت البيانات ارتفاعاً شديداً في دقات قلبه وارتفاعاً آخر للأدرينالين بجسده. وهو يهمس:

-دخيل بالمحمية؟

انفتح له مصعد البنوك بعدما تم فحصه.. وسمح لتوماس بالعبور.. وانغلق الباب وراءه.

التقط مشهد لتوماس داخل البنك وهو يعدو بثقة داخل الممرات وإن كانت عيناه زائغتين من القلق.. فحصه الأمني ينبئ بأن هناك خطراً ما.

توقف وواجه أحد الجدران حيث تراصت أرقام وحروف مختلفة على أجزائه.

أخذ يضغط بشيفرة خاصة على الأرقام مضت 5 ثوانٍ تم فيها فحص وأعطيت إشارة الأمان.

انفتح باب صغير يخفي وراءه حقيبة متوسطة الحجم.. تأكد توماس من إعداداتها وبدأ بأصابع خبيرة في إجراء بعض التغييرات على تلك الإعدادات لتلائم الجو الخارجي ولا يفسد ما بها.

توجه لطريق الخروج وهو يلتفت حوله.. وانحرف لبضع خطوات.. فاتحاً خزانة أخرى.. والتقط منها شيئاً وضعه في جيب سترته.. ثم عاد لمساره الأول مرة أخرى.. انفتح له الباب تلقائياً بعد الفحص المعتاد.

-أتممت نصف المهمة.

ألقي نظرات حذرة ليستطلع المكان أمامه.

تنقل بصر فيكتور ما بين الشاشات، وبين ملف ديفيد المفتوح أمامه، بينما كلمات توماس وروجر ترن في أذنيه.

وأخذ يراجع ملف الطفل مرة أخرى.. لم يسمع من قبل تحسن حالة إيدز.

فيتامينات وبعض المضادات الحيوية!

تأكد أن هناك علاجًا بالفعل. ملأت الحيرة نفسه. لم لا يريد البروفيسور

الإعلان عن الدواء وهو أمل الملايين ونصر علمي هائل؟

ثبت أمامه أن بالفعل حالة الطفل تحسنت بعدما كان موشكًا على الفناء.

ومعدلات انتشار المرض في جسده تلاشت وجهازه المناعي يشبه جهاز أي طفل معافي.

تكلم وهو يشعر بالاستياء: ما الذي تحاول أن تخفيه هنا؟

همهمة خفيفة صدرت من ورائه جعلت فيكتور يستدير بكرسيه ليقف إثر

إدراكه بوجود بروفيسور جاك كونور وقد تمثل أمامه بجوار ريسل.

والتي لم يتغير مظهرها وإن كان الاهتمام يظهر على عينيها المتابعة وكأنها

بانتظار أوامر ما.

ظهر البروفيسور تمامًا كما يعرفه من صوره في المراجع والإعلام.. والذي رد

على تساؤل فيكتور.

-لم تسنح لي الفرصة لمحاولة القيام بشيء.

نظر بتمعن لفكتور وهو يهز رأسه متفهمًا ثم ابتسم وقال: إذن هو كذلك.

أدرك فيكتور أن ما أمامه هو طيف للبروفيسور وليس هو حقيقة.. بينما استكمل البروفيسور:

- سيد جولدمان، ليس لدي الكثير من الوقت.. كنت في انتظارك.
بدأت الدهشة تختفي من قسما فيكتور ليحتل مكانها الاهتمام والفضول وهو يتفحص ملامح الهدوء وإن كان الحزن في عيون البروفيسور واضحا والذي أكمل:

- إن الهدوء الذي يحيط بك الآن ما هو إلا الهدوء قبل العاصفة.
اقرب فيكتور منه وعلامات الحيرة بادية عليه.
- ما الذي يجري هنا.
-الكثير

صمت هنية ثم أكمل:

-إن كنت تتساءل عن علاج لمرض الإيدز.. نعم لقد توصلنا للعلاج.
ثم نظر تجاه الحائط على يمين فيكتور؛ حيث انفتح بها درج تطل منه حقبة.
والتفت فيكتور على الأثر ليرى ما ينظر إليه، بينما استأنف البروفيسور حديثه:

-هذه هي الحقبة التي سعى وراءها توماس وروجر، وكما لاحظت مستغلين عدم وجودي بالمحمية وصلاحيات منصور المفتوحة.. ولكن ما توصلوا إليه كانت حقبة أخرى وضعتها للتعمية وما بها ليس له أهمية على الإطلاق.

هذه الحقبة التي أمامك تحتوي على التركيبة الأولى لعلاج الايدز والتي هي العامل الفارق في حياة المئات الملايين من البشر.

هي كذلك تساوي مئات التريلونات من العملة العالمية الموحدة. وتسعى لها جيوش من المؤسسات المختلفة الأغراض.

هناك من يسعى لخير البشرية على حد زعمهم.. وهناك من يسعى لمعرفة التركيبة العلاجية وإنتاجها ليكسب ماديًا.. وهناك من يسعى لإخفائها لأنها تمثل خرابًا لاستثماراتهم في الدواء فوجود علاج نهائي وبخس الثمن كما قد تنتجه المحمية سيقضي على مكاسبهم ومتاجرتهم بأمراض البشر تمامًا.

قال فيكتور: لقد قرأت السجلات الخاصة بالطفل المصاب بالإيدز هنا.. ثم نظر للبروفيسور.. مكملًا:

- هو ابن العالم روجر ألكسندر الذي رصدته أجهزة الحماية لديكم.. لماذا قد يفعل ذلك؟

رفع البروفيسور حاجبيه مشيرًا برأسه تجاه المكتب:

- لقد تركت لك كل الأدلة مفتوحة أمامك لعلك تكتشف السبب.

يعترض فيكتور:

- ما رأيته هنا.. رأيته أنت مسبقًا.. لقد توغلت أجهزة الحماية لغرفهم

الشخصية وسجلت محادثاتهم.. وهناك رصد لمحادثاتهم على حساباتهم الشخصية.. هناك ملف لرئيس الأمن وهو يتأسف على حاله مما يفعله.

وأنه ما فعل ذلك إلا من أجل البشرية وإنقاذ الملايين وهو لا يتبغي من وراء ذلك أي منفعة شخصية.

قبل بضع شهور

بينما روجر يتمم على نتائج تحليل العينات المطلوبة منه منذ فترة وتأخر في عملها.. كان ذهنه يشرد أحيانا.. فيراجع مرة أخرى عمله.

حتى اطمأن أن التحاليل والبيانات سليمة للمرة الأخيرة خوفاً أن يكون تشتت ذهنه قد سبب أي خطأ كالمعتاد مؤخراً.

أعطى أخيراً أمر بطبع البيانات المطلوبة وإرسال التقرير لرئيسه المباشر.

وبينما ذهنه يستعيد ما حدث في مقابله الأخيرة للبروفيسور.

أتاه تنبيه جعله يفيق بأن البروفيسور يستدعيه للمقابلة.

انقبض قلبه.. هل اتخذ البروفيسور ضده إجراء عقوبياً لتسلله لملفات بعيدا

عن تخصصه واكتشاف تلاعبه بالبيانات وإعدادات الحواسيب للحصول على معلومات سرية ليس من حقه الاطلاع عليها.

لم يستعن *بسيارات البايو فاير* مفضلاً المشي في الطريق لعل السير يخفف

من حدة توتره. ما زال على مواعده نصف ساعة.

لا يعرف، لم يستدعيه البروفيسور ولم تمض ساعات على مقابلتهم.. كيف

سيقابله البروفيسور؟ وهل أن الوقت قد حان لإسدال الستار على عمله في هذا

الصرح الكبير؟

ماذا سيفعل في حال ابنه إن ترك العمل؟ كل شيء أصبح باهظ الثمن.. ولا

علاج أو رعاية مهما كان يطلق عليها أنه مجاني هو مجاني بحق.

وبالرغم من أجره العالي في العمل لدى المحمية إلا أن المستشفيات كانت

تسلبه معظم ما يجنيه.

وصل لمكتب البروفيسور والذي أذن له مباشرة بالدخول.

دخل من الباب وهو يحفف عرقه.. أشار له البروفيسور أن يجلس وقد انشغل ببضع وريقات أمامه.

سرعان ما ارتقى بكل ثقله من دون قصد على المقعد الذي أصدر صوتاً معترضاً. مما جعل البروفيسور يترك ما بين يديه وينظر إليه.. وسرعان ما علت وجهه وعين البروفيسور نظرة متفهمة للاضطراب الذي يعتلي بنفس روجر. فابتسم ابتسامة صغيرة مطمئنة.

- لقد اطلعت على ملف ابنك الذي تركته لدي.

كما وردني بياناً برحلاتك الشاقة للمستشفى الذي يقيم فيه. أريد منك أن تحضره لمشفى المحمية.

هنا الرعاية افضل ولن تكلفك شيء ستكون إقامته وما يحتاج إليه على نفقة المحمية.. لقد راجعت ملفات المشفى الذي يقيم به.. إن التكلفة باهظة جداً وتلتهم جميع مواردك المادية.

سأرسل طائرة خاصة مجهزة لإحضاره؛ حتى تتسنى لك مرافقته في أوقات فراغك من العمل هنا.

لم يصدر أي صوت من روجر.. وبدأ عليه أنه لم يستوعب بعد ما حدث به البروفيسور.. بينما ظل البروفيسور صامتاً موجهاً ابتسامته الصغيرة لروجر في انتظار إبدائه رد فعل على كلامه.. وعندما تأخر رد فعل روجر.. قام البروفيسور من مكانه منها اللقاء:

- وردني أنك أنهيت العمل المتأخر لديك.. أمامك ساعة من الآن تتجهز فيها لتستقل الطائرة.. لا تتردد في الاتصال بي إن واجهتك أي عقبة في الإجراءات.. إلى اللقاء.

أفاق روجر وقام مرتعدا ماداً يديه للبروفيسور والذي شد على يديه. منهايا اللقاء.

بعد أسابيع من لقائه بالبروفيسور في غرفة معمل روجر
 روجر ترسم على وجهه الفرحة وهو يراجع التقرير أمامه غير مصدق.
 انطلق من فرحته يتصل بتوماس ليعرف أين هو.. أخبره أنه يتجول في الأرجاء في
 تفتيشه الدوري اليومي.. وأنه على وشك الانتهاء.

- هل يمكنك الحضور إلى.. أنا في مختبري.

- صوتك فيه فرحة. ماذا حدث؟

-عندما تأتي سأخبرك.

-دقائق قليلة وأكون عندك بالمعمل.

دخل توماس المعمل ووجد روجر جالس يحدق في شاشة الحاسوب.

-أهلاً توماس انظر إلى هذا.

إن جسد ديفيد يقاوم الخلايا المريضة ويحاربها بشدة.. إن الحمض النووي
 المتضرر يعود لطبيعته.

توماس وهو يشعر بالدهشة: نعم، أرى هناك فرقاً كبيراً بين نتائج التحاليل
 منذ قبل دخوله المحمية والتحاليل الآن.

أتعرف؟ لقد رفع كف يده اليوم عندما غادرته.. ومن فرحتي لم أشك بشيء
 ولكني ألاحظ يومياً أن الولد تعود الحيوية إلى وجهه.. وعزوت ذلك لالتفاننا
 حوله ورؤيته لك عدد من المرات يومياً.

روجر وهو يكمل كلامه: إن البروفيسور يعطيه كورساً مكثفاً بنفسه، ويتابع
 حالته يومياً.

فرح توماس بذلك ثم أجابه: كنت متأكدا أنّ البروفيسور سيستطيع ما عجز عنه الآخرون في العقود الماضية.

قال روجر: ولكنه ينكر ومصمم أن ما يأخذه ديفيد فيتامينات مكثفة ومضاد حيوي فقط.

قال توماس: أنا لست بارعا في العلوم الإحيائية، ولكن ربما كان ذلك صحيحاً.. لقد تشوش ذهني يا روجر.. لا أعرف.

بعد مرور عدة أسابيع أخرى.. في غرفة عادية بمشفى المحمية امتلأت بالعديد من الألعاب.

يجلس توماس في فترة استراحته يلعب مع ديفيد الممتلئ بالحيوية والحركة، وقد بدا شعره الأشقر القصير لامعا كشمس تحيط بوجهه المكتنز الوردي وعينه الزرقاوين الشقية.

صاح وقفز فرحا إثر هزيمته لتوماس في لعبة *الريست*. بينما تظاهر توماس بالألم من الهزيمة. وهو يراقب الطفل الذي تشع منه الصحة بعد أن كان مجرد عظم يكسوه الجلد ولا يقوى حتى على فتح عينيه أو حتى الهمس.

مربوطا بكم من الخراطيم للتغذية ومساعدة قلبه ورئتيه الواهنتين على التنفس.. ها هو بعد صمت غرفة خيمة العزل الكثيبة الذي لا يسمع حولها إلا صفير رتيب خفيض للأجهزة.

انتقل لغرفة مشمسة يسمع فيها ضحكاته ممتزجة بتغريد الطيور آتية من النافذة التي تطل على الحديقة وقد سمح له أن يسبح في بركتها الصناعية مرة باليوم.. بل ويتجول بحديقة الأسماك المحيطة بها.

كلما تذكر توماس مشهد المرضين وهم ينقلوه من طائرة الإسعاف تحوطه خيمة العزل الشفافة وكم هائل من الاسلاك والخراطيم تتصل بديفيد الملقى في سريره كالورقة.

يومها لم يتمالك توماس المصارع السابق القوي نفسه وارتجف قلبه قبل قدميه.. وخر راکعاً على الأرض.. فما كان ما أمامه وقتها ديفيد الطفل الذي طالما شاهده وراقب صورته بمعمل روجر.. بل إنسان ميت يحيا فقط بالأجهزة. وهو الآن يفرك عينيه ليتأكد أنه نفس الطفل الذي يتراقص أمامه فرحاً بالنصر في اللعبة.

انتبه على صوت ديفيد يخبر والده أنه انتصر مرة أخرى على العم توماس. قام كالمهزوم الذي جرحت كرامته مطالبا بفرصة يستعيد فيها قوته وسيكون في المرة القادمة هو المنتصر رغم قوة ديفيد الظاهرة.. فقط ليعطيه بعض الوقت ليستعيد لياقته.

تأمل توماس روجر والذي بدا كرجل آخر تماماً.. بابتسامته وقامته التي طالت باعتدال جسده وانتشار الحبور والحيوية إليه.. وتألقت الفرحة على قسائه وكأن الزمن عاد بهيئته لعشر سنوات ماضية.

رقد ديفيد على السرير اتباعاً لأمر والده.. الذي أخذ منه مسحة من الأنف والفم.. ليضمهم لكيس معقم به بعض من الفضلات المختلفة لديفيد.. أخذها من خزانة حفظ بالحائط حيث تضعها له الممرضة يوميا.

ودعا ديفيد وسط ضحكاته مع وعد بزيارته بالمساء إن التزم فراشه وتناول كامل وجبته.

توجهها لمعمل روجر.. الذي طالب توماس بمرافقته.. بما أن اليوم هو يوم عطلته وليس لديه أي مهام:
قال روجر: أنت في عطلة. ألم تجرِ تفتيشاً منذ ثلاث ساعات.. ارتح قليلاً..
تعال معي.

لنتأكد مما وصلت له بالتحليل أمس.. أنا لا أكاد أصدق.
توماس وهو يعدل جلسته: تحمسيني بالكلام من الأمس ولا تفصح.
سأتركك وأجري التفتيش إن لم تخبرني.
روجر وهو يضحك: تعال تناول قهوتك، وخلال عشر دقائق من وضعنا كل العينات بالمختبر الحاسوبي.. ستعرف.. هيا.
ظهرت على الشاشة أمامها النتيجة.
خلاصتها أنّ جسد ديفيد قد تعافى تماماً من الإيدز.. لا إشارات لوجود المرض به.

ساد بينهما صمت فرح وحائر بنفس الوقت.
روجر: أتذكر ذهابي للبروفيسور منذ أسبوعين؟
-نعم أذكر.. ألم يكن بشأن علاج ديفيد؟
- كان لشأن آخر. لقد وجدت مادة غريبة طرحها جسد ديفيد.. مادة غير معروفة في العالم أجمع.. لم تتعرفها حواسينا قط.

توماس وهو يحاول فهم ما يحصل: قد يكون مضاداً حيوياً جديداً.
روجر: لا، أي مضاد حيوي هذا الذي يشفي من الإيدز؟ هل كنت سترى الملايين تتلاشى عافيتهم ويموتون منبوزين ومعزولين إن كان هناك دواء شافي كهذا.

توماس: لقد احترت حقاً يا روجر.. لم يخفي البروفيسور؟
 -لقد واجهته بالتقارير عن تحسن ديفيد.. وإن هذا مذهل ولا يمكن أن يكون فعل الفيتامينات والمضادات الحيوية فقط.
 انقلب وجهه وظهر عليه انعدام الصبر السابق قائلاً: ليست لديه أي فكرة عما أزعمه من دواء خاص.
 وأن علي أن أراجع بروتوكول الدواء وكل ما فعلته لولدي. وإن كل ما فعله هو أنه أعان جسم الطفل بالفيتامينات والمضادات الحيوية وما شابه فقط.
 وحذرنى أن أتحدث بما حدث لديفيد.. وأنه يجب أن أخفى الأمر بالكامل.
 ولا أتحدث إلا عندما تتوافر لديه المعلومات الكافية الأكيدة حتى لا تحدث أي فوضى أو مشاكل غير ضرورية؛ لذا لم أخبرك بتفاصيل ما حدث.
 توماس يتابع وبفضول: وماذا بعد؟
 روجر وهو يحدق إلى الشاشة: لم أقتنع بكلامه قط.
 وبعد ذلك بفترة قصيرة..
 روجر يجلس على مقعد في حديقة توماس الذي كان يضع أدوات الفلاحة في كشك صغير قرب المقعد.
 ناوله روجر كوب القهوة الذي أتى به معه وقد بدت عليه الفرحة.
 بادره توماس: هل اطمأنت على ديفيد في مدرسته الداخلية؟
 - نعم.. تجهيزاتها جيدة.. أنت تعلم أن التعليم الآن مكلف جداً.. ستكلفني مدرسته ثلاثة أرباع راتبي يا رجل.. لا أعرف، ماذا سأفعل عندما يلتحق بالجامعة.

رغم توافر المواد العلمية وأدواتها ولكن الالتحاق بمراحل التعليم المختلفة مرهق ماديا جدا.. وكأن هناك خطة عامة حتى يتتشر الجهل وتضمحل منابع العلم في العالم.

- لم لا؟ تسأل البروفيسور ليلحقه في المدارس التابعة لنا.. مستواها العلمي فوق الممتاز.. والعلم والإقامة بها منحة من كبار رجال الأعمال كمحاولة لنشر العلم والثقافة وخلق كوادر أكاديمية متميزة منذ الصغر.

قال روجر: ليس لي وجه أقابله به.. بعدما أزعجته كثيرا.. الرجل تسبب في شفاء ابني وأنا الاحقه ليعترف بأن لديه دواء جديداً.

ولكني متأكد من أنه يخفي أمراً. خاصة أن إجاباته غير منطقية وملفقة كمحاولة منه أن أنهي التفكير بالأمر.

سرح توماس ببصره وقد عقد حاجبيه مركزا فيما قاله روجر.. بينما روجر يكمل حديثه:

- عندما اشتد تقدم المرض على ديفيد سابقا استخدمت مهارتي في التسلل لحواسيب مختلفة ليس من صلاحياتي دخولها وتفحصت الملفات.. وجدت إشارات عدة للوصول الي العلاج.

فوجدت الأبحاث والقوائم الدالة على عمل قسم المناعة بالمحمية على المرض.. وخط انتاج للدواء.. كما وجدت بيانات تدل على نجاحه بنسبة 100٪. ولكن كل مرة كنت أجد معلومة ناقصة في كل ملف وكأن ذلك قد تم عمدا.

حتى لا يعرف أحد المعلومات الكاملة.. وكأن العلاج وأبحاثه كقطع البازل.. والقطعة الأساسية مفقودة أو يتحفظ عليها شخص ما.

اعتدل توماس وربت على كتف روجر مخاطبا:
- أنا أيضا تعجبت عندما أخبرتني بقول البروفيسور إن المحمية غير مهمة
بهذا المرض وعلاجه.

كنت أكيد، ولدي شعور أن هذا الدواء متوفر هنا.. أن من يقوم بالأبحاث
عليها البروفيسور.

كما أنى قد لمحت في البنك الحيوي الخاص بالبروفيسور عينات.. تأتي له من
الخارج ومن داخل معامل المحمية خاصة بالمرض.. ونتائج تجارب عديدة.
وتأكد لدي الأمر عندما قام البروفيسور بزيارة لغابات الأمازون في رحلة
سرية لم يعلم عنها أحد إلا أنا بوصفي رئيس الأمن.

بالإضافة لعدد من الحرس الآلي للمحمية قد رافقه أيضا.. هذه الرحلة
استغرقت شهرا وكانت تصاحبه طائفة معملية متقدمة جدا.

بعد هذا الشهر رجع البروفيسور وأخرج معه من معمله الطائر حقيية
حيوية.. لم تكن تفارقه قط.. ورغم أنها من النوع المشترك القفل.. ولكنه لم يدعني
ألمسها.. كان دائما ما يحملها من وإلى البنك الحيوي بنفسه في أي رحلة أو سفرة..
لم يتركها قط في أي من سفراته.

صمت متفكرا قليلا ثم توجه لروجر:

- اسمعني يا روجر.. لا تتحدث لأي كان عما وجدته بالتحاليل أو عن
حالة ابنك ابدأ. كما أن نتائج عملك هنا ككل العاملين سرية.. أنت تعرف تماما
قربي من البروفيسور وصداقتنا المقربة.. لن تحصل على معلومة ما لم يكن هو يريد
ذلك.

روجر وهو يؤكد عليه: أنت تعرف أن ليس لي أحد إلا ديفيد وأنت.. من سأخبر.. كما أنني لا أفشي سرًا أبدًا أؤتمن عليه.. كل ما هنالك أنني عايشت مشقة ابني ولا أريد أن يعانيتها أبدًا إنسان بعد الآن.

وأن لا مريض إيدز يموت حيا لأنه منبوذ ومنعزل.. ما عانيته من أجل ابني يجب ألا يعانیه أب أو أم أبدا.

قال توماس: سنجد طريقة لإقناع جاك بالأمر.. ما يحيرني غير هذا.. إن البروفيسور دأب في الآونة الأخيرة على القيام بالكثير من الرحلات السرية بمفرده أو بصحبة عدد قليل من الآليين الخاصين به وحده.

وإدخال مواد مختلفة بشكل عبثي رافضا أي فحص روتيني لها أو رقابة أو حتى محاولة تسجيل المحتويات الداخلة.. وهذا أمر غريب لم يفعله قط من قبل. لا بد أن أتحدث معه.. لم هذا الغموض؟ ولم حجب الوصول لدواء يتشوق له الملايين؟ وكل يوم تأخير في الإعلان عنه يفقد أهل عزيزًا عليهم. آخر الإحصاءات التي اطلعت عليها تسجل موت سبع حالات بالمرض يوميا.. هذا غير كم العذاب الذي يعانیه المريض وما يكلف من أدوية لا طائل من ورائها. في إحدى جولات البروفيسور التفقدية بين أرجاء المحمية حيث يرافقه توماس.. تجولا لتفقد مزرعة السيارات والطائرات.

حيث معامل التخليق تدمج موادًا عضوية وحمضًا نوويًا مصنعًا بطريقة معدلة جينيا وتوضع خصائص الآلة المطلوبة من لون وشكل داخل الحمض النووي نفسه والذي يعتبر البذرة، حيث تنقل لما يسمى بالمزرعة فتنمو كما زرع النبات ألياف صناعية فائقة القوة والخفة.. حيث لا تتجاوز ثقل الطائرة أو السيارة المائة كيلو جرام وفي نفس الوقت مادتها أقوى من الصلب.

هذه الآلات غير مستهلكة للوقود لأنها تعمل بوقود عضوي صديق للبيئة. يكون مخزن داخل الألياف العضوية التي يتشكل منها مقدمة الآلة. ويزودها بالطاقة.. والنتائج من استهلاك هذا الوقود هو الأكسجين. بمعنى أن السيارة كلما استخدمت تنتج أكسجينًا ذا فائدة للبيئة.. وعند انتهاء عمر الآلة تترك لتتحلل وتعود للطبيعة من دون أي أضرار. بعدما خرجا من البوابة تمشيا قليلاً.. بلباقته أدار توماس دفعة الحديث عن حالة ديفيد ليستشف منه ما يحاول أن يخفيه؛ فهو خير بقراءة النفس البشرية، كما أنه صديق قديم للبروفيسور ويعرف كل خلجاته. حاول البروفيسور إنهاء الكلام.. ولكن روجر أعاد دفعة الحديث مرة أخرى لما يريد قائلاً:

- يا رجل، مهما كان ما حدث مع ديفيد.. لقد قمت بعمل أشبه بالسحر. البروفيسور بوجه خال من التعابير: العلم لا يؤمن بالسحر. أحس توماس بالأمل فاستدار بكامل جسده ليوافقه البروفيسور: - إذن، ماذا يا جاك؟ هل هناك علاج لمرض الإيدز المقيت؟ تغيرت ملامح البروفيسور وهرب من نظرات توماس المركزة عليه بالنظر حوله كالمثقف للمكان قائلاً: - لا.. كلا للأسف.

استشفت عين توماس الخبيرة بوضوح الكذب يصرخ على ملامح وجه البروفيسور ونبرات صوته. - ستكون تلك أعظم خدمة تقدمها للبشرية؛ علاج لمرض عجز وحرار فيه الإنسان منذ قرون.

ابتسم البروفيسور ابتسامة متوترة متصنعة وهو يدور بجسده متخذاً طريقه للمسير.

تيقن وقتها توماس أن البروفيسور يمتلك العلاج.. صحيح ليس لديه أي دليل قاطع.. ولكنه تأكد.. وعرف.

خاصة وأن رحلات البروفيسور قلت جداً وكادت تنعدم بعد أن تعافى ديفيد.

أنهيا جولتهما وقد خيم عليهما صمت مربك؟ سرعان ما قطعه البروفيسور باستدعاء سيارته باكورة إنتاج *البايو فاير* التي أقلته لمعمله.

بينما تسارعت خطوات توماس متجهها ركضا لغرفته؛ أملاً أن يصرف طاقة الغضب التي تستعر بداخله برياضته تلك.. حادث روجر ليوافيه هناك فهو يعرف أنه في عطلة اليوم.

وصل لغرفته؛ حيث وجد روجر قد أعد مائدة ببعض الأطعمة الخفيفة على طاولة أمام المقعدين حيث سيجلسان.

استأذنه في أن يأخذ حماماً سريعاً ويبدل ملابسه؛ فلقد انتهت نوبة عمله لليوم.

تشاغل بلا شيء عندما خرج من حمامه.. حتى أوقفته عبارة روجر:
- ما بك؟

لم يتمالك نفسه وانفجر قائلاً وهو يجلس:

- لقد كنت محقاً.. مهما كانت أسباب جاك.. فهو يمتلك علاج الإيدز.
كأنها يحدث نفسه:

- الأمر كله منطقي.. إذا جمعنا كل الخيوط.. رحلاته السرية السابقة.
 الساعات الطويلة التي قضاها في مختبره أكثر من المعتاد.. لقد كان يظل باليومين
 دون أن ينام.. والآن كذب علي بصورة سيئة.. وهروبه مني ومن نظراتي.
 لم يعط روجر أي فرصة للحديث.. وأكمل وكأنه يزيل عبئًا بداخله:
 -مهما كان ذلك العلاج فأنا أكيد أنه في تلك الحقيقة الحيوية بالذات.
 -صمت ليلتقط أنفاسه بينما تعجب روجر:
 - الحقيقة الحيوية؟

قال توماس: ليست أي حقيقة حيوية، بل حقيقة معينة.. هي باهظة الثمن
 والتكلفة جدا.. وضعها البروفيسور بنفسه في بنك المحمية.. في القسم الخاص
 والذي لا يستطيع الوصول إليه إلا أنا وهو فقط.
 -قسم خاص بكم فقط؟

توماس وهو يتابع: نعم.. لا يستطيع الدخول هناك أو فتح شفرته إلا أنا
 والبروفيسور.. تم تجهيز هذا القسم حتى إذا أصاب أحدنا مكروه فيكون في قدرة
 الآخر أن يتصرف فيما به ويسهل عليه الوصول له.
 هذا القسم ما به لا يقدر بهال مهما كثر.. لا نضع به إلا ما تكلف ويقدر
 بالمليارات من العملة الموحدة.

إن به أسرارًا وتركيبات تتصارع عليها الكثير من الدول والمؤسسات.. هذا
 المكان تتناثر الشائعات في كل العالم عن وجوده وما يحتويه.. ولكن لا يعرف
 الطريق إليه إلا نحن.

حتى فرق التفتيش الدولية لم تستطع أن تتأكد وجوده ولا معرفة مكانه.
 عقب روجر وكأنه فهم أمرًا كان مستغلًا عليه:

- لهذا كثرت الزيارات التفتيشية في السنة الأخيرة.. لقد لاحظت ذلك فعلا.

- أنت تعرف الشائعات التي يروجها أعداء المحمية والذين يجاربون الخير الذي يفيض منه على العالم.

حتى إنه سرت إشاعة منذ شهور بأننا نصنع أسلحة بيولوجية غير مرخصة. وهو ما تقوم به شركات كثيرة كما تعلم.. ولكننا لا نقوم بهذا العمل أبدا. ولكن طبقا للاتفاقيات الدولية. فالبروفيسور يسمح لفرق التفتيش بالدخول. وهم رغم تقدمهم العلمي الهائل لم يتوصلوا قط للغرف البنكية السرية.

نظر لروجر الذي تفهم الأمر وعقب على كلامه:

-نعم.. نحن جميعا نعرف أنهم لا يأتون للتفتيش من أجل دواعي الأمن أو الأسلحة البيولوجية.. بل لهم أغراض أخرى سرية.

أنهى توماس ما بيده من طعام.. ثم أمسك بيد روجر:

-سندبر الأمر معا وسنحصل على تلك الحقيبة. ونواجه البروفيسور بها كدليل لن نستطيع أن ينكره. ليعلن للعالم عن هذا الكشف المهم. إلى الوقت الحاضر مجددا.

نظر فيكتور إلى البروفيسور بعدم تصديق ثم قال باستنكار:

- لقد فقدت عقلك.. كيف تفكر بإخفاء هذا الأمر؟

نظر له البروفيسور نظرة مطولة قبل أن يبتسم بهدوء وثقة ويقول بصوت

واضح:

- هناك نوعان من الأمراض بهذه الحياة؛ نوع يصيب المرء دون إرادته، ونوع آخر هو نتاج أخطائهم.

البروفيسور ينظر لفيكتر ثم يتابع:

بالنهاية قد يحمل الرأي الآخر بعض الصواب ولم لا؟ ببعض الأوقات تكون رؤية الأمور ضبابية ونظن نحن أن الجو صاف.. وتبدو بعض الأوضاع بزوايا واحدة خطأ كبيرًا.

وأحيانًا تبدو قاصرة أو مضللة.. ربما لو اكتملت الصورة من كل الزوايا صار الصواب أدق؛ لهذا تركت لك الأمر؛ فليكن القرار قرارك الآن يا فيكتور.

ثم ابتسم البروفيسور بتحدٍ واستطرد قائلاً:

إذا كنت تظن أنني مجنون لنرى إذن ماذا ستقرر أنت؟

انفتح أحد جوانب الجدران الذي غاص للداخل مشكلاً شكل مستطيلاً احتوى على حقيبة بيضاء ذات انحناءات جانبية بمقبض رصاصي اللون.

طلب البروفيسور من فيكتور أن يلتقط الحقيبة بالداخل وما إن مسكها سمع صوتاً تم تسجيل المضيف الجديد.

تسجلت الحقيبة باسم فيكتور واستطاع أن يفتحها ليتضح جزءين للحقيبة احتوى كل جزء على عينة مع شريحة إلكترونية مع تركيبة العلاج.

قال البروفيسور بصوت واضح:

- الآن يا فيكتور سنترك لك زمام الأمور فليكن القرار قرارك.

- إحدى الشرائح هي منحة واحدة، فرصة واحدة فقط للنجاة.. إنها مثل

الحياة.. إذا فقدتها لا تعود لك مرة ثانية.. إنها تركيبة للشفاء من الإيدز مرة واحدة فقط.

ثم أشار إلى الجزء السفلي وتابع:
وهذه الشريحة الثانية.. من يرتكب الأخطاء سيجد دائما المحاة موجودة في
الشفاء لمرات ومرات من مرض الايدز.. عينة علاج وشفاء دائم.
مد فيكتور يده ليلتقط إحدى العينات فقال البروفسور:
- إن عقاب الطبيعة لا أشعر أنني مخول لمحوه من الوجود من ستختاره
سيتلف العلاج الآخر بشكل كامل للأبد.

نظر فيكتور له ثم التقط الشريحة الأخيرة دون أي تردد.
ابتسمت ريسل بثقة وهي تتكلم بخفوت: كنت أعلم أن هذا هو الاختيار.
بلحظات تم نقش اسم فيكتور على الحقيبة ثم قالت ريسل بمرح:
- الآن تم مطابقة بصمة اليد وقزحية العين الخاصة ب فيكتور بالحقيبة
فيكتور وهو ينظر لريسل نظرة تقدير: شكرا لك يا ريسل.
صاح البروفسير بثقة: إذن فالنسخة المعدلة هي اختيارك، على الأقل لست
المجنون الأوحدهنا.

تجاهل فيكتور كلمات البروفسير ثم تساءل:
ماذا عن نظريتي؟ لماذا لم تضع اسمك بها؟
أجاب البروفيسور وهو يبتسم:
- لقد كان الجانب الأكبر منك أنت.. فهي اجتهاداتك لقد اكتفيت بوضع
لمسات لازمة فقط.

هذه النظرية ستساعد أناسا كثيرين للاستفادة، والكثير لن يعجبه أبدا ما
تحاول تقديمه كالعادة.. بالحقيقة لم أعد أريد المزيد من الأعداء.. إنها معركتك
أنت.. عليك أن تخوضها بنفسك.

تساءل فيكتور ثانية: وسط كل هذه الفوضى: لماذا دعوتنا إلى هنا؟

تطلع البروفيسور لساعة يده ثم قال:

- أظن لم يتبق كثيرًا من الوقت.. أنا مجرد عالم ولست مقاتلاً أو سياسياً..

الأمر الآن خارج السيطرة، وليس هناك ما أستطيع فعله سوى اتباع الأوامر.

رد فيكتور بتعجب: أوامر؟ عن أي شيء نتحدث؟

تطلع البروفيسور ليد فيكتور:

الشريحة المحقونة بيدك ستعطيك التحكم الكامل بالولوج لريسيل، والتحكم

بالمحمية من خلالها قد يبدو الأمر رائئاً ومدهشاً وفريداً من نوعه.

ألقي فيكتور نظرة على راحه يده، ثم نظر لجاك الذي تابع وقد خفت نبرة

صوته:

- لكنه ليس كذلك، كما أخبرتك أنني أتبع الأوامر وقد أخبرني أن أعطيك

الخيار حتى لو كانت كالتوقيع على وثيقة موتك لأن هناك من لن يتوقف أبداً

حتى ينهى حياتك وحياة من تعرفه.

تطلع له فيكتور بحيرة وشعور بالقلق والتوتر يعتريه، ثم تساءل:

- عن أي شخص تتكلم؟ من الذي أعطاك هذه الأوامر؟

تطلع البروفيسور ثانية لساعة يده ثم تكلم بحزم:

أنت تطرح المزيد من الاسئلة الخطأ؛ فالدعوة وحضورك هنا وجلب

أصدقائك معك وانفصالك عنهم كانت كلها من صديقك ربنا وجد بك ما لا

نعرفه نحن!

ثم تابع بهدوء: صديقنا المشترك فيكتور.

ران صمت ولمع بعيون فيكتور بريق معرفة؛ فلقد عرف وأيقن ماذا يقصد البروفيسور.

تساءل البروفيسور: هل تقبل أن تكون المالك الجديد هنا للمحمية والتحكم بها بشكل كامل؟

نظرت ريسل لفكتور وهي تنتظر الجواب حين هز رأسه موافقا ابتسم بروفيسور: ربما بالفعل أن هناك ما يراه فيك ولا نستطيع نحن رؤيته. ثم تابع بصدق: حظ سعيد يا أخي.

تطلع فيكتور الشاشات التي أطلقت ضوء أحمر مفاجئ ثم تبدلت الشاشات لتظهر صور مختلفة بإحداثيات تظهر التاريخ والمكان والأميال الفاصلة بينهم وبين المحمية، والتي ظهرت على هيئة نقاط.

تساءل فيكتور باهتمام: ما هذه النقاط؟

جعدت ريسل أنفها وهي تتكلم بحماس:

- هذه صور مباشرة من القمر الصناعي الخاص بالمحمية.. إنهم يقتربون

ثم فردت إبهامها بمواجهة الشاشات.

لتظهر بعدها عدة خرائط كثيرة حول المحمية وتقترب الصورة أكثر ليشاهد فيكتور.

نقاط حمراء تمثل سيارات حمراء عديدة كبيرة وطائرات ضخمة وأعداد كبيرة من أفراد الأمن مسلحين بأسلحة حديثة.

سيارات خضراء ضخمة يتبعها بعض أجهزة إرسال واستقبال حديثة

تعلوهم طائرات وقد كسا الجميع اللون الأخضر.

وعلى الجانب الآخر اقتربت طائرات وسيارات وأجهزة تعقب وأجهزة استكشافات أمنية، وسيارات مضادة للرصاص بلون أزرق وبدت أقل من الأخرى.

قالت ريسل وهي تشير إلى النقاط:

- النقاط الحمراء.. إنها الشرطة الأمريكية، ونقاط والتدخل السريع وهي ليست صديقة.. يجب الحذر منها.

النقاط الخضراء.. إنها قوات إندونيسية وأخرى تابعة للمحمية وهي صديقة وأخيرًا، النقاط الزرقاء.. إنها قوات غير إندونيسية، لكنها قوات صديقة من بلدان مختلفة من حلف الشرق.

البروفيسور وهو يتخذ طريق الخروج: عليك القلق بشأن أصدقائك والشبح.

احتقن وجه ريسل بالضيق.. قطبت جبينها بحزن.. غامت عيناها وهي تتابع البروفيسور وهو يرحل.

تطلع لها فيكتور بدهشة: هل ما شاهدته دموع أم خيل له؟

أدار ظهره لها ثم هتف ليجذب انتباهها: ماذا عن رفاقي؟

اقتربت ريسل منه ثم قالت بهدوء:

- سيتم تفعيل الشريحة الآن، وترتبط بجهازك العصبي.. كل شيء سيكون بخير لا تقلق.

شعر فيكتور بدوار حاد وغشاوة سوداء تحيط به ثم سقط أرضاً فاقدًا

الوعي.

غطا النور المكان.. وتقدم أحدهم نحو فيكتور والنور أخفى ملامح ذلك الشخص بينما يقترب هو من فيكتور.

شعر فيكتور بضعف يحتاجه وقدماه لم تعد تقوى على حمله شعر بضيق الأنفاس وارتباك ووهن عام يسيطر عليه وكأنها نزعات موت.

وكان روحه تسلب منه.. كلحظات احتضار حقيقة.. اقترب منه هذا الشخص لمس يده برفق ووضعها على الأرض، ثم قال له بصوت منخفض:
- لاعليك ستكون بخير روحك متخمة بالحياة.

شعر فيكتور بشيء ثقيل يتأرجح داخل صدره طاقة ما تريد الفرار من بين أضلاعه وكان روحًا جديدة تنبثق له.

شعر فيكتور بشيء غريب.. إحساس صعب أن يوصف.. إحساس بالنشوة والنشاط وأن الروح قد تحررت.

دقائق من راحة وطمأنينة واستقرار قد سرت بكيانه وداخلها ألف طاقة إيجابية كشعور الطائر في سماء الكون.

ثم جاء صوت الآخر هادئا واضحا ونقيًا.. قال بثقة:

- أجسادكم أصبحت كالأدوات، وهي أسوأ بكثير من ما يفترض عليه.

اعتدل فيكتور عن الأرض ثم نهض لينظر للشباب العشريني صاحب الملابس الرياضية.. شعر أن ملامح الآخر مألوفة لديه وكأنه حظي بلقاء سابق معه.

شعر بالسعادة والفرح وكأنه يلتقي صديقًا قديمًا بعد غياب دام طويلا.

استطرد الآخر قائلا:

- أخوك بمأزق وبحاجة إليك ولمساعدتك.. لا ينبغي لأحد أن يكون أمام الخطر ولكن كل ثورة تحتاج لقائد.

شعر فيكتور أن هناك شيئًا خلفه.. استدار حتى يرى ليجد نفسه بغرفة علقت على جدرانها لوحات بألوان زيتية قائمة ذات إطارات ذهبية. ظل ونور تصور معارك على الجانبين.. جلس فيكتور على مائدة طويلة مصقولة خشبية مغطاة بشرشف طويل بلون أحمر غامق.

وضع أعلى المائدة على مسافات متباعدة.. أيقونات منقوشة بغصون أشجار خضراء اللون.. أرجل المائدة غليظة ضخمة منحوتة برسومات لأسود فاردة قوائمها للأعلى.

والمقاعد على جوانبها ممتدة إلى ما لا نهاية والمقاعد غليظة القوام فارغة بغصون ثانية واحدة، وبما يشبه سرعة البرق امتلأت والكراسي بالمثلثات بل الآلاف.

كان الجميع يجلسون على الجانبين ينظرون لفكتور بصمت واهتمام وترقب ثم عاد كل شيء فارغا كما كان.

لحق كعبول وجه فيكتور عدة مرات وهو يحثه على النهوض استيقظ فيكتور وهو يشعر بالدوار.. أدار رأسه لكعبول هامسا له: أنا بخير.

هز كعبول ذيله وكأنه يهنته على هذا ثم أدار فيكتور عينيه بأرجاء الغرفة فاستمع بصوت ريسل داخل نفسه: أهلا بعودتك فيكتور.

تساءل فيكتور: أين صوفيا؟

أجابت ريسل بصوت يملأه الأسف:
 - لقد تم اختراقها قبل مجيئك وتم تعطيل البرنامج الدخيل الخبيث منها
 لقد توليت الأمر.. لا تقلق بهذا الشأن.. هي فقط لا تستطيع التحدث ولكنها
 بخير.

نهض فيكتور ليقف ثم تساءل بقلق: أين الأصدقاء؟ ألبرت وجوزيف
 ومنى.

بدأت الشاشات ببث صور لألبرت وهو يقود البيت المتنقل وجوزيف وهو
 يسير على الجسر ومنى وهي تقود الغواصة.

هتف فيكتور بصوت يملأه الفزع: أنهم غير آمنين!
 تساءل بحنق وقد ألمه أن يكون هو سبباً رئيسياً لمتاعب أصدقائه:
 - لماذا لم يطلب البروفيسور دعوتي وحدي؟ لماذا تم إقحامهم بهذا الأمر
 أجابته ريسل:

- دكتور جاك كان يتبع الأوامر صدقا.. كانت فرصة نجاتهم والحفاظ
 عليهم داخل المحمية أكبر بكثير من وجودهم خارجها.
 فرصة إلحاق الضرر بهم خارج المحمية.. إنهم مستهدفون لأنهم مقربون
 منك لأنك باللائمة.

تساءل فيكتور بدهشة: أي لائحة؟!

تابعت ريسل كلامها في ذهنه:

- بالحقيقة سيد فيكتور.. إن البروفيسور تلقى تقريراً من مصدر خارجي
 غير معن، ولكنه موثوق به أن دكتور جاك وأنت.. أسماؤكم على قائمة اغتيالات
 لجهة معينة.

قال فيكتور باستياء: ولماذا؟

أجابته ريسل بصوت ساخر: مزاعم عن اختراق معاهدة دولية.

ثم قالت ريسل لتبث روح الاطمئنان له:

- الآن بإمكانني تولى أمر الشبح.. وإيصال أصدقائك تحت الأرض.. لا تقلق بشأن هذا سيكونون بأمان الآن.

هناك أمر مهم يجب أن تشاهده، قبل أن تخرج من هنا.

فيكتور وبحزم: أين هم الآن؟

ظهرت بضع صور أمام فيكتور شعر بها بالضيق وهو يشاهد منى مصابة برضوض فاقدة الوعي.. ثم ظهرت صورة لألبرت وقد تلطخت ملابسه بالدم وهو يقود بيتاً متنقلاً.

غمض فيكتور عينيه بآلم وهو يتابع جوزيف يسير على جسر طويل تحت الأرض.

قالت ريسل له: يجب الإسراع حتى نضمن سلامتهم.

تحرك الجدار الذي يحتوي على ألبوم الصور الضوئي بزاوية مائلة لتظهر غرفة أخرى واسعة.

ريسل: يمكنك الدخول؛ الغرفة آمنة.. لا دخلاء هنا.

ما إن دخلها وجد أن جسد ريسل كما قد شاهدها سابقاً في الإشعاع الطيفي وهي تتحرك أمامه بكل حرية وتبدو بشكل بشري تماماً.

فيكتور وهو يتكلم مع ريسل في ذهنه: هل يمكنك التحكم بالجسد الآلي والوجود في الشريحة بنفس الوقت.

أجابته ريسل من جسدها البشري بصوت مسموع: نعم سيد فيكتور.. مع مرور الوقت ستتعلم أكثر عني، وبالتأكيد يمكنني الحضور في عدة أماكن كعقل مستقل لكن مركزه سيبقى في داخلك دائما.

حسنا، هذا الأمر مزعج قليلا.. هل يمكنك الكف عن التكلم في ذهني والاكتفاء بالتكلم من هذا الجسد حتى لا أصاب بالدوار. انحنيت ريسل وحملت كعبول برق بين ذراعيها ثم قالت بصوتها الأنثوي: بالطبع سيد فيكتور كما تشاء.

فيكتور وهو ينظر من حوله: من فضلك ناديني بفيكتور فقط. أما بخصوص الغرفة الدائرية الواسعة التي بدت مساحتها أكبر من المكتب امتدت الأرفف بالمحيط الدائري للغرفة برقوق زجاجية وأخرى خشبية ومعدنية.

يتوسط الغرفة أسطوانة خشبية يعلوها مستطيل زجاجي.. وبإحدى الزوايا هناك مكتب معدني.

احتوت الأرفف الخشبية ملفات ضوئية إلكترونية مثبتة بالجدران والأرفف الزجاجية تكدست بها أوراق بيضاء.

مستطيلة تنتهي أطرافها بدوائر زرقاء تجاورها علب طلاء ذهبية اللون تشبه طلاء الأظافر.. وعلى رفوف معدنية تراصت مجموعة أفلام فضية اللون.. وأسهم صغيرة حمراء بحجم صغير جدا.

ومجموعة من الأسلحة المتطورة القابلة للطوي وضعت على قوائم حديدية. وسترة بيضاء منتفخة قليلا تنتهي بغطاء الرأس.

وسروال يشبهها، يجاورها سترة صغيرة تدلت من دائرة بلاستيكية معلقة بسقف الغرفة، بينما احتوى المستطيل الزجاجي الذي يعلو الأسطوانة الخشبية على مجموعة من الذخيرة.

الزرقاء اللون كتب على الإناء الزجاجي (رصاص عضوي) بجوار الإناء علبة خشبية احتوت على قطعة معدنية صغيرة بها مؤشر صغير، بينما احتوى المكتب المعدني على عدة أدراج.

تطلع فيكتور بالعملة النقدية بدهشة، ثم تساءل بحيرة:

- ما قصة هذه العملة؟

اقتربت ريسل منه: فيكتور هذه ليست عملة نقدية بل هي كبسولة الوقت وعليك بالحذر معها.

فيكتور وهو يتفقددها باستغراب: وماذا تعني أو ماذا تفعله؟

جاء صوت ريسل بثقة: أعدك.. سوف أقول لك ما هي لاحقا لسبب يجب إدراكه أولا.

تساءل فيكتور: ماذا عن الرصاص العضوي؟

ريسل: إنه نوع من الرصاص يحتوى بداخله على نوع من الجرثومة القاتلة التي تفتك بالجسم وتقتل أعضائه.

ريسل وهي تبتسم تقف أمامه: الآن وبعد عملية تحويلي إليك، ولديك كل المعلومات اللازمة يجب أن تنتقل للأقبية حيث الأمان التام.

عبس فيكتور معترضا على عرض ريسل له:

-لن أنتقل إلى أي مكان من دون أصدقائي الثلاثة.

-لا تقلق باستطاعتي أن أنقذهم.

فيكتور وهو ينظر إليها باستغراب: ولماذا لم تفعلي ذلك مسبقاً؟ أرى أن كل واحد منهم عُرض لمحنة عرضت حياته للخطر.. وما زال فيها حتى الآن.. إن الشبح طليق وخطره سيطول أي منهم في أي لحظة.

ريس: لمجموعة من الأسباب؛ أولها وأهمها أن البروفيسور أراد اتباع الأوامر والخطوة الموضوعية.

ريس: دكتور جاك كونور لم يعلم كل ما يجري، والأولية عنده هو أنت بانفصالك عنهم ووصولك لمكتبه بسلام.

ريس: وهي تمسك بكفها: إن عملية تحويلي إليك كانت مرحلة حساسة ومهمة جداً تكون بها التريليونات من المعلومات معرضة للخطر.. كما أنني كنت أتأكد من السلامة الأمنية لجميع مداخل ومخارج الأقبية.

كانت الفوضى عارمة بالمكان وكل رجال الأمن الأدميين يقتلون وتعطل رجال الأمن الآليين.

لم أستطع أن أفعل شيئاً وقتها لأصدقائك، ولكن استطعت أن أسهل عليهم الأمر.

ريس: وهي تفتح عينيها: إن الشبح يتحكم في كثير من الأمور بالمحمية. ويجب إعادة السيطرة.

لم تنفك عبسة وجه فيكتور:

فبادرت ريسل بأن أظهرت له مكان كل واحد من أصدقائه عن طريق أشعة توضح الخريطة وإحداثيات الموقع وتحركات كل فرد.. شارحة له:

-أنت فقط من يتمتع بتلك القدرة والتي انتقلت إلى عدستك بعد تطويرها بتحويل إليك.. هنا أيضا أماكن محتملة للشبح.. وتغيرت الخرائط متتالية أمام فيكتور.

قال فيكتور: أماكن محتملة.. ولم نلتقط مكانه كما أصدقائي؟
ريسل وهي تتحرك أمامه: لديه تقنية تجعله مخفي.. كما أنه سريع الحركة بشكل غير طبيعي.

نظر فيكتور إليها وهو يقول باستغراب: لم أشاهد مثل هذه المرونة الحركية قط على آلي.. فكل حركاتك مرنة وطبيعية كأنك إنسانة عادية جدا.

ظهرت ابتسامة اعتداد على وجه ريسل: شكرا إذا كان هذا إطرأ!
قال فيكتور: نعم، إنه هو كذلك لنركز الآن على ما يجب فعله.
ريسل: لنضع خطة أمنية للوصول إلى الأصدقاء، كل منهم كما رأيت في مكان مختلف وأبعاد كبيرة بينهم.. لمن سنذهب أولا؟
أسرع فيكتور: منى طبعاً.

تغيرت ملامح ريسل للتعجب قليلا ثم تساءلت:
-ولم منى أولا؟

فيكتور: لأنها فتاة.. ولأن وضعها أكثر سوءاً كما رأينا من موقعها.. حين يكون الأصدقاء في خطر.. لا فارق بينهم.. ولكن الأولوية لمن محتته أشد.

تغيرت ملامح ريسل بنظراتها التحليلية وقالت:
-لا تقلق.. هي الآن في طريقها لمكان شبه آمن.. نرجو أن لا يصل إليها الشبح قبلنا.

صمتت قليلا.. ثم قالت: سنشكل فريقاً رائعاً أنا وأنت.

ابتسم فيكتور متعجبا من نظرات الإعجاب في عينيها والتي انسته للحظات
إنها الة: لماذا؟

ريسيل وهي تتكلم بشكل مرح: لأنك اتخذت القرار السليم.. قررت
المغامرة ومجابهة الخطر بنفسك وأنا سعيدة لذلك.. ولكن كان يجب على أن أنفذ
طلب البروفيسور وأنقل لك كلامه باتباع البروتوكول الأمني للحفاظ على
سلامتك.

فيكتور وهو لا يصدق ما تقوله: ريسيل هل لاحظتي نحن نتكلم وأصدقائي
في خطر محقق؟ هيا بنا!

تعجبت ريسيل وهي تكرر اسم كعبول أثناء سيرهما قائلة:
-إن تحليل الحمض النووي له يظهر أنه من فصيلة نادرة جدا.
رددت الاسم.

ريسيل وهي تنظر إليه: كعبول! أليس هو اسم شخصية عربية قديمة تمتاز
بالمرح والحيلة والذكاء.. تروى عن هذا الشخص قصص مختلفة منها أنه كان
ينتقل عبر الزمن...

قطع حديثها وصول إنذار عبر الخريطة بتقديم القوات بصورة خطيرة.
تحركت هي وفيكتور بينما صاحت كعبول.
-هيا يا كعبول لنبدأ المغامرة.
رد عليها كعبول بمواء قصير حاسم.

قبل بضع ساعات من الآن؛

سقطت الآلة التي كانت تستقلها منى بعنف فوق الرمال والتي خففت من حدة الصدمة وإن كانت منى قد فقدت وعيها لبضع دقائق.

استفاقت على ألم هائل بكل جسدها.. تحركت ببطء مستكشفة ما حدث لها. ولكن اطمأنت بعد فترة من عدم وجود أي كسور.. تحركت بصعوبة فالمركبة على جانبها وقد غاص جزء كبير منها في الرمال.

بجهد كبير قاومت ألم الرضوض والجروح الصغيرة بجسدها والثقيل الرهيب برأسها.. محاولة الوصول للحاسوب الآلي.

بسرعة وبهدوء حتى لا تشي أي حركة أنها ما زالت على قيد الحياة.. فما يدريها أن من يتحكم بالآلة لن يفجرها بها. أو يجعلها تطير وتسقط من ارتفاع أعلى أو بمكان أكثر خطرا فتكون تلك هي نهايتها.

أعادت اختراق الحاسوب فانفتح الباب وسرعان ما اتخذت وضع جعلها تتدحرج خارجها واستمرت رغم الألم الهائل الذي انتابها ولسع الرمال الساخنة. حتى ابتعدت لمكان بعيد جدا.. وسرعان ما تحركت الآلة؛ فعرفت أنها أحسنت صنعا بسرعة الخروج منها.

ظلت تبتعد.. حتى أنهكها الحر والعطش وحرارة الشمس تشوش عليها الرؤية.. وجدت تل قريب فقبعت بجواره مستفيدة ببعض ظله.. مقرر أن تستكين حتى لا تخور قواها من الجوع والعطش.

وكان كل أملها أن يمضي الوقت حتى تغيب الشمس وينكسر حرها.. نظرت للسماء وقد بدأ قرص الشمس بالمغيب وظهرت بعض النجوم اللامعة.

قامت مهتدية بها في طريقها.. حتى تتخذ خطا مستقيما حتما سيوصلها لمكان ما.
فالأماكن بالصحراء متشابهة، وقد تتخذ مسارا دائريا يجعلها تدور في دائرة مفرغة
وتموت من الإرهاق والعطش.

كانت خطواتها بطيئة وجسدها يئن من الألم.. ولكن استمرت فمهما طال
الطريق فله نهاية.

ظهرت لها أنوار من بعيد.. شجعته على المسير الذي أصبح شاقا. كانت
تشعر أنها تجر جبلا كلما حاولت تحريك قدميها.. والألم يصرخ في كل أجزاء
جسدها.

كان مبنى مستطيل كبير لم تعرف ما هو.. لا توجد أي حركة تنم عن وجود
أحد هنا كالعادة منذ وطئت أقدامهم هذا المكان.. شملها خوف بسيط بعد
تجربتها في الآلة.

ولكن الألم والوهن السائر في جسدها جعلها تستعيد جراتها وأقدامها.. فما
سيحدث أسوأ مما مرت به؟ وإن كانت تحركاتها حذرة.

فتحت الباب وانتظرت قليلا حتى تستوعب المشهد.. أمامها العديد من
الأشخاص بزي موحد ملقون في كل مكان، بل إن بعضهم ملقى فوق الآخر
وكانما تم تجميعهم هنا على عجل.

قاومت ارتعاشها.. ودخلت.. جست نبض الأقرب لها وهالها برودة جسده.
هو ميت منذ فترة طويلة.. وكذلك من بجواره.. لا أثر لدماء.. ولكن يبدو وكأن
أشعة ما قد صعقتهم.

هي ليست في حال تؤهلها الآن للفحص ومعرفة سبب وفاة كل هذا العدد
من الأشخاص الذين يبدوون كرجال الأمن بهذا الزي.. تفحصت الأجساد

بسرعة عليها تجد أداة أو سلاح ما.
وسرعان ما حصلت على مسدسين؛ أحدهما طلقات عادية، وآخر غريب الشكل. وإن حملته معها فربما تحتاجه ولتستخدمه بأي شكل.
المكان متسع.. تفقدته.. وتأكدت من عدم وجود أحياء.. أو خطر بالمكان.
كان كاستراحة تناثرت الأرائك في أرجائه مع وجود شاشات تلفزة وألعاب تسلية مختلفة.

فتحت أحد الأبواب وارتسمت البسمة على ملامحها.. غرفة حمام.. تراجعت برعب مع إطلاقها شهقة قصيرة.. ثم سرعان ما تمايلت نفسها وكتمت فقهقة كانت ستخرج من فمها حتى لا تجذب نظر أحد بوجودها.
كانت أمامها انعكاسها في المراة بوجهها المغبر وشعرها الأشعث بملابسها المتسخة.

أسرعت بغسل وجهها ومحاولة إزالة ما علق بها وبملابسها من رمال.
استعادت بعض الشيء شكلها السابق، ولملمت من شعرها الغزير مهذبة إياه على قدر الامكان بعد أن عجزت عن تصفيفه بأصابعها.
ما زالت آلامها كبيرة وإن كانت المياه قد أنعشتها قليلا.

أخذت تبحث في الجوارير أمامها.. فوجدت علبة الإسعافات الأولية.
أخرجت شرائح الجروح وألصقتها على جسدها وتركتها لتعمل في علاج جروحها المتعددة.

تناولت حبة من دواء مسكن ومقوي. ودهنت مفاصلها بمرهم سريع لعلاج الكدمات والالتواءات.. يجب أن تستريح بعض دقائق حتى تعمل الأدوية الشرائح.. خرجت وهي حذرة رافعة سلاحها.. وجدت الغرفة كما تركتها

فارتمت على إحدى الأرائك لترتاح.
 بالعودة إلى فيكتور وريسل الآن.
 توجه كلاهما يتبعهم كعبول لمكان منى التي استقرت الآن حسب إحداثيات
 موقعها على الخريطة.
 هم خرجوا الآن لسطح الأرض.
 قالت ريسل: لا تقلق على منى هي تترتاح الآن.. لقد فتحت لها الأبواب
 لتستطيع أن تدخل إحدى الاستراحات.. رغم أنه ممنوع لغير أفراد الأمن دخولها.
 فيكتور وبينما هو يمشي مسرعا معها: كيف فعلت هذا وأنت ترافقيني؟
 وهل تقومين بمهام من دون إرشاد مني؟
 ريسل وهي ترفع عينيها: فيكتور.. ما زال أمامك بعض الوقت حتى
 تستطيع الإلمام بكل صلاحياتي.. أنا لست فقط المجسم الذي أمامك الآن. أنا
 أستطيع أن أنتقل لأي شيء إلكتروني.
 وأن أكون موجودة في عدد من الأمكنة في نفس الوقت.. لأن نواتي الأولى
 موزعة بكل مكان هنا وكل مكان زاره البروفيسور خارج المحمية بجميع أنحاء
 العالم.. ومن تلك الأنوية أستطيع التجسد والعمل.
 ريسل: بينما نتحدث الآن لقد سهلت الطريق عليهم جميعا للوصول إلى بر
 الأمان.
 ظهر بعدها شعور بالألم على وجه ريسل.. سرعان ما تغير للانتباه الكامل
 والحذر واستطردت:
 ريسل: أشعر بالشبح قريبًا منا.. أترى؟ وظهرت أمام فيكتور شاشة
 استشعارية بها عدد من النقاط بلون فسفوري متألق.

ريسيل وهي تتابع: هناك مجسمات لا نستطيع التعرفها وهي غريبة وجديدة على المحمية.

وفعلا كان فيكتور يشاهد تلك المجسمات والتي بدت مثل عمود طويل منتشرة في أماكن عدة بالمحمية.. وكل فترة تزيد الإشارات بوجود المزيد منها.

علقت ريسل:

-تبدو كأجهزة ما وضعها الشبح ولا أعرف مهمتها تحديدا.. وإن كان يجري فحصها مجددا.. سأتخلص منها في الوقت المناسب لا تقلق.

ريسيل وهي تزيد من سرعتها أمام فيكتور: يجب أن نسرع يجب أن نعثر على الأصدقاء بسرعة وأضمن أمانهم.

جفل فيكتور؛ إذ مر عليه شعاع أخضر خفيف مسح جسده وهو يمر بين المباني المختلفة.

انعقد حاجبا ريسل.. وقالت وهي تتأمل شيء بجوارهما:

-هذا أحد مجسمات الشبح. ونظر فيكتور فإذا عمود رفيع يبدو كخيوط ملتصق بجدار المبنى.

أكملت ريسل وقد ظهر الضيق عليها:

-هذا سيء جدا.. إنه ماسح ضوئي.. لا أعرف حتى الآن الغرض منه.

تفقد فيكتور الخريطة الاستشعارية حول المحمية.. كانت النقاط المختلفة الألوان تقترب.. الأكثر عددا كانت النقاط الزرقاء للقوات المساندة للمحمية.

ولكن الأكثر قربا كانت الحمراء أي القوات التي تشكل خطرا.

في نفس الوقت وبينما منى ترتاح تم تشغيل إحدى الشاشات أمامها.. قامت وقد تناست آلامها فوجه فيكتور ظهر أمامها.. اقتربت من الشاشة.. لتجده يحمل

مسدسًا غريب الشكل ويقتل عددًا من رجال الأمن.
وسرعان ما ظهر أمامه جوزيف فصرعه بسلاحه.. وقع جوزيف على الأرض فخارت قوى منى مما حدث وجثت على الأرض معلقة بصرها بمشهد جوزيف وهو يرتعد كمن أصابته صاعقة.

وسرعان ما خمدت حركته.. وانتقلت عيناها لفيكتر الذي وجه طلقة صاعقة أخرى لجوزيف رغم سكونه وقد ظهر أنه ميت فعلا من ثبات نظرات عينيه، وقد علت وجه فيكتور ابتسامة شرسة لم تصدقها منى.. وثبت المنظر على جثة جوزيف وفيكتر وهو ما زال يمد نحوه السلاح.

أفاقت من بكائها الذي امتد لدقائق طويلة على صوت حركة خفيفة بالجوار. أسرعت بإمساك مسدس الطلقات.. بينما دست الآخر في ثيابها.. وأخذت وضع الاستعداد وما زالت دموعها تنهال على وجهها.

دخل فيكتور هاتفًا: منى.. هل أنت بخير؟
ولكنها لم تترك سلاحها.. ظنها في صدمة.. وحاول الاقتراب منها.. أذذته أن اقترب فهي ستطلق النار إذا أتى بأي حركة.

سرعان ما دخلت ريسل للسيطرة على منى رافعة سلاحها.. نهرها فيكتور.. موقفا إياها: ما الذي تفعلينه؟

فيكتور يحلل ويفهم الموقف سريعًا ما إن شاهد المنظر على الشاشة بجوار منى الفزعة.. والتي لم تنقل نظراتها من عليه.

فيكتور وهو يحاول التوضيح: هل تصدقين هذا يا منى.. نحن أصدقاء.. أنا بحاجة إليك.. إن الأمر صعب التوضيح الآن.. يجب أن تثقي بي.. كل ما شاهدته غير حقيقي.. يوجد قاتل يتلاعب بالمكان والعقول للإيقاع بنا.

ظهر الفهم على منى وبث فيها صوت فيكتور الثقة.. بينما أكمل فيكتور:
-أحتاج إلى تفهيمك؛ فجوزيف وألبرت في خطر.. وبحاجة للمساعدة
السريعة.

رمت المسدس من يدها وارتمت منهارة على الأرض.. قائلة:
-أعرف أنه ليس أنت من تفعل ذلك الأمر الرهيب.. ولكن المشهد كان
صادما ومخيفا.. لقد مررت بمصاعب جعلت عقلي يعجز عن التمييز لدقائق.
تقدم كعبول من منى متمسح بها.. وسرعان ما فقدت سيطرتها على انفعالها
وانطلقت في بكاء حار وهي تحتضنه.

ومنى وهي تقول له: هل جوزيف بخير؟ أين هو؟
تركها فيكتور تخرج انفعالاتها بينما ساعدها على الوقوف ويساندها ويجلسها
على إحدى الأرائك.

ثم قال لها: نعم، إنه حي يرزق لا تقلقي.
فقبع كعبول بين أحضانها كمن يحاول طمأنتها.. وقد ركز أنظاره على
وجهها.

انطلق صوت ريسل.. هامسة بجوار أذن فيكتور:
-لقد حللت الموقف.. قام الشبح فبركة هذا المشهد.. عندما قام الماسح
الضوئي بالمرور عليك التقط كل تحركاتك.. وقام بتجسيدها وصناعة معركة
وهمية بينك وبين رجال الأمن وصديقك.

المشكلة أن كل أصدقاؤك أيضا تم مسحهم بتلك المجسمات.. ويستطيع
الشبح أن يضع أشكالهم أو تتجسد عليه ليفرك أي مشهد يريده لأي منهم.. إنه
يحاول الإيقاع بينكم.

وكمين قرأت أفكاره أكملت:
 - لا تقلق بشأننا.. يمكننا أن نميزه بسرعة.. حتى لو كان متخفيا.. المشكلة
 هي مع الآخرين كما حدث لمنى.
 هذا الشبح خطير جدا.. ويمتلك تكنولوجيا متقدمة.. ولكن لا تقلق..
 نحن نعمل الآن على تكوين صورة واضحة لإمكانياته وجاري تحضير الدفاعات
 اللازمة.

كفكفت منى دموعها وهي تغمر كعبول بالقبلات.
 صدر صوت ريسل محذرة: يجب أن نسرع.. الخطر يقترب.
 نظرت منى باستغراب نحو ريسل متسائلة:
 - من هذه؟

نظر فيكتور باستياء لريسل ثم قال:
 - مساعدتي الجديدة.

توجهت لها ريسل مادة يدها للتحية ومعرفة عن نفسها: ريسل.
 ابتسمت لها منى رغم استغرابها.
 طلبت منها ريسل المسدس الليزري الذي بملابسها.. امتثلت لها وناولتها
 المسدس الغريب الذي التقطته مع مسدس الطلقات ودسته في ثيابها.
 عرفت كيفية استخدامه وإمكاناته المختلفة.
 قائلة: لن نتحاجي إليه فأماننا دقائق قليلة وتكوني بالأمان.. ولكن يجب
 عمل الاحتياطات اللازم.
 توجه فيكتور لمنى:

- هيا بنا.. لا بد أن تتوجهي لتحت الأرض مع الآخرين في أقبية الأمان.

قاطعته ريسل:

- يوجد مصعد بالقرب من هنا مخصص للطوارئ.

ظهر العناد على منى وقد استعادت نفسها مرة أخرى:

- لن أذهب لأي مكان.. سأتي معكما.. لإنقاذ جوزيف والبرت.

هز فيكتور رأسه موافقا رغم نظرات الاعتراض من ريسل.

عقبت منى: لقد شفيت معظم جروحي الآن.. إن تلك الشرائح العلاجية

متقدمة جدا عما عهدناه.. قطع حديثها تنامي أصوات تتعالى بدت مألوفة جدا

وإن كان بها شيء جعل من الصعب عليهم تمييزه.

سرعان ما انفتحت أبواب المكان ودخلت جيوشا من فئران التجارب

البيضاء بالآلاف.

هاجمتهم.. ورغم المفاجأة كان رد فعل فيكتور سريع جدا.. اخذت ريسل

تطلق الأشعة على الفئران فتصرع في الحال ولكن كانت أعدادها تتزايد.

في هذه الاثناء انتهزت الفئران الفرصة وتسلمت على جسده عاملة أنيابها في

بذلت الحصينة.. وبلحظة كانت الفئران تنتفض وتسقط من عليه صريعة.

ذهلت منى مما يحدث معهم ولكن سرعان ما أخذت تطلق من مسدسها

موجهة أشعته القاتلة على جحافل الفئران.

بينما كعبول يخمش كل فأر ويهاجم.. وقفت جموع من الفئران وكأنها منومة

تحت تأثير عين كعبول.. علا صوت ريسل موضحا أن البذلة التي يرتديها كعبول

تضاعف قدرات القط العادية مئات المرات.

فمن المعروف أن القط بإمكانه أن يسمر الفار أمامه.. ويلهو به حتى يقتله ويلتهمه بالنهاية.

نظرت منى بتعجب؛ فما أمام كعبول ما يزيد على مئتي فأر وليس واحداً. وسرعان ما كان يخمش كل فأر منهم فيموت بالحال.

أعجب كعبول بقدراته الجديدة فعاث ضرباً لما يقابله من فئران.. حتى استطاعوا خلال دقائق قليلة إنهاء المئات من الفئران التي انتشرت جثثها بالمكان. سارعت ريسل بتأمين إغلاق الأبواب.

ووجهت أشعة جمعت كل الفئران في أحد الأركان على هيئة كومة هائلة. وانفتحت فتحة شفطت كل الجثث.. وعلقت ريسل.
- ستذهب للدفن وإعادة تدويرها كأسمدة.

إن هذا الشبح القذر تحكم في عقول الحيوانات وأخرجها من طبيعتها الوداعة لتهاجمنا كوحوش.. أعتقد أنه لم يبقَ بالمحمية فار واحد.

أنزل فيكتور منى العالقة في الهواء بقواه العقلية الجديدة المسيطرة. فعقبت ريسل.. ستندesh مما تمتلك من قوى.. أفكارك تتحول لحقيقة.

-رد فيكتور على نظرات منى المتسائلة:

- نعم، لقد تمنيت عند الهجوم أن ترتفعي في الهواء حماية لك.. وإذ بي أجذك فعلاً ترتفعين بعيداً عن الخطر.

نظرت منى لكعبول. وقد أصبح أشعث الشعر وتمزقت البدلة التي كان يرتديها من عدة أمكنة.

-إنك بطل يا كعبول.

انحني فيكتور عليه ليزيل بقايا البذلة الممزقة والتي تعيقه الآن عن الحركة.
مسد شعره ليعود كعبول لأناقته السابقة.

توجه فيكتور لمنى قائلاً:

- أنت ترين أن الخطر غير متوقع، وفوق تصور العقل.. أرجو منك أن
توجهي للأقبية.. حتى لا أنشغل بالقلق عليك وأقدر على إنقاذ ألبرت
وجوزيف.

بصعوبة وافقت منى.. فتوجهوا نحو جدار.. وقفت أمامه ريسل.. حيث
انفتح باب مصعد.

خاطبتها ريسل قائلة:

- من بالأسفل يعرفون شخصيتك.. لا تقلقي.. سرعان ما سينضم إليك
الأصدقاء.

انغلق الباب وراء منى، وتنفس فيكتور الصعداء؛ فلقد اطمأن على منى
وبقي جوزيف وألبرت.

تحرك بناء على الخريطة الواضحة أمامه قائلاً:

-الآن دور ألبرت فهو الأقرب الآن.

استدار فيكتور نحو ريسل ثم قال: أرغب في أن تتفهمي بعض الأشياء؛
أولها نحن لا نرفع السلاح بوجه صديق أبداً.

ريسل وهي تحاول أن تبرر: ولكن قراءات جسد صديقتك وتحليل لنفسيتها
كانت ستهاجمك بنسبة 89٪. وما فعلته عملي وواجبي هي حمايتك.

قال فيكتور: هناك فرق في التعامل ما بين عدو وصديق.. عامة من طبع
الخائف أن يدافع عن نفسه.. وبناء على الصورة التي شاهدها؛ فهي خائفة ولديها

شك.. وتصرفها هذا طارئ على شخصيتها وطبعها.
 أي ليس أصيل فيها. فلماذا تريد أن نحاسبها على شيء مؤقت وعابر؟ لن
 أسمح لطبعها المؤقت أن يتغلب على طبعي المتفهم.. أنا أعامل الناس بطبعي أنا.
 ريسل وهي تتحرك معه: لسنوات عديدة عملت بجوار البروفيسور ولم
 اتصرف قط بشيء يؤدي إلى خطأ.
 ولكنني سعيدة أنك أوقفتني بذلك الشكل.. لقد تعلمت شيئا جديدا. لست
 متأكدة لماذا.. ولكنها خبرة جديدة.. وبدت كما لو كانت تحلل الامر جيدا وتفكر
 به.

فصمت قليلا.. ثم قالت:
 -الآن نستطيع أن نعمل معا.
 قال فيكتور: حقا إنني أعجب من قدراتك العديدة.. البيانات التي توفرت
 لدي حتى الآن.. تظهر أنك سلاح حربي لا يقف بوجهك شيء.. تستطيع أن
 تعتمد عليك وحدك أي دولة في ردع ومهاجمة أعدائها.
 ضحكت ريسل:
 -أشعر بالفخر من كلامك.. ولكنني أفضل أن أكون قوة لا رادع لها في سبيل
 الحق والعلم.

ارتدى فيكتور سترة جديدة ظهرت له من الحائط بأمر من ريسل.. ثم أخرج
 مثل الكبسولة الصغيرة التي تحتوي على عينة من علاج الإيدز وتركيبته الكيميائية
 الوحيدة ووضعها في سترته.
 قالت له ريسل إن ألبرت هو الأقرب إليهم ويجب الإسراع لأنه فاقد الوعي
 وربما قد عُرض إلى الأذى.

وبينما هم متجهون هناك قال فيكتور:

- يبدو أن البروفيسور كان يعاني الكثير في الأخير.. لا أُلومه حقا على ترك كل شيء وراءه.

قالت ريسل بحزن:

- نعم، لقد كان مجهدا جدا.. كثرت السهام من كل اتجاه.. الدواء الأخير وصراع الشركات الخاصة.. وإطلاق الاتهامات والإشاعات السيئة عليه من كل صوب.. تكاثفت معها الحكومات وبعض الأعضاء البارزين بالحكومة يشنون حربا ضارية عليه؛ فالأمر يتعارض مع تجارتهم ومصالحهم المالية.. أنت تعرف هذه الفئة من السياسيين الذين يملكون لباقة بالحديث تكاد أعينهم تذرف دمعا.. ويقسمون بدمائهم أنهم لا ينامون من كثرة سوء الأحوال.. لا يأكلون من هول ما يحدث ثم يهتفون بحماس المقاتلين إنهم سيسترجعون الحقوق لأصحابها.. وسيقتصون من سارق الخبز من أفواه الجائعين بينما بالواقع هم سارقو الخبز الحقيقيون.

ابتسم فيكتور إعجابا بريسل بينما تابعت هي بحزن وهي تتذكر البروفيسور - كانت هناك فئة يحاولون بكل الطرق تهمة إنجازاته؛ منهم مجموعة من العلماء. يملأون الصحف العلمية والإلكترونية ومقالاتهم الراضية لأفكار البروفيسور.

تلك المقالات التي تتساءل باستفزاز "ما جدوى ما يفعله؟" أن البروفيسور مثل الذي ينقش على الماء. أو بضع عبارات أخرى مثل هذه نظرية تشبه تلك التي حاول أحدهم تطبيقها منذ عقود.

- لم يأت بجديد البروفيسور ثم يتساءل بحقد واضح يكاد يقطر سماً من بين حروفه.

"هل يستحق البروفيسور كل هذه الضجة المنسوبة له؟ فهو متسلق على نجاح آخرين. كل منتجات المحمية لها أعراض جانبية قاتلة ولكنهم يخفونها بطرقهم الملتوية.

قال فيكتور: مثل هذه الفئة يجب مواجهتها وتدبر أمرها لأنها تنشر الفتنة. فيكتور: هؤلاء خطر حقيقي على العلم قد يملكون معلومة واحدة صحيحة ويضيفون لها مئات من الزيف مثل هؤلاء أجدر بنا أن نطلق عليهم سفهاء العلم أو جهلاء.

هزت ريسل كتفيها وهم يتخذون خطواتهم بانحراف جهة اليمين، ثم قالت: يروق لي هذا التشبيه.. سفهاء العلم.

تابعت ريسل: كان كل إنجازات له يصاحبها سحابة دخان سوداء من إشاعات بعدم صلاحية الأدوية أو احتوائها على مواد مشعة أو مسرطنة وغيرها من الأكاذيب الزائفة.

صمتت ريسل لحظات.. ألقت نظرة عابرة على كعبول ثم قالت:

- ما زاد الأمر سوءاً هو معرفته بمحاولة اغتياله.. وتحذير الاصدقاء له.. لقد كانوا يصرخون له وينصحونه بضرورة الرحيل.

تساءل فيكتور بدهشة: أصدقاؤه؟

أجابت ريسل: - الجذور.. الأهل إندونيسيا؛ لقد كان البروفيسور حريصاً على حضور الحفل الوطني لإندونيسيا سنويا (17 أغسطس) وقد أفضى له رئيس البلاد بهذا الأمر؛ فهو يرتبط معه بصداقة قوية. إن نظام العشائر المألكة تقوم على

أساس الجماعة وأهمية الفرد والحفاظ على كيانه. وهو يعتبر البروفيسور فردًا من داخل أسرة إندونيسية جزء لا يتجزأ عنهم سواء كان خارج الأرض أو داخلها كان أمان البروفيسور من مهامهم. لهذا لقد أخبره رئيس أندونيسيا بأن عليه أن يتخذ حذره وأن المكائد تحاك له للخلاص منه.

تمتم فيكتور بإعجاب:

- سياسية هذه العشائر علاقة تكافل وتآخي مثل هكذا مجتمعات لا يجدون تعارض بالتعامل والتعايش مع الكيانات الأخرى مهما بلغ تقدم الآخرين عنهم أو تأخرهم فكريا.

أو مأت ريسل برأسها وهمست: هذا صحيح.

ترأت أمام فيكتور خلالها شاشة طيفية يراها من خلال عدسته فقط.

بقوات الأمريكية والإندونيسية الصديقة، وغير الصديقة

ثم تساءل بحيرة: لماذا لم يطلب المساعدة من الحلفاء من البداية؟

ريسل بينما هي تتحرك وتنظر من حولها:

- لقد كان هذا سؤالاً له من قبل.. بل فلنقل كان طلب مني وتوسلات

ورجاء له أن يفعل.. لتخفيف الأحمال عن كاهله ووئدها.

ألقي فيكتور نظرة حائرة لريسل ثم قال: وماذا كان جوابه؟

تابعت ريسل:

- لقد قال لي إن الأمر ليس منوطاً به يجب أن ينفذ ما عليه فعله.

تطلعت ريسل لكعبول الذي يسير موازياً لهم ثم تكلمت:

- بعد تضخم الأحداث وزيادة الضغط عليه هناك شعور بالضيق لم

أشاهده طوال مرافقتي له بهذا الحزن والتفكير المتعب إلى أن جاءت تلك الليلة

التي كان يتفقد فيها نظريتك.. أذكرها جيد وهتف بكلمة "عبقري. كان يقصدك أنت استدعى انتباهي كليا.

كنت أتابع خطوط الموضة لهذا العام بالحقيقة لم يرق لي اللون الموف الذي كنت أبحث عن لون لتصميماتي من الأزياء كهواية لي.. ظننت أنه اكتشف سرًا آخر من أسرار الكون وقد كان عاكفا على نظريتك.. كان معجبًا بها كثيرًا.. قال إنها تبدو مكملة لأشياء كثيرة وإجابات عن أسئلة شديدة التعقيد.

تبدو كأنها احتوت عدة نظريات معا لتعطي الأفضل بعدة نتائج مبهرة ومميزة بها من الحقائق العلمية أثبتتها التفاعلات والتأثيرات ما جعلت البروفيسور يكتشف أشياء أخرى لم يكن على علم بها. أخبرني د. جاك أن الأمور ستتغير كثيرا، وأنه حان وقت التقاعد، وأنه يرغب بشدة أن يعود لإنдонيسيا.

لم يعقب فيكتور على كلماتها ولكنه شعر بما أفصحت عنه. وبصوت منخفض همست ريسل بمرح لتخفي ما تشعر به من اشتياقها للبروفيسور:

- لقد أفضى لي بسر.. قال إنك ستكون صديقي الجديد.. ستكون مسئولًا عني.

تساءل فيكتور: ماذا عن توماس؟ ماذا حدث له؟
هزت ريسل رأسها ثم استطردت: تقصد ماذا حدث لهم؟
نظر لها فيكتور وقد ارتسمت بوجه علامات الحيرة مرددا خلفها: هم!

في هذه اللحظة ظهرت لقطات وكأنها فيلم سينمائي يشاهدها فيكتور في رأسه.

ظهر بوضوح توماس وهو يقبض بيديه على الحقيبة بقوة ويسير بخطوات مسرعة واثقة قبل أن يتوقف فجأة، ثم ينظر خلفه بشك ثم يسير خطوتين ويدير رأسه بجميع الاتجاهات.

نظر لساعة يده وهي ترسل إشارات حمراء متلاحقة مع صغير عال ثم قال توماس بدهشة:

- ما هذا التتبع الذي يرصده الرادار الأمني خلفي؟

أسرع يضع الحقيبة بين شجرتين ويظهر بعدها أن توماس كان يقاتل شخصاً غير مرئي بعنف ثم سقط على فجأة.

ألقي فيكتور نظرة على ريسل: توماس يقاتل الشبح؟

أومأت ريسل برأسها بالإيجاب: هذا كان أول ظهور خفي له.

صمت فيكتور وبدأت الصور تتدفق من جديد فظهرت الحقيبة وضوء أحمر يمرر عليها ثم ظهرت الحقيبة وهي تسحب لتوضع بين الأشجار أكثر.

تابعت ريسل بلهجة ساخرة: الحقيبة مزيفة.. أظنه اكتشف هذا بأشعته الحمراء.. عدم تطابق البيانات المطلوبة بما يبحث عنه.

ثم أرجأ هذا بوقت آخر للتأكد، أو أعطى أملاً لذاته أنه حصل على علاج آخر وأن الغنائم تتكاثر.

شاهد فيكتور بعدها توماس يسير بحركات واثقة بين اثنين من رجال الأمن.. أبطأ خطواته ثواني ليستل مسدسه ويطلق رصاصتين على رأس رجال الأمن فيرديهما قتلى.

ثم تلا هذا صور عديدة لشكل توماس وهو يقتل المزيد من رجال الأمن
قالت ريسل بآلم:

- لقد قتل الشبح جميع أفراد الأمن متنكرا على هيئة توماس؛ لهذا أبقيت
الأبواب مغلقة، حتى يكون الآخرون بأمان تحت الأرض بعد الحادث المزيف.
لولا إغلاق الأبواب كانت ستصبح هناك فوضى كبيرة ويزداد عدد القتلى.
ريسل: لقد اقتربنا من ألبرت، إنه أمامنا على مسافة ضئيلة في المنزل المتنقل.

أرخت ريسل إبهام يدها فاقتربت الصورة لتظهر من الداخل لصورة هلامية
حمراء تظهر شخصاً يستند بوجهه على شاشة المنزل المتنقل.
شعر فيكتور بآلم وهو يرى ألبرت وهو يضع رأسه على شاشة القيادة فصاح
لريسل: يجب أن نسرع له .
وبعد ثواني أشارت ريسل لفكتور وهما يقفان أمام البيت المتنقل: صديقك
هنا.

قفز كعبول داخل البيت تسبق خطواته الجميع.. تلا خطواته فيكتور الذي
صاح بصوت عال: ألبرت استيقظ.

تأملت ريسل وجه ألبرت المنكب على شاشة القيادة: إنه فاقد الوعي.
شعر فيكتور بالقلق.. أسرع يزيح وجه ألبرت عن الشاشة ثم نظر لملابسه
الملطخة بالدماء وقد ظهرت أجزاء مقطعة من ثيابه فظهرت بضع خريشات
وخدوش قوية بساقه.

فيكتور: ريسل حاولي مساعدته.

ريسيل وهي تضع يده عليه: سأنقل له شحنات طاقة.. ذبذبات منخفضة تنبيه للعقل ليستعيد الوعي.

فيكتور وهو يعاينه:

- لقد عرّض للدعر ومهاجمة حيوان مفترس.. إن ألبرت غير مهياً لأي نوع من أنواع المفاجآت.

ريسيل وهي تعالجه: لقد كان البيت طوق نجاة له.

شعر فيكتور باهتزاز طفيف بالبيت تلا هذا اهتزاز جسد ألبرت وارتعاش بعينه وتحرك رأسه قليلاً.

فتح ألبرت عينيه بتثاقل نظر لفكتور ثم أغمض عينيه ثانية صاحت ريسل بتحذير:

- فيكتور، يجب أن تظل حواس ألبرت متيقظة خطر جداً أن أضيف له طاقة إضافية أخرى.

أوماً فيكتور برأسه متفهماً فصاح بقوة: ألبرت يجب أن تنهض الآن هذا المكان غير آمن يجب أن نذهب من هنا.

نظرت ريسل لساعة يدها التي تعلوها طبقة زجاجية ثم قالت وهي تزيح الطبقة الزجاجية لتلتقط من أسفل زوايا الساعة كبسولة صغيرة الحجم.

ريسيل: هذه الكبسولة تحتوي على سعرات حرارية.. احفظها للطوارئ. وضعتها بفم ألبرت ثم قالت: إنها سريعة الذوبان.

جذب كعبول سروال ألبرت بقوة مما جعل ألبرت يثني ساقه بفرع وذعر ثم فتح عينيه فبدت الصورة أمامه ضبابية بعض الشيء.

اتضح بعد ثوان نظر ألبرت لكعبول بدهشة.. وهو يهز ذيله.

ألبرت يتكلم بعدم التصديق: كعبول أهذا أنت؟ جيد أنك لست فأزاً!

أطلق كعبول مواء عاليًا، فقال فيكتور لبث روح الاطمئنان لألبرت:

- كل شيء سيكون بخير يا صديقي.

ألقي ألبرت نظرة لفكتور وقد انتبه للتو لوجوده قائلاً بإعياء:

- فيكتور أنت هنا.. أين الآخرون؟

فيكتور: عليك أن تلحق بمنى إلى الطابق السفلي، وبعد ذاك سيلحق بك جوزيف يجب الذهاب الآن.. الوقت محدد.. لم يتبق لنا الكثير من الوقت.

ريسيل: المصاعد قريبة من هنا. ثم أشارت بيدها للأمام.

ألقي ألبرت نظرة على ريسيل وهو ينهض ثم تساءل:

- عفوا هل هي إحدى المدعوات للمحمية أيضاً؟

هز فيكتور رأسه بالنفي مع ابتسامة ثم قال: إنها أكثر من ذلك بكثير.. إنها معنا الآن.

ابتسمت ريسيل لإطراء فيكتور، أما كعبول أسرع يتقدمهم بالخروج بينما سار فيكتور يجاور ألبرت وبالجهة الأخرى سارت ريسيل.

نطق ألبرت بألم:

- حقاً فيكتور هذا المكان أشبه بأرض العجائب والمتاعب.. لن يصدقني شخص لو أخبرته أن فأر تجارب كاد يصرعني لولا العناية الإلهية.

ضحك فيكتور: اطمئن لقد قضينا عليهم.

رد ألبرت بدهشة: عليهم؟

- حرك فيكتور رأسه بالإيجاب ثم تابع:
- لقد خضنا معركة قوية مع كعبول ومنى وريسيل.. قضينا على جنون آل ويستر وانتهت شراستهم.
- ألبرت يتكلم بسخرية: جيد أن معركتي كانت أحادية.
- أعقب بعدها ألبرت:
- ما جدوى تهجين الفئران بهذه الطريقة لتصبح أسودًا مفترسة؟
- ظهر بوجه ريسيل علامات غضب ثم قالت:
- هذه الأمور أكيد ليست من اهتمامات المحمية أو الأبحاث التي تدرس هنا أو يلتفت لها.. لقد عبث أحدهم بجينات فئران التجارب.
- قال بعدها فيكتور: لقد كان شيئًا سيئًا وانتهى.. لك أن تنظر للأمر كما لو كان كابوسًا وأفقت منه.
- وافقه ألبرت الكلام ثم أجابه:
- تدرك فيكتور، لقد أيقظت تلك المطاردة مع الفأر تشبث لي بالحياة.. إنها غريزة البقاء.. تولد مع إحساس الخطر غريزة تدفعك للقتال لتنجو.
- تابع فيكتور:
- نعم فلنقل إنها مغامرة أوضحت وكشفت لك جزءًا كان خفيًا منك.
- وأثناء ذلك دخل جميعهم الغرفة التي تعرض أفكار الشخص وتعكسها بشكل مرئي على جدران الغرفة.
- قال ألبرت بعدها:
- لقد تساءلت كثيرًا.. ألم يفتقد الآخرون وجودي؟ تمنيت أن أعثر عليك أو تبرر غيابي أي بحاجة لمساعدة.

تأمل فيكتور ألبرت ثواني قبل أن تقفز بذهنه عبارة: أخوك بالحاجة إليك..
تدقق الحلم سريعا بعقل فيكتور مرة ثانية بوضوح.
وعكس ذلك صورة لشاب من حولهم بشكل واضح.. تأمل ألبرت الظلال
المضيئة التي ظهرت أمامه فجأة.
كانت.. الجدران البيضاء.. التي تظهر الشاب العشريني بسرور رياضي
طويل يقف مع ابتسامته.
ثم ظهر واضحاً فيكتور وهو يقف هناك معه.
تطلع ألبرت للجدران البيضاء وقد انعقد حاجبيه دهشة ولحم لسانه
الصمت.. شعر بحاجته للصياح لفكتور.
ولكنه كان بحالة من الصدمة جعلته يصمت فقط، ثم ألقى نظرة على ريسل
التي كانت تشاهد الجدران بصمت ثم بادلت ألبرت النظرة دون أن تتفوه بكلمة.
أشاحت ريسل بوجهها للجهة الأخرى، ثم تظاهرت بالنظر لكعبول.
بعد ذلك تظهر الطاولة الممتدة بلا نهاية وفيكتور على رأس الطاولة لقد.
أيقن ألبرت حقيقة ما يراه.. استطاع أن يعلم جيداً أن الشاب العشريني هو
السائر.
إن ما كتب بالرواية ليس خيالات كاتب.. أو أحلام يسردها آملاً لها أن
تتحقق وليست رؤية مخملية لعالم وهمي من الخيال.
إنها حقائق يراها الآن ويصبرها جيداً.. الرواية هي توثيق لهذا الكيان..
بعض الناس يشكك بأمور ما ويضعها بخانة الرفض.
وعدم التصديق لندرته بهذا الوقت وربما لأنه مختلف عن السائد بين العامة.

رابطة الوجود حقيقة وفيكتور ينتمى لهم.. تأمل ألبرت للجدران الخاصة
 بالغرفة وهو يفكر هذا حلم فيكتور لقد أظهرت الغرفة ما يفكر به.
 فيكتور قد بدا وكأنه بث مباشر مرئي لما يجول بعقله.
 توقفت خطوات ريسل أمام أعمدة فضية تنتهي بقبة حمراء ثم لمستها برفق
 باتجاه عقارب الساعة؛ فانزاح جزء منها للأسفل.. ظهر المصعد السفلي
 الزجاجي الذي يتسع لعدة أشخاص.
 تجاهل فيكتور كل ما حصل وحث ألبرت على الدخول المصعد:
 - ستكون بأمان تحت الأرض يجب أن أعود بجوزيف.
 قفز كعبول للمصعد ثم عاد ليقف بجوار ريسل وفيكتور.
 تأمل ألبرت فيكتور بصمت ودهشة، وبدا كأنه لم يستمع للكلمات فيكتور،
 ولكن خطواته اتخذت طريقها للمصعد آلياً، وكثير من الأفكار تدور برأسه لوح
 فيكتور له مودعا.
 هتف فيكتور وهو يشعر أن مهمة تأمين أصدقائه وإبعادهم عن الخطر صار
 الانتهاء منها قريباً.
 قال لريسل: والآن لنذهب لجوزيف.
 أطلق كعبول مواء بصوت مرتفع ثم قفز عدة مرات قبل أن يسارع الخطى
 خلف اشجار الفيكس، ويواصل الركض بسرعة كبيرة؛ فبدا مثل كرة سوداء
 تنزلق بسرعة على الأرض.
 ثم ولج داخل مبنى ضخم ذي واجهة زجاجية فناده فيكتور بصوت عال:
 - كعبول، عد إلى هنا.

ولكن كعبول كان قد دلف داخل المبنى.. تسارعت خطوات ريسل، وفيكاتور خلفه ليعبروا الباب الزجاجي الضخم ذات طابق واحد المكون من غرفة واحدة كبيرة.. هناك بابان متجاوران في الغرفة، وتحتوي على مناضد زجاجية تعلوها أنابيب للاختبار وقوارير عديدة اصطفت مع بعض. والمقاعد خلف المناضد، ووضعت بالزوايا بعض اللعب الورقية، وبزوايا الغرفة الأخرى دولا ب خشبي كبير الحجم.

نظر فيكتور إلى داخل الغرفة التي بدت خالية من كعبول.

قال فيكتور بدهشة:

- أين ذهب كعبول؟ لا بد أن هناك شيئاً مريباً!

أشارت ريسل بيدها، ثم صرخت محدرة إياه: انتبه.

وضعت ريسل كلتا يديها أمام وجهها بتحدٍ فتكونت طبقة عازلة شفافة، الإلكترونية مثل حائط وقائي.

انعكست بعض الأشعة ثم ارتدت بعنف من أمام الجدار الواقى العازل للخلف.. تطايرت بعض المناضد.. وتبعثرت بمحتويات الغرفة وسقط الدولا ب الخشبي؛ فتبعثرت محتوياته شعر فيكتور بالدوار واختلال بالتوازن.

فيكتور يخرج سلاحه وهو يحاول أن يستوعب ما حدث.

أسرعت ريسل بالخروج ركضا من الغرفة.. ألقت نظرة سريعة بالرواق، ثم اتجهت نحو فتحة التهوية الموجودة بآخر الرواق توقفت أمامها.

ثم قالت: لقد عبر كعبول من خلال فتحة للتهوية للخارج.

تناهى لمسامع فيكتور وريسل مواء كعبول يبدو وكأنه صراخ.

ريسل وهي تحث الخطى للخارج يتبعها فيكتور: إنهم بالمبنى المجاور لنا.

اجتاز فيكتور وريسل المبنى الخشبي الذي يشبه الكوخ الصغير لي شاهدوا معا.

كعبول يتشبث بالشبح بإصرار يחדشه بأظافره بقوة، ثم يفتح فمه بقوة ليغرر أسنانه به.. كان اشتباك كعبول مع الشبح عنيف.

وقد وثب كعبول على قوائمه يرتكز على صدر الشبح ثم غرز أسنانه بعنق الشبح.. ثم أمسك الشبح كعبول من شعره الأسود بقوة وإزاحه بعنف فأطلق صراخاً.

طرح الشبح كعبول بالأرض.. ووقفت ريسل بجوار فيكتور وهي تشاهد الشبح يشهر مسدسه ليقتل كعبول فاشهرت مسدسها وضغطت على الزناد بقوة. ثم توقف الزمن. تجمد كل شيء.

قبل ثوان من هذه اللحظة...

أخرج فيكتور كبسولة معدنية.. بسط فيكتور كفه لتسقط الكبسولة فارتطمت بالأرض.. وصدر منهاذبذبات رنين ذات صدح عالية.. كتردادات الراديو.. كان كل شيء غير ثابت يتموج ويهتز.

وكان المكان على وشك الانكسار ظهرت بضغ نقاط سوداء بالهواء بدت كالنفق الصغير ذات زوايا متموجة بدا الأمر مثل خط زمني لمكان مختلف ووقت آخر. في هذه اللحظة تحرك ريسل عينيها ويظهر ببطء شديد تنظر ليفيكتور. بالنسبة إلى ريسل والشبح، الأمر لم يستغرق سوى أجزاء من الثانية فقط.

أما فيكتور شعر أنها عدة ثوان؛ فلقد وثب مسرعا ليضع جسده فوق الشبح
ويطرحه أرضا فانطلقت رصاصته بعيد عن كعبول، وانطلقت رصاصة ريسل
بعيد عن الشبح.

دوي صوت ارتطام قوي حاد، ثم ارتفع صوت أزيز عالٍ.. شعرت ريسل
بخلل وتشوش فسقطت أرضا.
ريسل وهي تتكلم منزعة: تبا.. هذه الكبسولة تجعل جسدي يُعرض
لخلل مؤقت.

ثم فردت يدها وقربتها من وجهها بغضب: اللعنة.. لقد كسر ظافر يدي
الأصغر.

ألقت ريسل نظرة على كعبول الذي هز رأسه بحركات متتالية.. أما فيكتور
الذي حرك يديه عدة مرات يحاول ضخ الدم لها، ثم أغمض فيكتور عينيه وهو
يسمع صوت التقرير الطبي الملحق بالشريحة ينساب لخلايا دماغه.

- هناك ضرر بالعضلات، سيتيج عنه ألم بالجهاز العصبي.

معدل ضربات القلب الآن بمعدل أعلى من المعدل الطبيعي بنسبة 30٪
من المستوى الطبيعي.

هناك نشاط متضاعف أعلى الكلى بالغدد الصماء الكظرية أدى إلى تدفق
مستوى الإبينفرين (الأدرينالين) وتحفيز النواقل العصبية بالجسم.

خلايا بيتا الموجودة بغدة البنكرياس يشير لانخفاض مستوى هرمون
الأنسولين وانخفاض مستوى الجلوكوز.

هذا ناتج من الصدمة الأولى لتوقف الوقت.. سيتولى جهاز التغذية المرتد.

نهض الشبح مسرعا كانت خطواته بها شيء من التعثر والتخبط، ولكنه اتجه بخطواته بإصرار للخارج فهذا الوقت المناسب للفرار والفرصة المثالية للهروب. قبل أن يستعيد الجميع توازنه. نهضت ريسل مسرعة لتلحق به.. ضغط الشبح على جزء صغير براحة يده اليمنى.

صوبت ريسل المسدس وهي تقول بتحدٍ: لن تفلت هذه المرة! شعرت بضغط قوي على رأسها كثقل حاد يهوى عليها وضربة قوية أتها من الخلف.

بمرونة عالية اعتدلت ريسل أمام عيون فيكتور المنبهة.. راكلة الرجل الآلي الذي هاجمها.. واستدارت لتقابل الجموع الأخرى التي تتالت في مهاجمتهم. دار الحوار بين ريسل وفيكتور عقليا:

-يحاولون التخلص منا.. اخترق الشبح أجهزتهم كما ترى وجعلنا نحن من نبدو دخلاء وليس هو.

دارت معركة شرسة وإن ظهر واضحا أن ريسل حتما هي المنتصرة بمهارتها العالية في القتال الجسدي.. وقدرتها الفائقة في التفكير والتخطيط.

قام فيكتور من مكانه وهو مدرك لضيق الوقت أمامهم.. وبدأ باللاحاق بالشبح ومعه كعبول.

كانت آثار الشبح واضحة جدا أمام عدسة فيكتور.. فيبدو أن الموجات التي تبدل جسد الشبح أو تخفيه تترك آثارا موجية التقطتها عدسة فيكتور بسهولة فميزها وتتبعها.

قادته الآثار لغرفة كبيرة للمحركات.. فمال على كعبول يحمله على كتفه. هامسا له "استقر هنا". فما كان من كعبول إلا أن أطلق كركرته ولف ذيله حول رقبة فيكتور.. وقد رفع أذنيه مترقبا.

دخلا للغرفة والتي ظهر بها الكثير من المحركات تعرفتها عدسة فيكتور؛ فهي محركات كهرومغناطيسية تولد طاقة هائلة لدعم آلات تنتج عدداً كبيراً من الغازات من بينها الغازات النبيلة وغازات أخرى خاصة متعددة.

هنا وسط المحركات يختبئ الشبح، كما يظهر من آثار الأمواج التي تنبعث من بذلته وهو لاه تماماً عن ملاحقة فيكتور له. أغلق الباب بأمر من فيكتور لعدسته.

وقف في مكان مكشوف وبصوت عال متيقن من سماع الشبح له:
- جميل أن أراك هنا مخبئاً بعد تلك الاستعراضات التي قمت بها.
تنبه الشبح وانزوى أكثر بمكانه وقد بدا يفتح عدداً من الملفات أمام عينه.
وقد علاه الحذر أن يصدر أي صوت أو حركة منه.

فيكتور وهو يبتسم ويتكلم بصوت منخفض: إذن هو القط في تلك المعادلة؟!

أكمل فيكتور بعدها بصوت جهوري واثق:
- عندما انفتحت لنا البوابات لم تدرك أنت قط ذلك، وكنت في غفلة وتفاجأت بي والأصدقاء. لم تستطع أن تصل لي.. ولكنك تلاعبت بالأصدقاء قليلاً.. وعرضتهم لمخاطر عدة.
كل هذا وأنت عالق كجرذ جبان هنا.

ولكن انتظارك لم يكن هباء ولدي الآن النتيجة المأمولة؛ فلقد كنت محقا أنت ومن أرسلك.. علاج الإيدز موجود بالفعل.. ها هو بين يدي الآن.
ولديك فرصة ذهبية الآن.. تحصل على العلاج وتتخلص من أحد
الموجودين بقائمتك للقتل.

كان فيكتور يبدو كشخص آخر مختلف.. أكثر جراءة وشجاعة.. لذا لم ينبس
الشبح بأي همسة.

رصدت عدسة فيكتور المتطورة مكان الشبح وهو يفتح خرائط ضوئية
شاهدها فيكتور رغم أنها المفروض متاحة فقط ولا يراها إلا الشبح.
صدرت ضحكة عالية ساخرة من فيكتور أجفل لها الشبح ثم اتبعها بقوله:
- هل تفكر حقا بالرحيل والهرب ونحن لم نتمتع بعد بكل فقرات الحفل؟
مكانك واضح أمامي.

وأطلق طلقة صغيرة بجوار الشبح كان يدرك أنها لن تضر أي شيء بالغرفة
فقط للدلالة على ما يقول.. ثم استكمل: وعلى مرمى أسلحتي تماما.
التقطت أجهزته في نفس الوقت اقتراب ريسل بعدما انتهت معركتها.. فما
كان منه إلا أن أرسل لها رسالة ذهنية قصيرة:
-أعتذر.. أحتاج لبعض الخصوصية الآن.

ثم قطع الاتصال بينهما تماما واغلق جميع المنافذ حول الغرفة. صائحا
بالشبح:

-نحن الآن محاصرون معا.

تأكدت ريسل أنها فعلا لا تستطيع أن تتصل بفكتور أو تقتحم الغرفة.. وفي نفس الوقت وصلها آخر تحرك من ناحية جوزيف؛ فهو معرض الآن لهجوم وشيك من أحد رجال الأمن الآليين والذي ظهر عليه أنه يرى جوزيف كدخيل. أسرع لأحد أنويتها الأقرب لجوزيف.. وظهرت له.. وهو يقف موقف الاستعداد لمهاجمة الرجل الآلي.. فوجئ جوزيف بها وقد تجسدت أمامه فجأة تصرع الرجل الآلي.

أسرعت تطمئنه فقد استعد لمهاجمتها:

-إنني صديقة فيكتور.

ما إن سمع اسم صديقه حتى اعتدل قليلا وإن كان ما زال في شكه وحذره منها.

بينما استكملت ريسل:

-هناك دخيل قاتل بالمحمية. يجابهه فيكتور الآن.. لقد كنت منذ وقت في قبو مشفى قديم مهجور.. وفتح لك الشبح الباب بعدما زيف مشاهد ليؤلبك على صديقك.. لقد التقطت كل هذا عبر أجهزتك.

يجب أن تنزل تحت الأرض في الأقبية الآمنة.. هناك ستجد منى وألبرت.

لانت ملاحه قليلا وإن هز رأسه رافضا فكرة النزول بالأمان.

- لن أترك فيكتور.. تقولين إنه يجابه قاتلاً.. إذن فمكاني بجواره.

-هذا خطر جدا وانت غير مؤهل لذلك.

جوزيف وبإصرار: لا فائدة من الكلام معي.. إما ترشدني لمكان فيكتور

وإما أبحث عنه أنا بطريقي.

لن أترك صديقي أبدا في خطر.

كادت ريسل تطلق سبة ساخطة سمعتها مرة في خوضها لمعركة قديمة.
ولكنها تعلم أن هذه السبة شيء سيئ.

لم تجد امامها إلا أن تصطحب فيكتور لأن لا وقت للجدال.. مطلقة بعض
التمتمات عن إنسان يتمتع بعناد البغال.. حقا هو صديق واضح لفكتور.

استكمل فيكتور حديثه للشبح:

-تعلم جيدا أنني لن اسمح لك بالذهاب.. فكما أرسلوك للتخلص منا..
فمن واجبي أن أبعذك تماما عن اللعبة.

يخرج سلاحه فتبدأ أجهزة الشبح بالتوقف تدريجيا.. وهو يراقب زائف
العينين.

بينما يكمل فيكتور:

- قبل أن أعزلك تماما عن أصدقائك وأبطل جميع الأجهزة والكاميرات
التي تنقل لهم كل ما يحدث.. لدي رسالة.

(لن تستطيعوا التخلص منا بسهولة فإن مات منا واحد فسيزيد هذا من قوة
الآلاف آخرين غيره.

أنتم تراهنون بكل شيء في معركة خاسرة. مهما اتقنتم خططكم.. سنقلبها
عليكم.

ما زال يوجد لديكم وقت للتراجع وتنضموا للفريق الرابع.. كلنا سنريح
سواء كنا تحت التراب ام فوقه).

نظر الشبح عاجزا وقد تأكد تماما أنه معزول وكل أجهزته قد تعطلت..
تأكد أن الأجهزة الدفاعية بالمحمية قد عادت لعملها بعدما كان عطلها سابقا.

ومعنى هذا موته هو أو أي دخيل من خلال الموجات الرادعة والتي من الواضح أن فيكتور يتحكم بها بالكامل.

تفاجأ بفكتور يقول له:

-قم واذهب الآن وبلغ الرسالة.. لن يعترضك أي شيء.

لم يصدق الشبح نفسه وظل قليلا مترددا.. ثم حسم أمره.. إن كان هذا فخا من فيكتور.. ولكنه يستطيع أن يقتله بسهولة الآن.

خرج من الغرفة التي فتح بابها فيكتور وهو يركض باتجاه البوابة كما شاهده لآخر مرة على الخريطة قبل أن تتعطل أجهزته.

بينما فيكتور يفتح الطريق للشبح الراكض كان هو وعلى كتفه كعبول يسيرا وراءه بكل هدوء.

فتح الاتصال بريسל التي كانت في الطريق إليه والتي أدركت في التوما قام به:

-أهكذا سيكون التعامل بيننا؟ ألن توضح لي لماذا أطلقتته بعدما حاصرته وتمكنت منه؟

- لا أفضل هذه الطريقة في المعاملة طبعاً، ولكن كانت لدي رسالة رغبت أن تصل لمن خلفه عن طريقه.

لم يكن الوقت مناسباً لصيده الآن لأن ذلك لم يكن لينفعنا.. فليكن طعماً نوقع به باقي الجرذان.

ريسسل وهي تجري: نحن على وشك الوصول إليك.. رفض صديقك أن ينزل للأقبية الآمنة وأصر أن يكون بجوارك.

ابتسم فيكتور متفهما:

- نعم، هذا هو جوزيف.. إن المدرعات وقوات الطوارئ والتدخل السريع قريبة جدا من البوابة الآن كما يظهر لي.

- بينهم مدسوسون.. لدي معلومات سرية أن الشرطة وصلتها الأوامر بالتراجع لما خلف القوات الخاصة بمسافة كبيرة.. ويدعوها تتدخل أولا لأن هناك اشتباها بوجود رهائن بالمحمية في خطر.

الفريق الذي سيتدخل أولا مهمته إكمال عمل الشبح وإخفاء كل الأدلة والتخلص منك.

فالحكومة على علم تام بما حدث بالمحمية.. وأنتك تسلمت زمام الأمور هنا. وما كان شكوك لديهم سابقا عن رابطة الوجود أصبح يقيناً وإن كانوا ما زالوا لا يعرفون القائد أو الأعضاء أو كيفية تعيينهم واجتماعاتهم.

كانت النقاط الحمراء تبدو في مكانها ساكنة خلف أسوار المحمية وقرب البوابة.. ولكن العمل كان على أشده الآن.. فبعد انفصالهم عن قوات الشرطة وتقدمهم مصطحبين حقائب ضخمة مليئة بالمعدات المختلفة.

وحضروا تعطيل الدفاعات بالمحمية للمرة الثانية، وتقوم الأجهزة بعمل مسح لمعرفة مواقع الأشخاص بالدخل قرب البوابات.

- إنني أتعجب الشبح الآن.. من خلال الأجهزة الكاشفة في المحمية ولن يظهر ذلك له أو للقوات.. هو يتجه الآن نحوهم.. سيقابلهم بنقطة عمياء ليرتدي خفية ملابس القوات الخاصة السابغة ليظهر كواحد منهم.

فلتحضري عددًا من الخطط البديلة والحلول لأن شيئا كبيرا يوشك أن يحدث الآن.

لاحت أمام ريسل وجوزيف معالم البوابة على البعد واستطاع جوزيف أن يميز الاعمدة الرخامية الضخمة الباروكية والتي قابلتهم عندما فتحت لهم البوابات.

الشبح يقترب حثيثا الآن من البوابات لا يفصله عنها إلا عشرات من الأمتار.

عندها أمر فيكتور بخروج ثلاثة من الكلاب الآلية المزودة بخلايا عضوية من فتحات سرية قرب البوابة.

وقف كعبول على كتف فيكتور وقد قوس ظهره وانتفش شعره عندما رأى الكلاب وواحدهم يهاجم الشبح أمامهما ويقبض على ساقه بفكيه؛ فيخر الشبح رغم مقاومته واقعا على الأرض.

لم يستطع الشبح تفادي هذا أو يقاوم تلك القوة المضاعفة الذي يمتلكها الكلب الآلي.

الشبح يتألم من جرح ساقه بينما الثلاثة كلاب تحوطه.

تمتم فيكتور مهدئا كعبول:

-إنها صديقة لنا.. لا تخف.

هدأ كعبول قليلا وإن كان ما زال على وضعه السابق من التحفز.

وقف فيكتور بهدوء أمام الشبح يتأمله وهو يتألم عاجزا عن الحركة.

في نفس الوقت وصلت ريسل وجوزيف ليجدوا فيكتور واقفا متأملا الشبح وقد غرق في تفكير عميق وكأنه في عالم آخر.

تنبه فيكتور للمسة جوزيف.. وربت كل منهم على كتف صديقه متبادلين نظرات تفاهم بينهما انتهت بابتسامة صغيرة.

بادرت ريسل:

- ما الخطة الآن؟

كان فيكتور هادئا وعينه مستقرة على الشبح.

التصرف المعقول الآن أن نذهب جميعا للأسفل.. ولكن لا أستطيع ذلك..

ما زال لدي شيء أخير أقوم به.

- إن لم يقتلوك الآن فسوف يلفقون لك شيئا.. وردتني معلومات أن الشبح

يمتلك ثمانية عشرة شخصية ذات تاريخ ووجود حقيقي.. يتحلل أي شخصية

منها متى ما أراد في أي بقعة من العالم.. هو لا يتحلل أبدا أي شخصية وهمية.

يستخدم آلية حديثة تمكنه من استنساخ نبرة الصوت وبصمة العين

والأصابع ووجه الشخص الذي يختطفه.. ويستخدمها ويبدو كالشخص نفسه

تماما.

تدخل جوزيف قائلا: ما الذي يحدث؟

أجاب فيكتور باختصار: الأمر كما رأيته.. الخطر محقق الآن.. أرغب في

مساعدتك.

ثم أخرج كبسولة علاج الإيدز من ملبسه وأمسك بيد جوزيف ووضعها

بها:

- هذا علاج الإيدز. مهمتك أن تحميه.. اذهب إلى الأقبية الآمنة به قبل نفاد

الوقت.

- ولكن لن أتركك ابدا ما دمت معرضا للخطر كما فهمت.

- مهمتك في حماية العلاج ليست هينة يا جوزيف.. وأهم من حمايتك لي..

لا تقلق عليّ.

- عهدي بك تزن الأمور جيداً.. وأنا معك في أي قرار تتخذه.

- ليس هناك وقت لتضييعه.. لا تقلق.. لدي خطة ستنجح بإذن الله.. خبيء العلاج.. ولا تخبر أحد عنه أبداً الآن.. كل ما يحدث كان للحصول عليه.. وما زالت المعركة دائمة كما ترى.. اذهب إلى الأسفل في الحال.

ظهر التردد على وجه جوزيف؛ فهو لا يريد أن يترك صديقه بالخطر وحده.

ولكن علاج الإيدز أمل الملايين يجب حمايته فعلاً.

كانت نظرة أخيرة منه لوجه صديقه هي ما حسمت الأمر.. ووافق على مضض أن يتجه بالعلاج للأمان.

سرعان ما فتحت ريسل أحد المهابط المخفية.. ليستقله جوزيف للأسفل.

بينما نظرات فيكتور تخبره أن هذا هو الأفضل.

تابع فيكتور جوزيف وهو يستقل المصعد وقد ملأ جوانحه شعور بالاطمئنان على رفقاءه، ثم ألقى نظرة على الشبح الذي جلس ضاماً قدميه لرأسه، وشبك أصابعه ووضعهم أعلى رأسه بينما زجرت الكلاب حوله.

تترقب أوامر من فيكتور أو حركة من الشبح بينما استقر كعبول على كتف فيكتور وهو ينظر بعدائية للكلاب الإلكترونية.

تطلع فيكتور لريسل وقد استغرق بالتفكير العميق.. ثم تحدث عبر الشريحة ببث أفكاره مباشرة لعقل ريسل دون صوت قائلاً: لا شيء سوى الانتظار فقط.

ألقت ريسل نظرة على العجلات العسكرية والمدرعات كذلك التي تقف أمام المحمية.

يجاورهم صفوف جنود مزودين بأسلحة الليزر اصطففت خلف الجنود سيارات دفع رباعية.. يجاورهم جنود سطعت بملابسهم أزرار حمراء.

أزرار دقيقة صغيرة بها نظام بنيت وارير تتيح لهم تتبع بعضهم وتمكنهم من تحديد والسرعة عند الاشتباكات وأمور عسكرية أخرى.

رفعت ريسل رأسها لأعلى وهي تشاهد تحليق بعض الطائرات البعض منها مرئية والأخرى غير مرئية للعين المجردة.

هتفت ريسل ساخرة: هل هي حرب نهاية الكون؟ وكأن الثكنات العسكرية قد جاءت خصيصا للمحمية.

جاءوا أيضا ببعض الهدايا: حقائبهم تحتوي على أسلحة غير أمريكية الصنع. أجاب فيكتور بهدوء:

- نعم يا صديقتي.. يحاولون دائما أن يسبقوا الخطوات باللعبة.. هم من أشعلوا خيوط الحرب.. ويحاولون جاهدين إرساء غنائم المنتصر بأرضهم.

أحضروا معهم أدلة لادانتنا وإلصاق الجرائم بنا. ألقت نظرة على إحدى الزوايا بأول الصفوف قائلة.

هناك صناديق كاملة تحتوي على رصاص مطاطي متطور.. إنه يذيب خلايا

الجسد!

تطلع فيكتور لها ثم قال:

- علينا أن نتعلم خطواتهم ونسبقهم.. الهجوم خير وسيلة للدفاع.

لقد كان قتال كعبول مع الشبح قتالاً شرساً بالمختبر خلف كثير من الفوضى.. ذلك الدولاب الخشبي يحتوي على قارورة خطيرة جدا.

لقد سقطت مادة عضوية على الأرض.. إنها تشكل خطراً كبيراً على الناس.

نظرت له ريسل بدهشة قبل أن يكمل: سنحتاج لتفعيل حالة الإنذار

القصوى للمحمية.. هناك خطر كبير.

لمعت عينا ريسل ببريق الفهم، وارتسمت ابتسامة على زوايا فمها.
قال فيكتور وهو يترقب والشريحة تبث له بثاً مباشراً بالأوضاع داخل المدينة
والفوضى ظهرت.. إنها تحدث في داخل المحمية وخارجها.
بثت شاشات العرض عبر وسائل الإعلام عدة لقطات حالة استنفار أمني
من شاطئ كايلاو بخليج كانيه والبوارج الأمريكية بارنز (حاملات طائرات)
تتخذ وضع الاستعداد.

كاملة مزودة ب طائرات نفائة وحربية بدأت بالتحرك وغواصات آمو،
وانتشرت قوات الجيش الأمريكي على كل الأماكن الحيوية.

تجمع آلاف من الناس بواشنطن بالنصب التذكاري لضحايا الحرب
العالمية الثانية رافعين لافتات "كفى إبادة" والبعض الآخر اختار رفع لافتات
بها صور ضحايا حروب من مختلف العالم.

بينما امتلأت النصب التذكاري لإبراهام لنكولن بواشنطن لافتات مؤيدة
للقوات الأمريكية متسائلين بترقب مهاجمة مباغته.

"ماذا تفعل القوات الاندونيسية بأرضنا؟" ولافتات أخرى
"من يقتحم سماءنا؟".

بينما زود مطعم **needle space settles** بشاشات عرض كبيرة لـ يتيح
للسائحين متابعة الأخبار لحظة بلحظة.

وامتلأت القنوات الاخبارية خبراء سياسيين ومحللين لما يحدث.. من أسباب
ونتائج افتراضات وتكهنات من واقع الصورة العامة دون الوصول لحقائق ثابتة
عن حقيقة ما يحدث.

راقبت ريسل فيكتور باهتمام وهو يسألها عن الزر الذي أعطته إياه جيسيكأ:

كيف يعمل هذا الزر؟

انسابت الإجابة من ريسل بأن ضغط الزر يرسل إشارة إلى عدسته لعرض ما يراه فيكتور بها وكذلك التقاط الصوت ما يسمعه أيضا.

فضغط فيكتور الزر وظهرت أمامه رسالة لقبول التوصيل مع محطة الأخبار العالمية من خلال هذا الزر الإلكتروني.

قبل ذلك وتم إرسال إشارة إلى محطة الأخبار، وتحديدًا إلى جيسिका لأن ذلك الزر مسجل باسمها.

أثناء ذلك ينظر فيكتور إلى ريسل ويدها إلى الأعلى تنظر لطلاء الأظافر..
تمت بجدل طفولي: يبدو مناسبًا للزي الجديد.

واصطنعت ملامح جدية على وجهها.. ابتسم فيكتور قائلاً لها وهي ترتدي تنورة بيضاء يتوسطها حزام زهري اللون وسترة زهرية اللون وحذاء أسود، وقد أرخت خصل شعرها من أسفل بتموج بطريقة كيرلي.

في مكان آخر خارج المحمية توقفت السيارة البيضاء أمام البيت الأبيض ليرتجل منها عدة رجال وفتاة قاموا بتثبيت عدة الكاميرات حديثة ووضع بعض الأجهزة الخاصة بالصوت.

قالت الفتاة وهي تقف أمام أحدهم:

- آرثر، أريدك أن تظل معي دائماً بالكاميرا ثلاثية الأبعاد لتظهر أوضح صورة للمشاهد هذا حدث لن يتكرر كل يوم.. حضر تجوال وحراك عسكري غير مألوف.

أوماً آرثر برأسه موافقاً، في حين نظرت جيسिका إلى الشرطة الأمريكية وقد شكلت حزاماً دائرياً حول البيت الأبيض.

يمتزج معهم الحرس الوطني بوضع الاستعداد.. همست جيسيكا وهي تعدل الميكروفون بملابسها.

جيسيكا: يجب إجراء لقاء مع أحد رجال الشرطة.
انطلق أزيز مرتفع من حقيبتها، وهي تتخذ خطواتها لأقرب شرطي لها الذي أشاح بوجه بعيدا عنها يرفض الحديث معها.
زفرت بحلق ونظرت إلى شرطي آخر.. اتخذت خطواتها نحو المجموعات المتناثرة أمام البيت الأبيض وهي تقنع ذاتها أن تعكس رؤية وأفكار الأشخاص للإعلام.

فارتفع صوت الجهاز مرة ثانية فعقب آرثر على ذلك:
- جيسيكا هناك صوت قادم من حقيبتك.

عشت جيسكا بمحتويات حقيبتها ثم أخرجت جهاز الاستقبال على شكل مربع صغير فقالت بسرعة: إنها إشارة من المستعرض الحيوي الخاص بي!
ارتسمت علامات التعجب والارتباك على وجهها وارتعشت يدها وهي تفكر.

مضى وقت منذ آخر لقاء لها بفكتور.
ربما فيكتور بين الجموع أمام البيت الأبيض، ويريد الحديث معها.
جالت ببصرها بين الجموع، ثم اتخذت خطواتها لتقف خلف الكاميرا بجوار الفريق الإعلامي.

ثم ربطت الإشارة بهاتفها وظهر موقع الزر الإلكتروني في وسط المحمية.
صرخت من مكانها وهي تعرف أن القوات الأمريكية متمركزة هناك ولا يعرفون ما الذي يحدث في الداخل.

التقطت نفسًا عميقًا وضغطت على الزر.. ظهر أمامها كعبول متشبثًا بكتفه ثم حرك بصره لتظهر بجواره ريسل.

نظر لها آرثر فقالت له: إنها المحمية.. آرثر يجب أن نربط الاتصال بوكالة الأخبار حالا!

قال معد البرامج: هناك أنباء عن غلق محيط المحمية ووجود رهائن هناك سيقبلون الاتصال حتما.

اعترض آرثر قائلاً وهو ينظر لعتمة الليل بالسوء:

- هذا الأمر يجب أن يمرر على مجلس الشركة الأعلى لا بد من موافقة إدارة الشركة الإعلامية وإلا عرّضنا لمساءلة قانونية أو فصل من العمل.
هتفت جيسيكا بحسم: لا تقلقوا سأتكفل بذلك الآن.

سارت بضع خطوات بعيد عن طاقم التصوير وبعد ثواني عادت إليهم:

- تم القبول سيكون البث موحدًا فقط من قلب المحمية.
وقفت جيسيكا أمام آرثر وأشارت لمهندس الصوت قبل أن تستضيف البث المباشر من المحمية لجميع الأشخاص في دول العالم.

نظر فيكتور لكعبول الذي وضعه رأسه بين عنق فيكتور وكتفه وأغمض عينيه، فحمله بين ذراعيه.

هتفت جيسيكا: هذا كعبول!

تطلع لها معد البرامج بنظرة استخفاف ولم يعقب بكلمة.. تطلع فيكتور لريسل وقال لها بثقة:

- صديقتي منى أخبرني ذات يوم بجزء من شعر عربي.. لم أنسه يومًا لأنه واقعي وصحيح.

"ومن الذل خوف الموت كانت حياته أضر عليه من حمام يؤده".

وأمرت ريسل برأسها إعجاباً، وهي تحتزن الكلمات بذاكرتها إعجاباً بها.

أشار فيكتور الكلاب فاتخذت مواقعها خلف فيكتور تملل كعبول بين ذراعي فيكتور ورفع رأسه بحدة عالياً.

ينظر إلى الكلاب خلف فيكتور.. أطلق مواء عالياً ثم أخفض رأسه ثانية للاستقرار بين ذراع فيكتور.

وضع فيكتور كعبول برفق بين قدميه ثم قام بدمج الكاميرات المحيطة به بعدسته وبالتالي سيؤدي ذلك إلى ظهورها على عامة الناس من خلال الاتصال المرئي.

بثت الكاميرات إرسالاً مباشراً لفكتور وريسل والشبح بوضوح تابعه الجميع عبر الشاشات.

قالت ريسل: هناك أشعة مسح تأمينية سريعة تسري بأرض المحمية..

أستطيع لمس ذبذباتها بوضوح.

- هذا يعني أن حركة القوات ستبدأ التقدم.

أجابها فيكتور بشعور من الطمأنينة يسري بكيانه.. والثبات يدب في أوصاله.. لا يراوده خوف أو خطر: لا تحرك كل هذه الدبابات والأسلحة الموجه نحوهم شعور بالهول أو الفزع.. إنه يشعر بضآلتهم.

يشعر أن الأمور بزمام يده وكأنه قد مر بهذا الحدث قبلاً.. ويعلم جيداً أن صواب الأمور ستكون له ويوقن نتائجها.

قال لها: لا بأس فالبوابات مفتوحة لهم بمصراعها.

سرت همهمة منخفضة بين قوات الشرطة وتبادلا نظرات دهشة وبث مباشر يظهر أمامهم، وقد بدأت القوات الخاصة بالدخول لأرض المحمية.

اتجهت القوات لمكان ريسل وفيكتور والشبح.. الذي ظل قابعا بمكانه فبدا كصخر أو جذع شجرة أو جماد لم ينطق كلمة لكن حملت نظرتة للقوات نظرة استجداء وعطف توسل وطلب مساعدة.

بصمت دون أن يهمس بكلمة تقدمت ريسل بسرعة لتقف حاجزا هناك بين القوات وفيكتور وهي ترفع يديها في الهواء.

بينما التصق كعبول بقدم فيكتور وعلت أصوات من مكبرات الصوت. بلهجة أمرة حازمة متوعدة: أخفض سلاحك!

ثم علت الأصوات تكاد تصيب الجمع بالصمم: أخفض سلاحك لا ترغمننا على فعل ذلك.

راقبت الجموع بالحدائق والأماكن الحيوية ما يحدث أمامهم بصدمة ودهشة وتعجب وقد تصلبت أبصارهم بفيكتور.

تساءلوا بدهشة: عن أي سلاح يتحدثون ويداه خالية؟

أما فيكتور فلقد أشاح ببصره بعيد عن القوات أخفض رأسه ثم بسط يديه الخالية نظر لراحة يديه وتمعن بها ثم أدارها على الجهة الأخرى، وكأنه يشاهدها لأول مرة.

هتف أحد رجال الشرطة وهو يستمع لمكبرات الصوت وينظر إلى الشاشة أمامه.. لم يستطع الصمت فصاح بغضب:

- لا يجب أن نسمح بهذا.. هذا خطأ كبير ستحدث جريمة ومجزرة هنا لأبرياء عزل.

قال رئيس جهاز الشرطة لاحتواء الموقف قبل أن ييثر الشرطي روح الاستنكار داخلهم:

- حافظوا على ضبط النفس؛ فيلتزم كل شرطي بمكانه.. حتى صدور أوامر أخرى.. هذا أمر للجميع.

صاح الشرطي بنفاد صبر: أنا آسف.. لا يسعني السكوت عن ذلك.
ثم اندفع يعدو بكل قوته متجاهلا صراخ رئيس الشرطة محذرا إياه من التحرك وهو يردد: ليس هناك قانون يمنعنا من مساعدة الغير.
بينما عمت الدهشة قوات الشرطة وهم يتابعون ركض الشرطي بكل سرعة.

وقف الشرطي فاردا ذراعيه أمام القوات التي صوبت أسلحتها نحوه بتحذير وتهديد.

وقف الشرطي أمام فيكتور وريس.. وهو شرطي قابله فيكتور من قبل.
صاح الشرطي: لا داعي لتصعيد الموقف.. لا مبرر لاستخدام القوة المفرطة فهم عزل فعلا كما تشاهدون.

ألقي فيكتور نظرة ذات معنى لريس بعد ما انطلقت صفارات الإنذار بقوة ودوي صوت تحذير قوي.

"تحذير للجميع.. هناك خطر.. تسرب مادة أنثراكس؛ مادة جرثومية قاتلة بالهواء من مختبرات المحمية الأولية". بعد هذا الإنذار انطلقت إشارات لكل القوات الأمنية للحكومة.

"تسرب فيروس بالهواء يجب ارتداء البدلات المخصصة ولا يجب الوجود بأي مكان وانطلقت منه هذا النداء".

ساد هرج وهمهمة عالية بين القوات الخاصة وقوات الشرطة فيجب إخلاء 100 ميل من محيط المحمية.

تقدمت القوات الخاصة بالقرب من الشيخ الذي أسرع بدخول بإحدى عجلات الدفع الرباعي بعيدا عن أنظار الجميع.

قطع فيكتور الاتصال بعدسته وانقطع البث عن كل الشاشات التي شاهدها الملايين من الناس من خلال ذلك البث الحي من عدسته.

نظرت ريسل لفكتور متسائلة عن الشيخ: ماذا عنه؟ ماذا سأفعل الآن؟ اقترب فيكتور منها ثم همس وهو يشاهد قوات الخاصة تتراجع للخلف وسيارات الشرطة تستدير عائدة.

"لقد انتهت مهمتي.١. كما ينبغي القوات الخاصة يعرفون ما فعله جيدا كانوا معه".

سرعان ما كان فيكتور وريسل بالأسفل.. وقد اجتمع في استقبالهم فريق من المتخصصين لفحصهم.. وبمجرد معرفة هوية فيكتور.. أتى له أكبر أعضاء مجلس إدارة المحمية بروفيسور*هربرت سولومون*

أخبر فيكتور الجميع بأن الإنذار الأخير ما هو إلا خدعة قام بها مع ريسل.. ولا يوجد أدنى خطر.. وأن القارورة تم احتواء مادتها والتي كانت آمنة تماما. ابتسمت ريسل وهي تعقب:

- كانت لعبة جميلة.. وقد أتقنت تصنيع ما يطلق ذلك الإنذار رغم عدم وجود خطر حقيقي.. المهم أنها أبعدت القوات والشرطة عن المكان. تمت إصدار الأوامر بإبطال صافرة الإنذار.. والإعلان بشكل عام عن احتواء الخطر.. وإبلاغ جميع جهات الإعلام لتطمئن الناس.

ولكن بروتوكولات الأمان بالمحمية كانت تقتضي انقضاء بضع سويعات قبل الصعود إلى أعلى.

وانتهز أعضاء مجلس الإدارة الفرصة ليرتاح فيكتور، وليتسلم مهامه من أسفل المحمية.. ويرى كيفية تسيير الأمور هناك.

أخبره سولومون.. كنا بانتظار القوات الصديقة بعد الإنذار الأول.
والآن بعدما أعلننا الأمان.. ستصل قوات دولية من اتحاد حلف الشرق.. أو كما يذكر بوسائل الإعلام (حلف افرواسيا) للتحقيق في الأمر.. لا بد وأن نستعد لها.. لن تتدخل الحكومة الأمريكية في هذا التحقيق فالمحمية أرض إندونيسية.
بل إن فريقاً من محققي افرواسيا سيحقق بتجاوزات الحكومة الأمريكية.
وهناك عقوبات دولية كبيرة في انتظارها.. لمخالفتها للوائح القانون الدولي.

تلاقى كل من الأصدقاء.. ومضوا في جولة سريعة بالأسفل.
قادت ريسل الجمع وهي تستعرض بكل فخر أجزاء الأقبية.. وكيف أن العمل بالمحمية.. لم ينقطع إلا لدقائق قليلة هي وقت الإخلاء.. وتم إكمال العمل في المعامل تحت الأرض.

ودمج العلماء الجدد والذين كان عملهم يقتصر على معامل ظهر الأرض بالفريق القديم الذي اعتاد العمل بالأسفل.. كانت المدينة تحت الأرض أكبر بكثير مما على سطحها.

أكثر من كان متحمساً وفضولياً لاستكشاف الحياة بالأسفل بكل تقدمها هو ألبرت.. الذي كانت أسئلته كثيرة جداً عن الكيفية التي توفر ما يشبه النهار بشمسه المتفاوتة الحرارة والسطوع بمرور الوقت.. وكذا الليل بقمرة ومراحله المختلفة.. وكأنهم على سطح الأرض تماماً.

عقبت منى منبهة:

- كانت لدي فكرة مسبقة قائمة عن الحياة تحت الأرض من أفلام وقصص الخيال العلمي.. ولكن هنا.. أجد أن الحياة تحت الأرض صحية أكثر.. وأكثر جمالا وإشراقا.

لا يخلو المكان من أماكن الراحة والترفيه.. والحدائق والمزارع.. حتى إنه توجد بحيرات صناعية بالأسفل.. بعضها عذب والآخر مالح.
بينما تابع جوزيف وهو صامت كالمعتاد وإن كانت ملامحه تشي بالانبهار كالآخرين.

ضحكت ريسل قائلة: وما رأيك أن من مخططات البروفيسور جاك السابقة إيجاد آلاف من مثل هذه المدن تحت سطح أغلب الدول في أنحاء العالم.
نظر الجميع ليفيكتور.. والذي ابتسم وقال "سأجعل إكمال هذا هو بواكير عملي هنا".

ريسل وهي تقف أمامهم: أول محمية جديدة سيتسلمها البروفيسور جاك في إندونيسيا بعد أيام قليلة.. بعدما قضى بضعة أيام في استراحة قصيرة من المسؤوليات.

ولقد صممت أغلب ديكوراتها.. فانا أعشق الرسم.. وأظهرت أمامهم شاشة تبين بعض مشاهد المحمية الجديدة.

نظرت لها منى وقالت: هل الرسوم في ممشى مساكب الورد من رسمك؟
ظهرت الفرحة على وجهه: نعم.. كيف عرفت ذلك؟ بك أسلوب مميز لم أراه قط في لوحات أي فنان.

تقدمت من منى وأمسكت بيدها لتتقدم الباقيين هامسة لها: يبدو أننا سنكون صديقتين.. هل لك اهتمام بالأزياء.

ضحكتنا معا من قول منى وهل في ذلك شك.

نبرم ألبرت قائلاً:

- انتقلنا من العلم للأزياء

- إننا نتفق مع بعضنا يا ألبرت؛ فأنا أميل للملابس غير التقليدية.

وأخذهم الحديث بينما يشاهدون باقي أجزاء المحمية.. وقد علت الابتسامة وجه فيكتور.. فلقد تألف الجميع سريعا مع ريسل.

حتى جوزيف الحريص الحذر.. كان يسألها عن ما غمض عليه من أماكن وأجهزة وقد بدا وكأنه يعرفها منذ سنوات.

مضت الساعات المفروضة للأمان.. ثم تتابع خروج الأفراد حسب برنامج عملهم للأرض.

وفي خلال ساعة كانت الحياة قد عادت للسطح وتم تعويض رجال الأمن الآدميين.. مؤقتا بمزيد من الآليين انضموا للطاقم القديم بعد أن قامت ريسل بإعادة برمجتهم مزيلة كل ما قام به الشبح من اختراق إثر مهاجمتهم لها.

وصل الفريق وبدأت التحقيقات.. وتم تجميع كل الجثث بقسم التشريح في مشفى المحمية بقيادة علماء تابعين لحلف الشرق.. استعدادا لتشريحها وإرفاق التقارير الخاصة بها ضمن التحقيقات.

كانت كل وكالات الأنباء مشغولة بعرض الأمر والمجزرة التي ارتكبتها أمريكا عبر جاسوسها المحترف بالمحمية.

مستعوضة أن كل دول اتحاد حلف الشرق لن تتنازل عن حق إندونيسيا في التعويض.. وإنزال أقصى عقوبة في القانون الدولي الذي وضعته مؤخرا دول حلف الشرق باعتبارها الكيان الأعظم والاقوى بالعالم حاليا.

وتم استعراض تاريخ تكوين الحلف وكيف أنه بعد عدد من الثورات في عدد من الدول العربية وبعد أن تم تجميع قوى الشعب ونبد الفاسد من أعضاء المجتمع والمؤسسات المختلفة.

نهضت في تلك الدول العريقة وخاصة مصر وسوريا والعراق بالإضافة لإندونيسيا وماليزيا.. بالدعوة لاتحاد إفريقي وآسيوي بعيدا عن نفوذ أمريكا وأتباعها.. وبعيدا عن أي تحالفات أخرى سابقة.

فتم توحيد العملة بعد عدد من السنوات التمهيدية.. واقتصار التبادل التجاري والصناعي فيما بين الدول الأعضاء إلا فيما ندر بحيث اكتفت دول الحلف ذاتيا.. وتم عمل ميثاق دولي التزمت به كل الدول المؤسسة.. وكذا الدول التي انضمت لاحقا.

وأصبحت الحياة بالشرق أكثر تمدنا من باقي دول العالم.. وصار أقصى آمال معظم الأفراد السفر لإحدى دوله.

والآن يثبت حلف الشرق قوته برفض عدوان الحكومة الأمريكية على جزء منه.. بل وسيقع عقوبة على كل من يثبت اشتراكه في ذلك.

بعد انتهاء التحقيقات مع الأصدقاء وحصولهم على حصانة دولية.. وحرية مطلقة في التجول بين دول حلف الشرق.

أُتيح لكل منهم حرية السفر للدولة التي يرغبها وان فضلوا جميعا الذهاب، أن تكون البداية أولا لإندونيسيا حيث ملأهم الشغف لمقابلة البروفيسور جاك. بعدما يتم ترحيب الرئيس الإندونيسي بفيلكتور. والذي استقبله في لقاء رسمي هو والبروفيسور وتناقلت ذلك وكالات الأنباء.

ثم اقتصروا بعد ذلك على لقاء صغير يضم الثلاثة معا. رحب الرئيس بقرار البروفيسور العودة لنشاطه بتبني معامل أدوية بإندونيسيا لتطويرها لتكون نواة للمحمية الجديدة والتي ستكون أفضل وأكبر من سابقتها.

بدا البروفيسور وكان عمره قد رجع سنوات للوراء وظهرت على وجهه أمارات الراحة والسلام.

وأثناء الحديث عاتبه الرئيس قائلا: لا أعرف كيف سولت لك نفسك أن تخفي أمر هذا العلاج! انبرى فيكتور بصراحته:

-أتعرف أن ما فعلته أسوأ بكثير مما فعله روجر الكسندر.. والذي علم الجميع ما فعله.. لقد أوقف تماما عن العمل ومنع من دخول المحمية. كانت البسمة ما زالت على شفة البروفيسور وقال:

نعم.. كان قرارا صعبا.. وعلى ذكر روجر.. سيتسلم عمله بمحمية إندونيسيا خلال أسابيع.. لقد أرسلت له وسهلت إجراءات سفره مع ديفيد.. أنا سعيد بالنتيجة التي وصلت إليها الأمور.

غادرا قصر الرئاسة في طائرة خاصة سريعة.. حيث نقلت لهم ريسل آخر الأخبار:

* إن حلف الشرق حكم بغرامة تبلغ تسعمائة مليار من العملة الموحدة على أمريكا *

فعقب البروفيسور:

- إن اقتصادها يترنح منذ فترة وسيزيد خاصة بعد الغرامات الهائلة التي ستكفلها جراء ما قامت به.

إن أمريكا ما فعلت تلك الفعل لهدم نشاط المحمية، بل كانت تسعى للمحافظة على استمرار قطاع اقتصادي هائل يساند الاقتصاد الأمريكي المترنح. فهي تستفيد من شركات الأدوية التي معظمها تابع للحكومة بشكل أو بآخر.

تابع الأصدقاء في أثناء انتظارهم موعد لقائهم بالبروفيسور فرحة الناس والطواير المهولة بالملايين في جميع أنحاء العالم للعلاج. لعمل التشخيص وتسجيل الأسماء في الكشف انتظارا للدواء الموعود.

مع ملاحظة مهمة من علماء الاجتماع وعلماء النفس.. أن هناك مؤشرا إيجابيا في كل ما يحدث.

فرغم المرض إلا أن هناك ساحة نفس تنتشر بين الجموع.. ويظهر في الطواير في كل الدول.. أخلاق كان يظنها العلماء أنها اندثرت.. فهناك يظهر العطف والرحمة.

وأغلب الأشخاص يقدمون أمامهم من يروونه بحاجة أكثر منهم للعلاج..
حالة الإيثار التي جلبها الأمل بالعلاج حيرت المحللين والعلماء قليلا.
وإن كانت تحليلاتهم أشارت أن الأمل يصنع المعجزات.. وأن النفس متى ما
أحست بالانفراج تظهر الأخلاق الحسنة لديها.. فالنفس البشرية جبلت على
الرحمة والتعاطف.. وما ظهر من أنانية وجشع.. إنما هو أمر طارئ سرعان ما
انقشع.

استقبلهم البروفيسور في غرفة تقليدية من التراث الإندونيسي تحفها النباتات
الطبيعية وتطل نافذتها العريضة على حديقة إستوائية.. لم ينبس أي منهم بكلمة
فللبروفيسور هيبة كبيرة تلقي في القلوب.

سأهلم البروفيسور جاك كونور متلطفا ليكسر حاجز الصمت:
-عرفنا أن فيكتور لديه مهام كبيرة وسينتقل بين بلدان عدة منها أمريكا
لمتابعة المحمية.. فهاذا سيفعل كل منكم بالمستقبل خاصة وأن لديكم رخصة دولية
مفتوحة؟ السيدات أولا. وابتسم ابتسامة عذبة رائقة لمنى:
-سأكمل دراستي العليا بمصر.

فلقد تعلمت من تجربتك أن جيناتنا تحن للوطن مهما باعدت بيننا الأيام
والمصالح.. أرغب باستعادة مجد أجدادي في العلوم المختلفة وخاصة في الطب
والعلاج.

- نعم لمصر القديمة معزة خاصة في قلبي. ونظر ليفكتور الذي ابتسم أثر
تذكره معبد حتشبسوت وتمثال إيزيس المؤديين لمكتب البروفيسور السري.

ثم وجه نظره نحو جوزيف:

-وأنت يا جوزيف؟

- أرغب بالعودة إلى روسيا بلد أجدادي الحبيب.. والذي ظلم كثيرا.. وقامت دول الغرب بحملة تشويهية كبيرة فتم إسقاط سلوك شخصيات قليلة من قاداته على جميع جموع شعب الاتحاد السوفيتي قبل انحلاله ثم اختصت روسيا بالعداوة بعد ذلك.. وبذلك تم ظلم أفراد الشعب الروسي لعقود.

ونسي الجميع أمام هول الدعاية الغربية المضادة عظمة الشعب الروسي.. ولم يشفع له روائع الأدب والفن الروسي.. ومدى تقدم العلم في كل المجالات بروسيا. ومدى كفاح الشعب ضد ظروف البلاد القاسية وقلة الموارد لديها.. إن الشعب الروسي مر بظروف عديدة مؤلمة.. ولكنه شعب صبور وقوي الإرادة. وظهرت قوته ونزاهته مما لفق له عندما انضم منذ عشرات السنوات لاتحاد افرواسيا.

وتعرف العالم أجمع إلى الروسي الحق. وكان الانضمام ضربة قوية إلى الدعاية الكاذبة.

صمت جوزيف وقد على وجهه العرق رغم لطافة الجو.. وهنا انبري ألبرت دون انتظار للسؤال:

-لن أعود لبريطانيا.. لا يعجبني أبدا البرود الإنجليزي الذي يقال إن أجدادي تميزوا به.. أحببت دول الشرق كثيرا.. وطالعت الكثير عنها منذ فترة وجيزة فلم تكن لي اهتمامات سياسية أو تاريخية من قبل.

سأقسم وقتي ما بين العراق عاصمة حلف الشرق ودرته الفريدة حيث سأكون في ضيافة فيكتور عندما يأتي لها كما أخبرني.. وبين أغلب الدول. سأزور روسيا وأذهب لمصر واتي هنا لإندونيسيا.. فلم أقتصر على بلد واحد ومئات البلدان متاحة أمامي.

ضحك الجميع.. فهذا هو فعلا ألبرت الذي يحب الحرية ويحبه الجميع.
بعد ذلك قرر الجميع في الذهاب لرحلة سياحية مع بعض برفقة ريسل؛ فهي الوحيدة في هذا الكون التي تستطيع أن تخرج بشكل فيزيائي إلى أي مكان والوجود في المحمية بشكل كامل لا يصدقه العقل.
تعاون ألبرت وجوزيف بوضع الخيمة الحديثة المكيفة المضيئة على رمال الشاطئ.

جلست منى وريسل متجاورتين بجوار إحدى الأشجار أمام الشاطئ .
انهمكت منى تطالع ألبوم صور لريسل.. بجوارهم وضع فيكتور اللحم بجهاز الشوي السريع.

قالت ريسل: أحببت فكرة التخييم هنا.
ثم استدارت لمنى قائلة: شكرا لك عزيزتي حقا فكرة رائعة.
لم تجب منى فلقد تعلقت عيناها برسومات ريسل الذي تكاد تنطق صدقا وتناسق ألوانها الزاهي.

بدهشة وهي تتطلع لصورة مدينة كاملة غارقة تحت الماء:
- تكاد المدينة تكون حقيقة.. بمعمارها المتناسق وهندستها الدقيقة والأقية.
ابتسمت منى وهي تشاهد صور نسور يحملون أطفالاً فوق اجنحتهم ويحلقن نحو الشمس.

وصورة أخرى لفتاة تطعم النمر وهي ترتدي عقد ذهب فعلقت منى:
- حقا رسومات رائعة.. أنت فنانة حقيقة ريسل.
أجابتها ريسل مع ابتسامة كبيرة: إنها إحدى هواياتي العديدة.
تابعت منى وهي تعيد النظر باللوحات:

- حقا.. أنت رائعة وكأن يدك خلقت لتعانق الرسم ما أجمل خيالك الذي أبدع في هذه الصور.

ألقت ريسل نظرة إلى البحر ثم قالت: هناك رسومات ليست من الخيال.

نظرت منى إلى اللوحات باهتمام وتساءلت: كيف؟

صاحت ريسل: لي اهتمامات بالحضارة الفرعونية وكافة الحضارات السابقة.

أومأت منى برأسها موافقة قبل أن تنظر للوحة ريسل لمعبد الكرنك.

ألقي ألبرت نظرة على الطعام ثم قال: ألم ينضج بعد؟ أتضور جوعا!

وضع جوزيف يديه بجيب سرواله ثم أخرج كبسولة غذائية وقال لالبرت:

- تناول هذا يا جائع.

هز ألبرت رأسه نفيا قائلا بمرح:

- أرغب بأصول الأشياء صديقي، وليس مشتبهاتها.

أخرج الهارمونيكا من جيبه وسار بضع خطوات مبتعدا عنهم يصدق بها.

بينما التقط جوزيف قوقعة كبيرة حمراء اللون ألقى بها بعيد فركض كعبول خلفها

التقطها بفمه ثم عاد ركضا.. ووضعها بجوار جوزيف الذي ابتسم قائلا:

- أنت ذكي حقا فلنعد اللعبة مرات لحين ينضج الطعام.

أكمل عبارته وألقاها ثانية والآخرين يستمتعون بوقتهم.

ألقت ريسل نظرة على جوزيف وكعبول ثم همست بأذن منى وكأنها ستلقي

سرًا:

- كان هناك ملكة فرعونية تدعى كليوباترا.

ابتسمت منى لها ثم قالت لها:

- أعلم يا صديقتي، وأعلم التاريخ الفرعوني كله.

أشارت لها ريسل لتخفض صوتها بيديها ثم اقتربت منها، وهمست بأذنها:

- هل تعلمين سر جمال بشرتها؟

ألقت منى نظرة دهشة لريسل فتابعت الأخيرة:

- تلك التركيبة التي كانت تستخدمها لتظل بشرتها نضرة للأبد.. إنها تبقي

البشرة نقية وتمهزم التجاعيد.

فغرت منى فاها بعدم تصديق ثم تابعت ريسل:

- يمكننا تصنيعها معا الآن فمحتوياتها موجودة هنا ببيع بعض أوراق الأشجار

وماء البحر.

أزاحت منى رمل البحر الناعمة عن ملابسها ويديها ثم اتخذت خطوات

مع ريسل مبتعدتين عن جوزيف وفيكتور الذي صاح بقوة:

- إلى أين أنتما ذاهبتان.. لقد نضج الطعام أخيرا.

أجابته ريسل: نتمشى قليلا ونعود.

تحدث فيكتور عبر الشريحة لريسل قائلا بمرح:

- احذري أن يختلط عليك الأمر وتقومى بتصنيع تركيبة التحنيط الخاصة

بالفراغة.

عbst ريسل ثم أطلقت شهقة غضب؛ فلقد سمع فيكتور حوارها مع منى

استدارت تنظر له باستنكار وحدة فهتف جوزيف وهو يلقي نظرة عليهم

جوزيف: ما الأمر؟

ابتسم فيكتور قائلا: لا شيء.. فقط الفتاتان ترغبان بالتزوه.

بعد تلك الرحلة بدأت الأمور تتغير بشكل جذري مع فيكتور وأصدقائه.

بانتهاء التحقيقات.. باشر فيكتور على الفور بإعطاء الأمر بإنتاج علاج الإيدز ونقل شحنات ضخمة لجميع البلدان في العالم دون أي تمييز.
 وافتتاح معامل وخطوط إنتاج جديدة لدواء نظرية فيكتور والذي أعلن في أحد المؤتمرات أن الفضل في إكمال نظريته يعود للبروفيسور جاك كونور.
 قسم وقته بين متابعة دراساته المتشعبة وإقامته في العراق وبين أوقات يسافر فيها لأمريكا لمتابعة عمل المحمية هناك باعتبارها المركز الرئيس لكل المعامل الثانوية المختلفة.

كما أتاح له المتابعة من بعيد وكأنه بداخل المحمية.. ولم تحرمه الحرية بالتنقل كما ظن.

في أثناء الفرحة العامة أرجاء الأرض والأمل الجديد الذي أشرق على الملايين بالعلاج الفعال.

أتي ليفيكتور المشغول بالمهام العديدة التي على عاتقه.. اتصال من جيسिका والمهتمة بأخبار المحمية ومتابعة لكل ما يتعلق بها.

تخبره أن الشرطي قد تم طرده من وظيفته وتغريمه مبلغاً هائلاً لأنه خالف القانون ولم يتبع تعليمات رؤسائه وخاطر كما قيل بحياة زملائه.

ثار فيكتور لهذا الأمر:

-كيف يغرم ويطرد من الوظيفة؟ هذا الرجل الذي اعتبره الشعب الأمريكي بطلاً وانتشرت صورته في كل وسائل الإعلام.

بل لقد غير بطباعه السمحة وشجاعته الكثير من المفاهيم الخطأ عبر العالم.
 ترك فيكتور أمر الإدارة لريسل.. وذهب على الفور لمنزل الشرطي الذي عرف عنوانه من جيسिका.

ليجد حول منزله بعض الأفراد والنشطاء يحملون لافتات تندد بأمر طرده من الخدمة.. وتستنكر أن يعامل بطل هكذا معاملة.

صعد فيكتور بعدما أخبر الشرطي بقدومه وأنه منتظر بالأسفل.. فتح له الشرطي باب المنزل.

دخل فيكتور لشقة صغيرة بسيطة الأثاث وإن كانت تنم على ذوق راقٍ. استقبلته الزوجة ليز تحمل طفلتها سولين في الثالثة من عمرها والذي جذب نظرها كعبول وسرعان ما كانت تلعب معه.

ذكرته حيمية البيت والأشخاص بوالديه وطفولته.

لم يكن هناك أي أمل في عودة جون للعمل كما أخبره المحامون.

أعلن ليفيكتور عن ألمه لما حدث له أما جون فقال له:

- لم أكن أدري أن نهاية عملي ستكون بتلك الصورة.

ولكن رحمة الله أسبق.. ما نظنه شرًّا لنا قد يكون خيرا ونحن لا ندري..

أتعلم أن كل الفريق الأمني قد حوكم بسنوات سجن طويلة ومسجونين حاليا بسجن دولي.

سأله فيكتور: وماذا عن المستقبل؟

- مازلنا نتخبط. فلقد كان الأمر مفاجئًا لنا.

عقبت ليز:

- نعم.. كان ما زال أمامنا وقت لنجمع بعض المال لما بعد التقاعد الطبيعي.

حتى إن لدينا فكرة لمشروعنا الخاص.. ولكن الآن لا بد وأن نقلل من آمالنا كثيرا.

رد جون:

- ما لدينا من مدخرات وممتلكات سيكون بذرة صغيرة ولكن سنعمل جهدنا لننميها.

إن ليز بارعة جدا في عمل أطعمة بطريقة تقليدية يفقدها الكثيرون الآن. ويطلبها منها الأصدقاء في الاحتفالات وكنت أساعدها بأوقات عطلتي.. كنا سنفتتح محلاً صغيراً.. ولكن الآن سنكتفي بالعمل من المنزل. فكر فيكتور ثم أشرق وجهه:

- يوجد عمل في نفس مجالك الأمني بالمحمية.

ارتبك جون من عرض فيكتور المفاجئ:

- هذا العمل سبب لي الكثير من الألم.

فأردف فيكتور:

- ولم لا تفتتح مشروعك هذا في الشرق؟ سيروج كثيرا.. سواء بين أبناء البلد ممن يبحثون عن الحديد أو من الجاليات الموجودة هناك.

سيتاح لك قرض كما تريد والمخصصات والمعاملات هناك أسهل وأسرع مما لدينا هنا.. سوف أذلل أي عقبات تواجهك؛ فشرط الهجرة للشرق صعبة.. ولكن سأتكفل بذلك.

ظهرت السعادة على وجهيهما.. وكأن جبلاً من الهموم قد انزاح عن كاهلهما.. وإن بدا عليهم التردد.. هل يغيرون من كل حياتهم بالعيش في مجتمع جديد بحلم جديد.

أعلن فيكتور تفهمه لذلك:

- فلتأخذا وقتيكما للقرار.. وأيا كان قرارك.. فسوف نيسر لك أي صعاب.. لا تقلق.

خيم عليهم صمتا قصيرا ثم بادر جون:

- في ذلك اليوم.. لم أكن أرغب حقيقة في إعطائك الغرامة.. كان هذا ضد رغبتي تماما.

رد عليه فيكتور:

- لا عليك؟ كنت أعرف ذلك يا أخي.

- لقد تذكرتك جيدا عندما فتحت أبواب المحمية.. وكنت أنت واقف هناك بمواجهة كل تلك القوات. صدقني لو كنت شخصا آخر ما تحركت من مكاني.

ثم التفت إلى ليز:

- أتذكرين الحلم الذي أخبرتك به من فترة؟

ثم استدار موضحا لفكتور:

كان حولي جموع كثيرة والكثير من الجلبة والأضواء.. كنت أركض وتقدمت لحماية شخص خلفي.. لم أميزه في الحلم.. ولكنني شعرت أنه أخي وواجبي أن أحياه وأضحى بحياتي من أجل حمايته.

الآن، أربط بين الحلم وبين ما حدث بالمحمية.

لم يكن فيكتور يرغب في الرحيل من ذلك المنزل الدافئ حقا، ولكن لديه العديد من المسؤوليات.

استدعى كعبول الذي كان مستمرا في اللعب مع سولين مستأذنا في الرحيل وأنه سيتابع معهم خطواتهم القادمة.

وحمل كعبول وخرج للطريق.. مخاطبا ريسل:

- أين أنت؟ هل تتفقدين آخر موضة الأزياء؟

ضحكت ريسل:

- أنا معك الآن.. كنت أتابع مع تفعله منى ونخطيطهم لحفل افتتاح مشفاها

الخيري التابع للمحمية هناك.

ريسل وهي تكلمه في ذهنه: لقد أحببت أصدقاءك حقا!

بعد مرور فترة قصيرة...

تناول جون طعام الإفطار على عجلة قبل أن يقبل طفلة سولين، ثم قال

لزوجته:

- سأذهب لشراء الحقائق الخاصة للسفر.

ابتسمت ليز وهي تقول له: كم أتوق شوقا للاستقرار هناك.

جون وهو يستعد للخروج: هي فقط بضعة أيام.

أنهى جولته بالأسواق قام بشراء ثلاث حقائق وكتب تتحدث عن حلف

الشرق وأهم الأماكن الأثرية والسياحية هناك .

وضع جون الحقائق بالجزء الخلفى من السيارة ثم استدار ليجلس بهدوء

آمرا السيارة بالذهاب إلى المنزل.

أغمض عينيه لحظات وهو يفكر بالسفر بعيد ببلاد حلف الشرق.. واخيرا

أصبح الحلم قاب قوسين أو أدنى من تحقيق الفرصة لا يحظى بها إلا المحظوظون

حيث بلاد التقدم والعلم والمساواة.

يمكنه الحصول على عمل هناك بسهولة وكذلك يلحق طفله بمدارس ذات طابع تكنولوجيا متقدمة.

سيذهب هناك حيث الكلمة حرية والنقد حق مكفول للجميع.. والأمان بين ضواحيها ليل كان أو نهار.

والكرم من أيديهم زاد وفاض على جباهم فشبغ طير السماء.. أفاق من تأملاته حين سمع صوت أزيز مصاحب لإشارات متداخلة بشاشة القيادة أمامه.. لقد اختفت خريطة الوصول للبيت.

وما يراه أمامه هو خطوط متداخلة طوليا وعرضيا.. تلا ذلك صوت إغلاق أبواب السيارة إلكترونيا.

جون وهو يشعر بالدهشة: أي جنون هذا؟ ما الذي يحدث هنا؟
وفجأة دارت السيارة حول نفسها ثلاث دورات هتف جون بصوت مرتعش:

- أرغب بالتحويل إلى القيادة اليدوية.

ارتفع الصوت بحدة أعلى وأعلى مع استمرار دوران السيارة حول ذاتها قبل أن تنقلب السيارة عدة مرات ثم تقف على أحد جانبيها.. توفي على إثرها جون إثر كسر في الرقبة.

تلا هذا وقت قصير قبل أن تهرع بعض سيارات الإسعاف وسيارات الشرطة لجذب السيارة لمكان بعيد لتأمين خطوط السير للجميع.

تابع فيكتور شاشة الإعلام المرئية وهي تنقل وقائع حادث الشرطي باهتمام مع تكرار الأسئلة وعلامات الاستفهام حول هذا الحادث غير المعهود للسيارات المتطورة الذكية.

فهو الأول منذ ثلاثة عقود؛ فالسيارة لم تكن قديمة أو بحال سيئ، وقد خرجت الشركة المصنعة لها بيان طويل أظهرت به مميزات السيارة.. وجودة أجزائها.

إن نسبة السلامة بالقيادة بهذا النوع من إنتاجها هو 100٪
 بعناوين الصحف الإلكترونية اليوم الثاني وشاشات التلفاز تسابق المذيعين والإعلاميين لبث خبر نتائج خبراء التحقيق بحادث سير الشرطي الذي يقول إن خللاً قد حصل بالشريحة الأصلية والبرمجة الأساسية السيارة.
 دمعت عين فيكتور وهو يتذكر وقوف الشرطي حاجز بينه وبين القوات الخاصة.. اغرورقت عيناه بالدموع.. وهو يفكر.

لقد تخلصوا من جون وأدرك أنه أول شخص منهم يستهدف بشكل علني ويتم القضاء عليه.
 من أجل قضية الخير لمكافحة الشر لم يكتفوا بإقصائه وظيفياً فدبروا حادثة لقتله.

ولم تقم الحكومة بعمل تشييع رسمي له باعتباره لم يكن في سلك الشرطة أثناء وفاته حتى يفعلون له ذلك كما هو المعتاد.
 شعر أن عليه فعل شيء ما، وظلت الأفكار تدور برأسه حتى غاص بنوم عميق.

بعد يومين أشرقت الشمس بقوة في السماء تجاورها بعض الأمطار الخفيفة جداً.. وسط دهشة الجميع من الجو.
 توقفت الكثير من السيارات حديثة الصنع أمام أرض المدافن.. حلقت الطائرات المختلفة.

حضر آلاف من العلماء والأدباء وشخصيات لامعة.. تناقلت وسائل الإعلام المرئية جنازة الشرطي بألف سؤال وسؤال.. كيف ومتى اتفقت كل هذه الحشود لحضور جنازة الشرطي جون؟

أين اتفق بعض رؤساء دول حلف الشرق لحضور جنازة الشرطي؟ ما العلاقة التي تربطهم به؟ شخص تخلت عنه السلطات الأمريكية نبذوه ونزعوا عنه وظيفته وحرص الزعماء من مختلف الدول على توديعه لمثواه الأخير. كان الصمت والحزن والوجوم يسيطر على كل الوجوه.

تقدم فيكتور الصفوف الأولى بالمعزين بملابسه الرياضية وهو أول الحاضرين يجاوره رئيس إندونيسيا ورؤساء دول حلف الشرق وبعض رجال الأعمال.. زوجة الشرطي تقف معهم حول التابوت واحتضنت طفلتها. وهي تحاول أن تقف جاهدة على قدميها كانت منهكة من الحزن ثم أجهشت بالبكاء حين أشارت ابتها الصغيرة صورة أبيها المحاطة بباقات الورد فوق التابوت.

قال فيكتور وهو يصافحها: طائرتكم ستقلع غدا إلى بغداد بالساعة السابعة صباحًا.

حاولت الأرملة أن تقول شيئًا ولكن فيكتور تابع:

- لقد تم اختيار رقم مشفر ببنك الشرق سيصل من خلاله شهرًا ما يأمن لكم ماديا حياة كريمة بلا عوائق أو عشرات مالية مدى الحياة.

تناثرت وريقات بيضاء ذات شذا فواح من أعلى شجرة الياسمين بالمقابر من خلف شجرة الياسمين تلصصت عينيْن ووجه شاحب تراقبان باهتمام جموع الحشود يدها الهزيلة بجذع الشجرة.

ارتجف وتساءل بتعجب: أي حدث هام يراه هنا؟
ألقي نظرة على المطعم ثم استعد ليتخذ خطواته برحلته اليومية له.
بعد ذلك في ليلة ما.

يفتح فيكتور عينيه ليجد نفسه على جسر خشبي لا تظهر نهايته أو بدايته
حيث الماء الراق اللامع فيه كحبات الألماس يترقق ويمشي الهوينا من تحت
الجسر.

حوله ما يبدو أشجار كثيفة وعملقة وإن كانت ليست أشجارًا
لا تريد أن تغمض عينيك لحظة حتى لا يفوتك هذا الجمال.
يتشوق الطفل بداخلك للركض هنا واللعب.. وتتوق للاستلقاء على
العشب الناعم المبلل بالندى تستنشق وتتأمل ما حولك.. النجوم على صفحة
السماء كما لم يرها أحد من قبل.
هل هذا شهاب.. فلتقل أمنية بسرعة.. تعب الهواء وكانت تلك أول
أنفاسك بالحياة.

نظر إلى يديه ثم أسندها على السور الخشبي للجسر.. يتأمل الماء مرة أخرى.
التفت ليجد بجواره شخص يرتدي ملابس رياضية شتوية قديمة الطراز يتأمل
بشدة الماء من تحتها.

وقد تركز الضوء فقط على البقعة التي يقفان بها.. عاد فيكتور ينظر مرة
أخرى لسيل الألماس يتنهد أسفل الجسر.

ثم قال:

- إذن الأمر حقيقي؟

ومن دون أن يشيح صاحب الملابس الرياضية وجهه قال:
 - أجل، إنه حقيقي منذ البداية يا أخي.
 فيكتور وهو يتأمل ما أمامه: لم أفهم كيف أنني عشت تلك الأحداث.
 وكأنني بحياة أخرى.
 أجابه ذلك الشخص: بعض القوانين المعهودة لا نجدها هنا.
 استدار فيكتور إليه مبتسماً:
 - على الأقل، أعرف الآن لماذا تلقب بالسائر.
 ابتسم السائر وهو يترك مكانه ويتجه نحو طرف الجسر والذي بدا معتماً تماماً.
 ابتسم ناظراً لفكتور قائلاً:
 - أراك لاحقاً يا أخي.

تمت بحمد الله.